



جبل العمالة

والقسم الشوامخ في ضوء الإسلام

دار الأحياء

أنور الجندی

جیل

العَمَالِقَةُ وَالْقِمَمُ الشَّوَامِخُ
فِي ضَوْءِ الْإِسْلَامِ

دارالاعتصاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى البحث

أن من طبيعة الفكر الإسلامي أن يعقد مقارنة بين جيل وجيل لتقييم ما طرحه الجيل السابق ووزنه بميزان الأصالة والتقدير الحقيقي الحر البعيد عن الأهواء المتحرر من الولاء والخضوع لما خضع له الجيل السابق ، وقد تتابعت في تاريخ الفكر الإسلامي عملية (إعادة النظر) وإعادة تقييم المراحل هذه ، حتى غدت مسألة طبيعية بل وضرورية لمواكبة سير الإنسانية على الطريق الصحيح إلى الغاية الأصيلة وتصفية الفكر الإسلامي في كل مرحلة من الدخائل .

ومنذ ظهرت طلائع حركة اليقظة الإسلامية بمفاهيم المنهج القرآني الأصيلة بدأت عملية إعادة النظر في كل ما كتب في مرحلة النفوذ الأجنبي والاحتواء والسيطرة الأجنبية والتبعية للفكر الغربي المسيطر من خلال معاهد الإرساليات والابتعاث إلى البلاد الأجنبية وما حمله هؤلاء العائدون من مذاهب ونظريات وما حاولوا من خلاله إخضاع الفكر الإسلامي وتاريخ الإسلام والتراث إليه من نظريات تقوم على أساس الفلسفة المادية والانشطارية التي عرف بها الفكر الغربي وذلك قضية كبرى معروفة تحت اسم : حركة التغريب والغزو الثقافي .

واليوم ترتفع صيحة في معسكر التغريب والغزو الثقافي تمارض هذه المراجعة وتصد هذا التقييم الذي يقوم به رواد حركة اليقظة بمفاهيم الإسلام للفكر المعاصر الذي خضع فترة للنفوذ الأجنبي وجرت محاولة احتوائه وتدميره وتغريبه .

وهذه الصيحة اليوم تحمل رمزاً لاماً خطراً هو التساؤل عن الخطأ الذي يجرى في مواجهة جيل العمالقة وأقنم الشوامخ ، هؤلاء الذين قدموا للأمة ذلك الفيض الدافق من البطاقات والآراء والنظريات التي تقوم عليها الآن الدراسات العربية في الأدب والشعر والفن وفي مختلف مجالات الفكر .

والحقيقة أن ما قدمته هذه المدرسة التي يسمونها تارة باسم الرواد وتارة باسم جيل العاقبة واتقنم الشوامخ ، ليس إلا عصارات من الفكر الغربى انتزعت من هنا أو هناك ، وخلاصات و مترجمات لمضامين ذلك الفكر الذى سيطر على الغرب تحت اسم الفلسفة المادية ومدرسة العلوم الاجتماعية والتحليل النفسى ، وهو خلاصة ما كتب دارون ودوركايم وفرويد وسارتر وماركس وانجار و مترجمات القصص الجنسية والاباحى من الأدب الفرنسى ، وكان الصراع فى أول الأمر قائما بين اللاتينيين والسكسون هؤلاء مع المدرسة الانجليزيه (البقاد والمازنى وشكرى) وأولئك مع المدرسة الفرنسية (خليل مطران وطه حسين وهيكلم) .

ثم جاء الصراع الثانى بين المدرسة الليبرالية (لطفى السيد - طه حسين) وحسين فوزى وزكى نجيب محمود) ومن المدرسة الماركسية (سلامة موسى وحسين فوزى ومندور) ثم جاءت المدرسة الانسانية الماسونية (الهومينزم) وعلى رأسها لويس عوض وكل ما قدم فى هذه المرحلة منذ بدأت هذه المدرسة على يد أستاذ الجيل (لطفى السيد) وحتى اليوم هو فتات موافد الغرب بشقيه ، ولم يكن هؤلاء الأدباء والكتاب من أصحاب الأسماء اللمعة إلا قناطر بين الساحلين ، ولم يكن ما نقل خلال هذه الفترة سواء على لسان من قدموه على أنه فكرهم الخاص أو ما ترجموه ، لم يكن فكراً حراً خالصاً أريد به خدمة هذه الأمة ، ولم يكن مقصوداً به ترسيخ الوجود الفكرى الثقافى لأمة تملك مفهوماً أساسياً جامعاً للفكر والحياة وللمجتمع ، وإنما كان فكراً متحيزاً مقصود به تسميم قنوات الفكر الإسلامى وإفسادها وتحويل وجهة هذه الأمة وتغيير ملاحظاتها والقضاء على ذاتيتها وأعرافها الإسلامية والعربية الأصيلة ، كان هذا واضحا فى كل ما نقل وما ترجم حتى فيما أوصى به من أحياء التراث الإسلامى العربى ، كان هدف ذلك كله الدعوة إلى إخراج هذه الأمة من مقوماتها الأصيلة وصهرها فى بوتقة الفكر الغربى المادى الملحد الوثنى ربيب الفكر الاغريقى القائم على علم الأصنام ودفع هذه الأمة بعيدا عن طريقها الأصيل بوصفها صاحبة المنهج التجريبى الذى صنع الحضارة المعاصرة ، وصاحبة منهج المعرفة ذى الجناحين (الروح والمادة) والقائم على منهج الثواب والمغريات إلى منهج إنشطارى مادى خالص ، وحق فى هذا ما قال البعض : أنهم أخذوا المنهج العلمى

التجريبى من المسلمين وأوردوا المسلمين إلى منهج أرسطو الذى رفضه المسلمون قديماً
وماجمته الحضارة المعاصرة فى عصر النهضة .

اذن فالحملة المثارة تحت عنوان خطير : (هدم الشواخ من أجل من) هى
محاولة جديدة لمحاولة تثبيت دعائم هذه المؤامرة القديمة التى تكشف مخططاتها ، ومغالطة
واضحة تقوم على التعميم بهدم الشواخ فمن هؤلاء الشواخ الذى جرى هدمهم ،
وهل من أجل أمثال طه حسين ولويس عوض وحسين فوزى وتوفيق الحكيم
وربما نجيب محمود يطلق اسم الشواخ ، بينما حقيقة الأمر أن الشواخ هم غير هؤلاء ،
لأنهم أولئك المجاهدون الصادقون ، الذين لا يذكركم أحد ولا يتحدث عنهم أحد ، الذين
وضعوا فى الظل وأُفيعت حول مؤامرة الصمت ، لأنهم قدموا لأمتهم معطيات
وافرة ودلوا أمتهم على طريق الأصالة والنهضة الحقيقية .

والحقيقة التى تجاهلها اتباع التغريب والغزو الثقافى أن الشواخ والمخالقة
الحقيقيون ليسوا هؤلاء ، وإنما أولئك الذين نسهم الناس وتجاهلهم الصحافة
وجميعهم الاعلام ، وإذا أثير أمر واحد منهم بتأليف كتاب عنه وقفت أمثال
الدكتورة سهر القلماوى لتقول : من هذا ، من هو (عبد العزيز جلاويش) ذلك
لأن جلاويش ليس من مدرسة لطفي السيد وكان خيماً لمصوم الاسلام والعربية
ومدافعاً عن اللغة العربية أمام المستشرقين الذين حاولوا اغتيالها فى مؤتمرات
سنة ١٩٠٥ .

وكثيرون هم الشواخ الحقيقيون ، ولكن طه حسين وهؤلاء ليسوا إلا أقزام
من التغريبين غلبان المستشرقين الذين أعطاهم النفوذ الأجنبى هذه الشهرة والمكانة
وظل يدافع عنهم حتى اليوم ، حماية لوجوده من خلاصهم ولا فقل لى بربك من
غير طه حسين يقام له حفل سنوى يدعى إليه المستشرقون من كل مكان فى أوروبا ،
ولماذا لا يقام هذا التقدير لمصطفى صادق الرافعى أو رشيد رضا أو شكيب أرسلان ،
الحقيقة أن هذه الحملة تحت اسم هدم الشواخ هى حملة باطلية وإلا فمن الذى هدم
جمال الدين الأفغانى والمتنبى وابن خلدون فى العصر الحديث ، أليسوا هم أولئك
الشواخ فى تقدير التغريبين .

٢ - تقييم المحصول الذى قدمه جيل الرواد

بمیزان الإسلام

إننا إذا أعدنا النظر فى تقييم هذا المحصول الذى قدمه جيل الرواد وجدنا فيه الشيء القليل النافع الإيجابي ووجدنا أغلبه مما قد فتنا به رياح السموم ، هذه الاطروحات التى كتبها الأعلام الذين تصدروا الحياة الأدبية : ماورثها فى مجال البحث العلمى : لقد تبين أن رسالة الدكتور طه للدكتوراه فى السربون عن ابن خلدون هى ترديد لأفكار اليهودى الحاقده على الإسلام وأعلامه (دور كايم) وأنها تنتقص هذا الرجل انتقاصا شديدا ، ونجد أطروحة منصور فهمى عن (المرأة فى التقاليد الإسلامية) وهى ترديد صارخ لأكاذيب المستشرقين واتهامهم للنبي ﷺ بأنه استثنى نفسه من قانون الزواج وهى أفكار دهاقنة اليهود ، وإذا نظرنا فى رسالة زكى مبارك عن (الأخلاق عند الغزالي) نجد أنها ترديد لأكاذيب المستشرقين عن الغزالي واتهامه بأنه متأثر بالمسيحية ، فإذا راجعنا كتاب مع المتنبى لطف حسين وجدناه مأخوذا من أحقاد المستشرقين وفى مقدمتهم (بلاشير) فإذا راجعنا كتاب على عبدالرازق عن (الإسلام وأصول الحكم) وجدناه مأخوذا بكامله من رسالة لمرجليوث ، وإذا نظرنا فى كتاب (الشعر الجاهلى) وجدناه مردداً لنظرية قدمها مرحليوث أيضا عن انتقال الشعر يرمى بها القرآن نفسه ، أما آراء سلامه موسى فقد كانت مقوله نقلا مباشراً من كتابات : داروين وفرويد وماركس ودور كايم .

أما العقاد فقد تأثر تأثراً واضحا بنظريات مقارنات الأديان فى كتابه عن (الله) وتأثر بنظريات الوراثة فى كتاباته عن الصحابة .

كان الهدف هو إخضاع الفكر الإسلامى فى مختلف جوانبه للنظرية المادية الغربية ، بدأ ذلك جرجى زيدان فى كتاباته عن الأدب العربى والتمدن الإسلامى والروايات الإسلامية ، ومعنى كل الطريق كل من جاء بعد ذلك ، فمكتاب

[حياته محمد] على ما به من دفاع عن الإسلام خرج من عباءة المستشرقين وكتاب التعريب وتبني نظريات الكاثوليكي الفرنسي (دوركايم) وأنكر ما سوى القرآن من معجزات النبي ﷺ ، ورفض مفهوم الإسراء بالروح والجسم وتبني عديدا من مفاهيم الفكر المسيحي الغربي .

أما الذين قدموا مناهج الإسلام الأحمدية فقد أبقاهم النفوذ الغربي المسيطر على الحياة الثقافية في مصر والبلاد العربية - أبقاهم في الظل فقد سبقته ولحقته كتابات هيكل عن الرسول ﷺ كتابات كثيرة : (محمد أحمد جاد المولى ، محمد مصطفى نجيب) .

ومن بعد جاء محمد الغزالي ، محمد سعيد البوطي ، أبو الحسن الندوي ، وكثيرون ولكن هناك تركيز في دائرة الضوء على كتاب معين أو كذب بعينها وفي مختلف الميادين الفكرية والثقافية تجد التعظيم نحو تلك الأسماء الكريمة الأحمدية وهناك مؤامرة الصمت قائمة أرائها وإزاء كتاباتها :

أي الفريقين أحق بأن يوصفت بالتمسوخ والريادة وجعل العمالة : هؤلاء أتباع التعريب وغلبان المستشرقين والذين حملوا لواء تزييف الفكر في كل مجال من مجالاته محيرى سيطر الطغي السعيد على الدعوى العامية أو قامم أمين لاخراج المرأة من بيتها أم سمد زغول للدعوة تهليم الأمة الإزهاوية أم طه حسين للدعوة للأدب الفرنسي أم سلامه موسى للدعوة إلى دراون وفرويد وماركس ، أم حسين إفوزي للدعوة إلى الموسيقى الصاخبة أم لويس عوض للدعوة إلى الفرعونية أم ساطع الحصري للدعوة إلى القومية العربية أم علي عبدالرازق للدعوة إلى الطهانية . . . هؤلاء أحق بأن يوصفوا بأنهم السواخ وتقوم الأفلام لحمايتهم من كشف زيفهم ومن تعبيرة خبثهم ومن وضعهم في مكائهم الصحيح فلا تخدع بهم الأمة أم هؤلاء الأبرار :

جمال الدين ، محمد عبده ، مصطفى صادق الرافعي ، رشيد رضا ، شكيب أرسلان ، محب الدين الخطيب ، أحمد زكي باشا ، طاهر الجزائري ، أحمد تيمور ، الموبلحي ، الكواكبي ، علاء الناصي ، عبدالعزيز جاويش ، البكري ، المنفلوطي ، الزيات

التعاليم ، عبدالرحمن عزام ، عبدالوهاب عزام ، عبدالحميد بن ادريس ، حسن البنا ،
حسن حسني ، عبدالوهاب ، فريد وجدي ، الغلابي ، طنطاوي جوهري ،
عبدالوهاب خلاف وآخرون .

هؤلاء في الحقيقة هم الذين صنعوا نهضة مصر والشرق والإسلام وخاصة في
مجال النضال الوطني والتحرر من النفوذ الأجنبي ، هؤلاء هم الذين وضعوا قواعد
البناء الفكري الإسلامي الحديث .

ولقد ادعى لطفي السيد وسعد زغلول وطه حسين أنهم أولياء جمال الدين
أو محمد عبده ، ولكن طريقةهم وأسلوبهم كذب هذه الدعوة وكثيف زيفها ، بل
أن طه حسين نفسه أعلن خروجه على محمد عبده ، وأحمد زكي باشا ، والشيخ الخضري
أساتذته وهاجهم .

أن الحقيقة التي لا يخفى فيها الآن بعد أن ظهرت عشرات الدراسات مصححة
للوغائيم ، في ضوء مفهوم اليقظة الإسلامية ، أن هذه الأسماء الامة التي ماتزال
تتردد ، إنما يراد بها أن تحب تلك الاضرواء الساطعة ، وهي في الحقيقة لم تصنع تلك
النهضة ، وإنما صنعها أولئك الأبرار وصنعوا لها القواعد ، هذه الأسماء المجهلة في ميزان
الشهرة المماصرة الكاذبة التي يوقد نارها التغريب والاستشراق ، أولئك المخلصون
الصادقون فإن أحدا لم يذكرهم اليوم ، أما هؤلاء الذين خدعوا الناس بأن حملوا
لواء قيادة الفكر فإنهم لا يمكن وصفهم بالريادة ولا بالبطولة ولا بالقيادة لأن عوامل
ذلك كله تنقصهم وأبرز عوامل قبول الامة لهم وإيمانها بصدقهم وثقتها فيهم ،
أنهم لم يكسبوا شهرتهم نتيجة خصوبة فكرهم أو صدق إيمانهم وإنما لأنهم عملوا
في مجال السياسة والحزبية والمسحافة يوما بعد يوم ، في ذلك الزكام المضطرب العاصف
من الصراع الحزبي والجدل السياسي والهجم المرير فأعطاهم هذا كله : ذلك البريق
وتلك الشهرة ، واستطاعوا أن يركبوا كل مرحلة فلما جاءت مرحلة الإسلام
ركبوا ظنا منهم أن يسيطروا عليها ودفعوا من سادتهم لكي يحولوا وجهتها .

هذا ما أعطاهم الشهرة (وهي ليست بمثابة الحقيقة للبطولة) أما جهدهم الحقيقي
في مجال بناء النهضة فهو قليل بل هم الموقنين لها الذين شقوا جبهتها الموحدة ،

وأمثال هؤلاء الاممين لم تكن كتاباتهم في الأدب والفكر تساوى واحداً من مائة من كتاباتهم السياسية والحزبية المنسوبة بأدنى ألوان الجدل والهجم ، ولم تكن تساوى واحداً من ألب من كتابات ذوى الأصالة والثقافة والتأج الجيد وأصحاب الأفلام الموجهة لخدمة كلمة الله الداعية لأن تكون كلمة الله هى العليط .
ولكن السياسة والحزبية والتفوذ التغريبي هو الذى أعطاهم لمعان الاسم حتى جاء اليوم الذين يسمون فيه بالقعم الشواخ .

أن أسماء كثيرة هى التى أعطت النهضة الإسلامية دفعتها القوية من علماء ومن كتاب يملون الأصالة الحققة ، وليس أولئك المغربون هم الذين قاموا بهذا الدور ، ونحن لا ننتكر عنهم أنهم شاركوا فيه بجد ضئيل (ولكن ما قدموه وحسن يوماً بأنه أشبه بالخروب : حشيش كثير وسكر قليل) وكانت لهم أخطاء وانحرافات ووقيل منهم من صدق الله النية فى العودة إلى الحق ، ذلك أنهم كانوا غربيين بحكم الثقافة الأولى التى كونتهم ولذلك كان دخولهم إلى فهم الإسلام ليس نقياً النقاء الكامل بل كانت تختلط به شوهات الفكر المادى وتراكبات المفاهيم الاغربية والرومانية والسيحية المسيطرة على نتائج الفكر الغربى كله . ولأنهم بدأوا كتاباتهم الإسلامية بمناهج الغرب - كانوا كالمستشرقين - أعجز عن فهم مناهج الإسلام فتخطوا وأخطأوا ، ونقلوا عن كتب التبشير وكتب الاستشراق وعجزوا عن الأصالة الحققة .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : أن طه حسين والنفاد لا ينتميان أصلاً إلى المدرسة الإسلامية من الناحية الفكرية ، ولكنهما ينتميان منذ نشأتها الأولى إلى (المدرسة الليبرالية) المتحررة التى تعتبر (الحق السيد) أستاذها الأول فى جيلهما ، والمدرسة الليبرالية تحكم العقل المجرد والمتحرر من كل الموارث الفكرية والسلوكية ، فى كل شىء ، ولا تبالى أن تلتقى مع الدين فى كل وجهات النظر أو بوضها أو تتعارض معه وتخالفه ، ولكن طه حسين كان أكثر عنفاً وأكثر جرأة فى معارضة الدين ، وفى المجاهرة بما يثير الناس ليلفت إلى نفسه الأنظار ، لقد هاجم طه حسين أباه فيما كان يتلوه من أوراد فى أعقاب الصلاة وفى الليل (فى كتاب الأيام) غير أن طه حسين والنفاد قد اكتسبتهما الموجه الإسلامية العارمة فتناوبت كتبهما بعد

أن أصبح ذلك هو البدع الشائع الذي يغمر الأسواق ، ولم يعد التثديق بالكفر ونظرياته المستوردة سمة من سمات المفكرين ، تستهوى الاغرار من الشباب كما كان في العشرينات . ويرجع هذا الانقلاب الفكري إلى عدة عوامل عدلت بالناس وبكثير من المفكرين عن طريق احتذاء الحضارة الغربية والفكر الغربي وردتهم إلى طريق الإسلام منها ، موجة التنصير وهجرة اليهود إلى فلسطين وسقوط الخلافة على يد الكالينين ، وظهور جمهيات إسلامية عظيمة .

لأن هناك قاعدة أساسية ينبغي أن توضع في الحسبان حين يوزن الأدباء والمفكرون من وجهة النظر الإسلامية ، وهي أن الإسلام نظرية في السلوك تمثل ما أنه نظرية في المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامي أو أدب إسلامي من منكر أو أذيب لا يمارس الإسلام ولا يلتزم به وممروف أن طه حسين والمعتاد لم يكونا ممارسين للإسلام في أصوله الأصلية .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كتاب مصر هؤلاء : الشواخ الرواد ، لم يجازوا الاستعمار ولا الاستبداد ، وإنما حاربوا خصومهم السياسيين ، وكانوا يفرقون بين ثقافة وأصالة ابن موقف سياسي مع الاستعمار البريطاني وبين إيمان عام بالثقافة الغربية والديمقراطية الغربية والمليارية الغربية كنهج حياة ، ففي نفس الوقت فإن الذين كانوا يطالبون فيه بالحرية والاستقلال كانوا يؤمنون بعظمة الحضارة الغربية والمنهج الديمقراطي كأساس للحكم ، فهم أولاً في شهرة صنعها السياسة والحزبية ولم يصنعها الفكر ، وكانوا خصوماً ظاهرين للنفوذ الأجنبي وأصدقاء واضحين للفكر الغربي .

أولاً : كان كتاب الأحزاب والسياسة (وهم صفوة الشواخ والرواد) مسالين الانجليز غير ممارسين لهم بل كانوا يقبلون بالتفاهم معهم وهذا منطق مدرسة سعد زغلول المعارضة لمدرسة مصطفى كامل .

ثانياً : كان كتاب مصر وأبرزهم في صف حزب الأقلية المعارضة للوطنية الشعبية (حزب الأحرار الدستوريين) لطفي السيد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وإبراهيم المازني وعلى عبد الرازق ومحمود عزمي ومنصور فهمي .

فإننا : كان كتاب مصر في هذه الفترة يعارضون النفوذ الانجليزي السياسي برفق شديد من داخل دائرة التفاهم معه ، ولكن كانوا في نفس الوقت يقبلون أنظمة الغرب الليبرالية الرأسمالية بكل "ما تمثل من" إقطاع وسخره وسيطره ويؤيدونها ، بل كانوا يقبلون مذاهب الغرب في النقد والشعر ويتصدون للدفاع عنها وحمل لوائها وقد حمل العقاد والمازني لواء الدعوة إلى المدرسة الانجليزية في النقد (هازلت وغيره .

رابعا : خدع كتاب مصر في عدد من الشخصيات الموصومة :

١ - خدعوا في (ماكس نورددو) اليهودي خليفة هرتزل وكرموه وكتبوا عنه فصولا مطولة تقديرا وإعزازا .

٢ - خدعوا في عباس البهاء قائد المذهب البهائي وحفلوا به ودعوا إلى نحلته (العقاد ، اسماعيل مظهر) دون أن تتبينوا أخطارها وسموها .

خامسا : كشفوا عن مفهوم التحلل وإعلاء شأن الجنس في الأدب سواء عن طريق ترجمة القصص الغربي المكشوف كما فعل طه حسين أو عن طريق القبول به كذهب في الحياة كما فعل غيره .

ولقد أشار الأستاذ المازني إلى هذا فقال في كتابه قبض الزيج ص ٦٣ وما بعدها : ولقد لفتني في الدكتور طه في كتابيه (حديث الأربعاء) وهو بما وضع و (نقص تمثيلية) وهي ملخصة : « إن له ولما يتعقب الزناة والعشاق والفجرة والزنادقة » .

كما أشار الأستاذ الصراوى إلى أسلوب الاباحية والكشف والواضح في كتابات هذا العصر (مقالته في الحركة بين الراجعي والعقاد) [الرسالة جلد ١٩٢٧] ونحن حين نكشف هنا وفي كثير من دراسات سابقة عن حقيقة هؤلاء ، لانسهدف إلا كشف نفاق هذا التيار الواعد وخطره ، وقد اظلم طه حسين مكشوفاً لجيله أكثر من أربعين سنة ولم يغلب عليه طابع القداسة الكاذب إلا بعد أن مات الراجعي والعقاد وزكى مبارك ومحج الدين الخطيب وكل الذين كانوا يعرفون خبيثته وهدفه أن الذين يكتبون ليدافعوا عن الثغريين تحت أسماء كثيرة كالشواخ والرواد

لا يتخذون أحداً ، مهما أفسدت لهم الصحف الكبرى الصفحات ومهما أفسحوا
لأنفسهم أسلوب المغالاة ، والتضليل فإنهم إنما يدافعون في الحقيقة عن شوا منح
الهيمنة ودعاة الخروج من الذاتية الحرة الإسلامية أمثال سلامة موسى وطه حسين
وقاسم أمين وهدي شعراوي ولويس عوض وساطع الحصري وتوفيق الحكيم
ولكنهم يتخفون وراء عناوين عظيمة ويضمون أسماء أخرى ليست مهمة في
الحقيقة وإن كان منسوبها ليس سالياً تماماً ، لأنها المراوغة ، التي يجيدها هؤلاء
التغريبيون الصغار في الدفاع عن وجودهم وهم يرون هذا البرج الذي بنوه على
الرمال على وشك السقوط فوق رؤوسهم ، وإذا كانوا هم لا يؤمنون بقداستشيء
حتى الدين المنزل نفسه فلماذا يحاولون أن يحيطوا هؤلاء بقداستشيء ويصادر
الراي عنهم ويمنعون منافسة أفكارهم الزائفة التي خدعت الناس طويلاً قبل أن يستفيقوا
ويفهموا الحقيقة وتكشف لهم المؤامرة التي كانوا يقودونها والتي خدعوا بها الأمة
سنوات قبل أن ترتفع عن عينها الغشاوة .

وقد أعجبتني عبارة للدكتور عبد الصبور مرزوق في هذه المحاضرة وذلك قوله :
« أن ضرب أسوار القداست حول الكبار أخطأوا أم أصابوا إنما هما خيانة
فكرية للأمة بأسرها وتزييف لهالات التقديس التي يحاطون بها من حملة القباقيب أو
خشب الطرايا وهذا ما يؤدي حتماً إلى إعادة فتح الملفات فور زوال العمى عن البصائر
وبمجرد انحسار هالات المجد التي كان يعيشها الكبار من قبل ، » .

ومن حقنا أن نتسامل مع الدكتور عبد العزيز حموده :

ما هو المقياس الحقيقي للشوا منح : أليست الأمانة للوطن والأمة والأصالة وعدم
الترجيعة ، فإذا يكون موقف هؤلاء إذا طبقنا عليها هذه القاعدة :

لماذا يخاف الدكتور زكي نجيب محمود ويهاجم في دعر بالغ هذه المحاولة لإعادة
تقييم العصر ، تراثه ، أن الشوا منح الحقيقيين لا خوف عليهم وإنما الخوف على
المضللين الذين سيسقطون لأول وهلة ، والذين كشفهم الأحداث والحقائق ،
عند عودة الميزان الحقيقي لوزن الرواد والشوا منح في ضوء الإسلام ، إن أعلاه

الشوامخ في الحقيقة مجهولون ومكرون ومنحدون عن دائرة الضوء ، وأغلب الذين يلعبون هم المتساقون .

وإذا جاء توفيق الحكيم اليوم لينكر ما تقدم بعد الثلاثيات ، فنحن نقول له : وماذا قدم الجيل المسمى بالرواد غير أنهم كانوا قناطر للفكر الغربي وتابعين للفلسفات معجبون بدعاة للفلسفة المادية والولاء العقلي والنفسى للحضارة الغربية وقد صدق توفيق الحكيم في مقولته التي أذاعها في آخر حديث له (يوليو ١٩٨٤) حين قال : إن كل أعمالى التي تعبت العمر فيها لا قيمة لها ، واقد ضيعت حياتى فى كتب كان يخيل لى أن لها قيمة ، ربما فى الثلاثينيات والأربعينيات أما الآن فلا أظن .

وهذا القول ينطبق على كل الرواد واقسم الشامخ ، إنهم كانوا يعيشون لحظة بلحظة ، وينتقلون من مائدة إلى مائدة ويعلمون أن ما ينقلون عمل خالد وهو ليس إلا هباء ، فما كانت هذه الأمة فى حاجة إلى كل هذا ، الذى يهرأثمة ، تم عادت فا كشفت أنه شىء زائف له بريق خادع ، انه هو الذى أورها موارد النكسة والهزيمة فاستيقظت لتعرف أن لها فكراً أصيلاً طالما جهازه وغضوا من قدره وهو يتميز بالأصالة والقطرة الربانية حتى جاء الغرباء ليقولوا للمسلمين : إن لديكم كنوزاً ، قالها رجال القانون إزاء الشريعة الإسلامية وقالها جارودى وبوكاى وغيرهم ممن استوعبوا الفكر الغربى وكانوا من صانعيه ، إن كل قولة لهؤلاء هى بمثابة سهام بحمة بالنار تقذف فى عيون الثغريين وشوامخهم لأن أصحاب الحضارة الغربية أنفسهم اليوم هم الذين يعترفون بأن ما كتبه هؤلاء ونقلوه هو حصاد الهيم وتبعض الريح .

إن الدكتور زكى نجيب محمود إنما يدافع عن وجوده فهو لا يستطيع أن يقدم نفسه إلا فى إطار طه حسين والحقاد وسلامه موسى ، لأنه ليس شيئاً مستقلاً ، لقد عاش حياته كلها فى التجريبيين الوضعية المنطقية ودعوه خرافة الميتافيزيقا (أى خرافة الغيب) ولا رأى إزورار الناس عنه وجفاف أساويه ، عاد يخدع بالحديث عن الإسلام ولكن كتاباته عن الألوهية كشفت عن أنه يؤمن بوحدة الوجود

والحلول على حد تصويره الذى أورده فى حديث آخر ساعة (يونيو ١٩٨٤)
وهو نفس التصور الذى يؤمن به ميخائيل نعيمة والباطنية .

ونرى عاطفة العراق يصل إلى القول بأن التأثير بالمستشرقين هو ظاهر صريحة
وأن كل مفكر لابد أن يتأثر بالسابقين ولماذا يتأثر برنيان ولا يتأثر بالغزالي
وما هو التثوير العقلى الذى نادى به طه حسين : أليس هو حرية عرض المذاهب
المأخوذة والآبائية ، إن ما قدمه طه حسين لنا من سموم الاستشراق قد رفضته
الفطرة الإسلامية العربية لأنها وجدتته معارضا لطبيعتها المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

إن قصة الأخذ من الغرب لأن الغرب أخذ مناقصة أشبه بالمؤامرة ، فنحن
نعرف كيف أخذ العرب العلوم ولم يأخذ العقائد ونحن الآن يشترط علينا أن
نأخذ الفكر قبل العلوم ، إن طه حسين لم يأخذ من المفكرين الغربيين الاصول
ولكنه أخذ من المستشرقين اليهود الذين كانوا يهدون الطريق لمفهوم تقبلهم
فى المشرق الإسلامى ، إن حركة اليقظة الإسلامية استعانت أن تكشف المؤامرة :

لقد كشف الشيخ مصطفى صبرى أخطاء كتاب السيرة العصرية فى شأن
ميجزات النبى :

وفى مقدمتهم هيكمل وكشف مصطفى عبد الرازق وتلاميذه (على سامى النشار)
عن أصالة الإسلام وكشف مالك بن نبي مخططات التغريب وكشف الخالدى
وعمر فروخ مخططات التبشير وكشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن دخائل لويس
عوض وكشف الدكتور محمد محمد حسين عن كتب الغرب وكشف محب الدين
الخطيب عن خطط القارة على العالم الإسلامى وكشفت الدكتورة نفوسة زكريا
سيد مؤامرة العامية على الفصحى وكشف كيرون خديجه طه حسين ولويس
عوض وزكى نجيب محمود وتوفيق الحكيم ودعافة حتى رضوان منذ عشرين عاما
إلى إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الرائد .

٣ — إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الرائد

ما قيمة ما كتبه الجيل الرائد (يقول الأستاذ فتحى رضوان) :
أول ما يستوقف النظر فى إنتاج هؤلاء الكتاب أنه كان جزئياً لا متكامل
لم يجرؤ أحدهم فى الغالب على إخراج كتاب إلا بعد أن تقدم العمر وطال عملهم
فى الكتابة والصحافة المطال ان ما أخرجوه فى النصف الأول من حياتهم
هى مجرد مجموعات تضم مقالاتهم (فى أوقات الفراغ لهيكل) يقابله عن العقاد
(مطالعات فى والكتب الحياة ، ساعات بين الكتب ، مراجعات فى الآداب والفنون
وعند (المازنى) حصاد النسيم وفيض الريح وصدوق الدنيا وعند سلامة موسى
(مختارات سلامة موسى) .

لم يكن تأليف الكتب بطريق تجميع مقالات متفرقة مجرد مرحلة من مراحل
الحياة الفكرية لهؤلاء الكتاب بل كان ذلك صفة من صفاتهم العقلية تكشف عن
طبيعة تكوينهم وعن حدود قدراتهم ومواهبهم فقد كانوا منذ البداية عاجزين
عن أن يكون لهم نظرة شاملة لشيء من الأشياء السياسية أو الأدبية أو الحياة ، كان
الأمر عندهم تنقلا بين الشخصيات والأفكار والكتب ، وكان ما يصدر عنهم
انطباعات سريعة من قراءات لا تستولى عليهم ، ولا تملأ حياتهم ولا وجدانهم ،
ولأنما أقصى ما تستطيع هذه القراءات أن تدخل إلى نوسهم تشوه الإعجاب
بفكره أو بشخص ، ولكنها لا تلبس أن تنطق لتحل محلها إعجاب بفكرة أخرى
وشخصية تالية .

فهيكل الذى ألف كتاب عن (روسو) من جزئين لا يكاد يذكر روسو
فيما كتب بعد ذلك وكأنه لم يقرأ له أو يقرأ عنه ، دع عنك أنه ألف كتابا طويلا
عن حياته وأفكاره ، والمقالات التى نقرأها فى كتب العقاد أو المازنى عن نيتشه
ودوركايم وغيرهما أشبه بشيء بقايات فى متحف صور ، نبد فيها إنتاج كل اثنين
فى حياد ينف من جميع على بعد واحد تقريباً .

ولذلك إذا فرغت من قراءة ما كتبه العقاد والمازني وهيكل فعلا ، لا تعرف بالضبط ما الذي يريد أي منهم ، ثم لا تعرف الفارق بين واحد منهم والآخر ، فيما علنا الفوارق المادية من حيث الموضوع أو الغموض ، أو الجزالة الأسلوب ورخاوته ، فإنهم في واقع الأمر أبناء مدرسة واحدة ، وقد انتقلوا جميعاً إلى التاريخ للإسلام ، والدفاع عنه ، وختموا حياتهم الفكرية بهذا الطور كأنهم كانوا جميعاً على موعد في كل خطوة يخطونها ، ويسوغ لك أن تتساءل بعد أن تقرأ كتب العقاد عن عبقریات محمد وعمر وأبو بكر الصديق والصدیقة بنت الصديق والإمام علي والحسين وعن الإسلام بين حقائقه وأباطيل خصومه ، وكتب هيكل عن محمد وأبي بكر وعمر ومنزل الوحي ، وكتب غيرهم ممن ينسبون إلى نفس العصور ونفس المدرسة عن الإسلام ، لك أن تتساءل بعد أن تفرغ من قراءة هذه الكتب الكثيرة ما الفارق بين هيكل والعقاد وغيرهما حينما لم يكونوا يذكرون القرآن إلا نادراً وهيكل والعقاد وزملائهم حينما وجهوا جهدهم الأدبي ووقفوا دراساتهم أو كادوا على الإسلام وأبطاله وأحكامه ، ومواقع معاركة دائرة في الفكر الإنساني ، وقد لا يروك أن تعلم أنه لا شيء مطلقاً أو لا شيء تقريباً ، فكما كانا يؤلفان في الماضي عن روسو وجيته ويكون ، كتبوا كما كانا يكتبان مقالات عن فرانس ونيشه وعن الفلسفة الغربية وعن زعماء الفكر الأوربي ، يكتبون الآن كتباً عن الإسلام ونبية وصحابة رسوله ، وعن أثره وفلسفته ، فما من شيء في حياتهما تغير بتغير موضوع دراستهما وكتابتهما وما من شيء تأثر في أسلوب تفكيرهما ، وكان من الطبيعي وقد باغ الإعجاب عندهما بالإسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينعكس على مسلكيهما في الحياة العامة وعلى تفكيرهم السياسي وهم رجال سياسة وصحافة^(١) ، هذا القدر من الإعجاب والتمكك لا تری له أمثراً ، وأيس هذا إلا أنه ظهر كاشفاً عن موقف كتاب هذا الجيل كله ، فالكتابة

(١) يؤيد ذلك ما يجب إبداء أن تولى هيكل وزارة المعارف وقد ألف كتاب محمد وكانت له آراء في التخریب وأثره في المدرسة والتربية فلم يعمل بها

عندهم لم تكن معاناة روحية ولم تكن إعلانا عن إيمان وعقيدة ، ولا ارتباط وتصميم .

بدأ هؤلاء الشبان حياتهم الفكرية وهم يطمعون أن يكونوا طليعة فكر (علماني) لاديني ، طليعة حرة ، لمدرسة من الأحرار لا تخيفهم التقاليد الموروثة ولا القيم التي أسبغ عليها الخوف والسكر والتراخي العقلي والوجداني حالات قداسة لا تستحقها بل لعلمهم تاقوا إلى الذهاب إلى أكثر من ذلك بالدعوة إلى التحرر من الدين كله أو الإقلال من شأنه ، ولكنهم لم يجرؤوا في البداية على التصريح بشيء من هذا ، وتركوا للجسمور أن يستنتج من مسلكهم العام أنهم لادينيون وأنهم يريدون أن يخلقوا حركة فكرية لانتهاج عمام الشيوخ ولا الخرافات الشائعة بين الناس^(١) وأن يقتحموا قلاع الرجعية الفكرية فماذا فعلوا ، كان أقصى ما استطاعوا أن يفعلوه أن يذكروا اسم الرسول مجرداً من لقب (سيدنا) وألا يتبعوه بالصلاة عليه ، فسيدنا محمد هو عندهم (محمد) كما أن سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر ليسا سوى أبي بكر وعمر وقنعوا بهذا وكفى الله المؤمنين القتال .

أما ما هم به طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) من الدعوة إلى استبعاد القرآن كمرجع تاريخي ، عند تحقيق العصور التي تعرض لها في آياته فقد حذفه من كتابه في الأدب الجاهلي ، وأثر العافية ، وقد نهج نفس المنهج (على عبدالرازق) حينما أصدر كتابه (الإسلام وأصول الحكم) والذي قال فيه أن الخلافة لم تكن أصلاً من أصول العقيدة الإسلامية ولا عنصراً من عناصر رسالة الرسول ﷺ وأن القرآن والسنة لم يبيّنا أصول الحكم ، فقد عزل من اقتضاء فكان كتابه هذا بيضة الديك وأمسك عن القول في الإسلام والخلافة .

ثانياً : موقف هذه الجماعة من الاحتلال والملكية .

هذه الجماعة التي أرادت أن توهمنا أنها متويزة ومتحررة أن تقف وقفاً

١١) وأيد ذلك دفاع المقاد من طه حسين ، ومجموع الدناد على لافي الديني لإبان الحركة السياسية ثم لا تطواء تحت لواء فكره بعد أن وصل بجمع اللغة

لا هوادة فيه من حدودين خطيرين : الاحتلال والملكية فإذا كان موقفهما منهما ، كان العقاد أول الأمر أعنف في مخاطبة الانجليز وفي مخاطبة الملك ، فكان مخاطبتهما للانجليز تأتي عادة في المرتبة الثانية بعد العراك مع خصوم الوند وخصوم سعد بل أن مخاطبة الانجليز والتصدي له كان فرعاً عن مخاطبة عدل ، فالانجليز ليسوا مكروهين لذاتهم ، بل مكروهين لأنهم يستبدون عدل ، وهم في الواقع يدارلون الحكم بين سعد وعدل .

أما هيكل فكان يحكم كونه المتحدث باسم (الأحرار الدستوريين) أضحف صوراً في مخاطبة الانجليز وإن لم يتورط فقط في الثناء عليهم .

ولكن ماذا انتهى هذا الجدل من المفكرين في شأن الانجليز والملك لقد هدأت المعركة مع الانجليز فقد استحال النضال الوطني حرباً أهلية بين الأحزاب يصيب الانجليز خلالها بعض الرشاش ، ولكن السهام والحرب والقذائف وجهت إلى الخصوم في الداخل ولذلك هبطت الوطنية المصرية إلى مستوى كان له أسوأ الأثر على الفكر .

لم يكن الناس يسمعون ولا يرون شيئاً يثير طموحهم الروحي ، ولا يحرك عواطفهم إلى مثل أعلى ، ولا يقودهم إلى تضحية نبيلة ، أو مغامرة جليلة ، كان الصراع تأفها وضئيلاً ، وكانت أسلحة ضعيفة وصغيرة ، وكان كل ما يكتب مكرراً ومعاداً فلم يؤثر في كتابنا جميعاً في هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد ، كتب العقاد وهيكل والمازني وعزى آلاف بل عشرات الآلاف من المقالات السياسية الحزبية فلم يبق منها شيء معلقاً ، بل أن العقاد شكك لي يوماً في بقاء مصر الجديدة أنه يشعر بأن ما يكتبه كأنما يلقى به في بئر ولذلك لم يكن غريباً ألا يرتسم في ذهن صورة المناضل العبيد للانجليز إذا ما ذكر اسم واحد من كتاب العصر الذي توارخ له

قال كل منهم كلاماً حاداً أو ليناً ، متصلاً أو متقطعاً ضد الانجليز حسب مقتضيات ظروف الساعة ، فلما انقضت تلك الظروف لم يبق في ذهن أثرها فلم تكن مخاطبة الانجليز وإجلائهم عن البلاد شغلاً شاغلاً لواحد من كبار كتابنا بل

أن العقاد خلال الحرب كان يذيع من الاذاعة المصرية لصالح الحلفاء وتوج جهوده بإصدار كتاب عن (هتلر) فلما قريت جيوش الألمان من الاسكندرية هاجروا إلى السودان .

ولما فسد الملك وفسدت بطانته وتوالى الفضايح لم نسمع لكبار كتابنا شيئا ذا قيمة في هذه الكارثة القومية ، وكان من المنتظر من العقاد الذي بدأ حياته متمرا يتوثب لمخاللة الملك وينهد بتعظيم رأسه، إن هو ففكر في المساس بالدستور أن يقود حملة ضد الملك فاروق فلم يفعل بل أن الخلة بدأها غيره وحى وطيسها والعقاد لاصوت له فيها وكبار كتابها لا يساهمون بقليل أو كثير بل أن بعض كتابنا حضروا أكاليل الغار فوق رأس الملك فاروق وأحرقوا بين يديه البخور ، الأمر الذي يسجل كيف أفلس هذا العصر إفلاسا مروعا .

ولذلك أصبح من الهين أن يجتمع كبار الكتاب في معسكر واحد ، فقد كانوا جميعا ينتموا إلى مدرسة واحدة هي مدرسة حزب الأمة ، ثم باعد بينهم حينما تنافس على الحكم ثم عادوا كما كانوا .

٤ - محاولة تغيير الهوية والالتقاء والعرف الاسلامي

هذه تجربة الأستاذ فتحى رضوان أضعا بين يدي اقراء دليلا كاشفا على واقع قضية جيل الرواد والقمم الشواخ وهي صريحة مدوية لم يهدأ أوارها فإذا أضفنا إليها صيحة الأستاذ محمود محمد شاكر وجدنا أن الموقف يأخذ طابعا لاسيما إلى التشكيك فيه .

يقول الأستاذ شاكر تحت عنوان : طه حسين هدمنى ونسفنى منذ خمسين سنة

(جريدة الاخبار ١/٤/١٩٨٤) :

منذ أن تلورت في ذهني القضية اتى صرت أحارب من أجلها وهي أن حياتنا الأدبية والثقافية والفكرية عامة قد بذرت منها بذور من العبث والاستخفاف والتعالم . ومع ذلك فإن الذى رأيته فى شباب أفضل مما أنا فيه الآن ، لأن الاهدور

الثقافية في نزول لاني صعود وربما يسوء أبناء هذا الجيل أن يقال هذا ، ولكن هذه هي الحقيقة ، وليس معنى هذا أنني متشائم ، لقد بدأ الصراع منذ أيام طه حسين وكان طه حسين يهلم نفسه هدماً وينسف أدبي نسفاً ، لقد توصلت إلى حقيقة تشك الدكتور طه في الشعر الجاهلي وهي أنه اقتبس مقالة المستشرق الاعجمي مرجليوث وادعى أنه امتلك ما اقتبسه ، ثم كان ماهو أبشع من هذا فقد كان من أساتذتنا منشرقان أتى بهما طه حسين من إيطاليا أو لاهما « نليزو » ثم « جويدي » الصخبر وكان أمرهما عجيباً فهما يعلنان يقيناً أن محصل ما يقوله طه حسين إنما هو ما كتبه مرجليوث ولكنهما كانا معي شديدي المراوغة وكل ما كنت أظفر به منهما هو مطالبتي بتعظيم الدكتور طه وتوقيره بحق الاستاذية ثم استدراجي إلى تيه الألفاظ العامة ، البحث العلمي والأدبي ، وعالمية الثقافة ، وما شاب ذلك من ألفاظ التخدير فكنت امتنع عن التسليم لهما ، وهذا ما زاد الأمر إشاعة في نفسي وسقطت هيبة الاستاذية ، ولم أبال بما أنا مقدم عليه من مفارقة بلادى وأهلى ومن هجر الدراسة الجامعية أيضاً غير مبال ولا آسف ، صارت قضيتي هي قضية طلب اليقين فأحسست وأنا والجيل الذي أنا منه - وهو جيل المدارس المصرية - قد تم تفريغنا يكاد يكون كاملاً من ماضينا كله ، من علومه وأدابه وفنونه ، وفي ظل هذا التفريغ وهذا التزيق وهذه الكثرة التي تخرج مفرغة أو شبه مفرغة إلى (البعثات) وهذا التحول الاجتماعي والثقافي المضطرب ، انتعشت الحياة الادبية والثقافية انتعاشاً غير واضح المعالم ولكن يقوم على أصل واحد في جوهره وهو ملء الفراغ بما يتناسب أدياباً وفنوناً غارزية ، المسرح مثلاً : كان له شأن أى شأن يعتمد اعتماداً واضحاً على المسرح الاوربي في تكوينه كله وأيسر سبيل كان إلى امداده بمادته هو السطو على مؤلفات المسرح الاوربي مسلوخة يعاد تكوينها بألفاظ عربية أو عامية دون أى إشارة إلى هذه السطو وكانوا يسمون هذا حياءً وفكراً : «التصوير» . والقصة أيضاً كانت ضرباً من السطو والتقليد هذه خطوط من صورته لجانب من الحركة الادبية والثقافية في ذلك العهد وأكثرها باق إلى يومنا هذا ومقبول أيضاً بلا استبشاح له ، لقد شهد طه حسين نفسه بهذا من موقع الاستاذية وقلته أنا من موقعي بين أفراد جيلي الذي أتى إليه وهو جيل المدارس المتفرغ من كل أصول ثقافة أمته ، ولم ينتصّب

أحد لوصف هذا التدمير الذى يشترك فى جريمته مثقفون كثيرون فى الأدب وفى الاجتماع وفى الفلسفة وفى الفن كله، من مسرح سينما وموسيقى وغيرها وكل منهم كما يقول الدكتور طه حسين : « ينفت السم ويفسد العقول ويمسح فى نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة التجديد » ، وقد زاد الأمر فلم يبق مقتصرأ على التعليم والكتابة والتأليف بل دخل كل بيت دخولا مفرعا عن طريق الإذاعة والتليفزيون . كنت من أكثر الناس تعلقا بإنشاء المجمع (مجمع اللغة العربية ١٩٣٤) ولكنى أصبحت بإحباط عندما رأسه أحمد لطفى السيد فهو فى رأى ليس إلا (كرافته ودبوس) وهذا الرجل شديد التناقض ، ينبغى أن يعاد درسه ، لأنه هو الرجل الذى كان يطالب بإحياء العربية باستعمال العامية .

هناك من يرى أن تراثنا العربى ماهو إلا فن (أرابسك) وأنه مجرد حفرات قديمة وهذه دعوة يروج لها المستشرقون وأعداء اللغة ، أن التراث بمعناه الحقيقى هو الانتماء ، ولا أكون موجودا إلا به ، والذين يريدون فصلنا عن تراثنا لا يحبون التراث ولا اللغة العربية ولا العقل العربى وينظرون إلى التراث (الذى هو الانتماء) على أنه تحف ويبدو أن الدكتور زكى نجيب محمود ممن يحتنون هذه الرقبة . أن كتابنا لا يقدمون شيئا منيدا بجمتهم ولا لقضايا بجمتهم ، ولو كانوا يسرون فى طريق صحيح لمكان لهم شأن آخر ، صحيح أنهم يجتهدون ، ولهم مجهوداتهم ولكننا ضئيلة وباهتة ، فمنذما أنظر إلى الوجود الحقيقى لطله حسين أو توفيق الحكيم أو نجيب محفوظ أو إحسان عبد القدوس أراه وجودا ليس منيدا لقضايا بجمتنا ومشاكل وطننا .

أن الثقافة العربية فى انكسار عام أمام الغزو الغربى وليس لدينا مثقفون بل أسماء ثقافية ، هذا الانكسار الذى يشكل ، تلك الثقافة التى حطمها الغرب بعد أن هزموا تركيا واتجهوا إلى هذه الأمة لأنها تملك لغة الإسلام فسمعوا لتزيق المنطقة أيضا ، فقد اختلفت المفاهيم وساء استخدام اللغة ، وأصبحت الألفاظ غير محددة ، حتى مفاهيم الثقافة والازدهار والانحدار باتت كلها غير واضحة ، مايسمره بفترة ازدهار ثقافى مصرى كان فى حقيقته مظاهر ارتباط بالحياة السياسية فى مصر خلال

السمتات ، فثقافة الأمة المفروض فيها أن تريد ، لا أن تتوقف عند درجة معينة ، وأن تنمو بشكل مستمر ، وبالتالي فإن أزمة الثقافة ، هي أزمة في الكيان الحقيقي للأمة الذي قهره الغرب ومزقوا أصالته عندما مزقوا لغته ، أن الثقافة الحقيقية هي ما يأتي من داخلك ، داخل أرضك ، لا بد من البحث في الذات والتعقّب فيها ، واكتشاف موروثها الثقافي وتسييده والتخلص من أوهم العالمية والمعاصرة . أن ممكن الأزمة الثقافية هي سيادة (فكر الخوام) وما يدعيه البعض من مظاهر جديدة للتعبير الثقافي سواء في الأدب أو الفن هو في حقيقته بعد عن التعقّب وفهم الذات ومكوناتها فهما صخيحا والانطلاق منها لآفاق أرحب وصعقت ركيزة الاستقرار والتقدم وأصبح كل جيل يأتي أقلّ تميزا من الجيل الذي سبقه ، فهناك جيل شوقي والبارودي وغيرهما من الشعراء النظام ثم جاء جيل (علي محمود طه وإبراهيم ناجي) جيل عظيم ولكن ليس على مستوى تميز وتألّق الجيل الذي سبقه وهكذا نلاحظ أن انحدار المستوى الثقافي يرتبط أيضاً بالجهود المبذولة للحفاظ على نفس مستوى السابقين لأنّ الجهد الحقيقي الارتقاء بالحياة الثقافية لهذه الأمة لا يجب أن ينزل عن مكثور سنته عشر قرناً ولا ينزل عن ابتداعاتها فلم يحدث مثل هذا الانقطاع في صدر الإسلام ، فقد كان هناك شعر جاهلي عظيم ، وكان هناك شعر بعد الإسلام عظيم ، فلم يحدث انقطاع ، أما في حياتنا الثقافية اليوم فإن الواقع يبدو رديئاً ، فالشاعر تخلف عن فكره وإحساسه ولغته ولم يعد هناك ما يشعر بأن هناك قوة كامنة في الداخل تميل ، حتى عندما حاول بعضنا أن يقدم الأعمال الدينية كان يقلد الغرب فيما يقلد ، فالدكتور طه حسين عندما كتب (على هامش السيرة) كان يقلد كتباً أوريباً كتب عن المسيح وهو نفسه اعترف بذلك ، وعلى مستوى آخر : ليس فقط كم المعارف ولكن الصيغة الأساسية لحركة الأمة ، فإذا كانت هي محرّكها ومكوّناتها الحضاري من ناحية فهي مؤشّر السلوك وموجه الحركة العامة ، وهنا فإن أسأل في أي مجتمع يمكن أن يوجد مثل هذا السك من الاعلانات عن سلع تصنع في دول أخرى ، وفي أية أمة يوجد هذا السك من الأسماء الأجنبية لمواقع العمل ومحلات الخدمة ، أسبانياً يدخلها ٣٤ مليون سائح سنوياً ولا يوجد اسم أجنبي لفندق أو مطعم أو محل ، ولا معرض فيلم دون (دوبلاج) بلغة البلد . أن هناك جهلاً بالقواعد الأساسية

لمكونات هذه الأمة ، وليس أدل على ذلك من أنه عندما تتمتع الأمة بتدفق الحياة في شرايينها ولديها علم كالفقه وأصول الدين فإن ذلك لابد أن يطرح قوته وحيويته على كل مظاهر الثقافة حتى على من يصنع عموداً في مسجد ، فالجو العام ينمكس على أدواته الفنية ومظاهرها ، فالأسس السليمة السائدة في مجتمع ما ، تفرز أشكالاً على مظاهر السلوك فما ظنك بالآداب والفنون .

الحقيقة أنه ليس لدينا مثقفون ، بل هناك متعلون ، هناك جيل (متغرب) ومع سلامة نيته تكون في إطار محدد ، إطار الثقافة والمعرفة الغربية ، ويحطى في هذا الإطار الذي صاغه الاستشراق الغربي للثقافة المنطقة ، وأنا أرى أن هذه الأسماء التي ترددها هي أسماء ثقافية وليست لمثقفين ، حتى أن الثقافة لبذرتهم بانت تفكير الغرب سلوكياً وفكرياً وفصل الأمة عن ماضيها ، وأكثر من ذلك فإن نظام دنلوب الاستعماري في التعليم ظل مستمر في صياغة العقل الثقافي للأمة بطريقة استعمارية ، وبانت الأسماء المنتشرة تعكس أسماء عاجزة عما تدعى تقدمة تحت وهم (الإبداع) وهي في الحقيقة تنقل فلسفات الغرب وأفكاره وأشكاله الأدبية والفنية والمبنيانية لتبررها العوام وتدعى أنها امتلاك أساس الثقافة وذلك ليس بصحيح ، ما يمكن أن أقوله باختصار شديد أن ترديد تركيبات لغوية بدون مناقشة ، هو في حقيقته مأساة أخرى ولا بد من العودة للجوهر الأصيل في مكتون الأمة أن ما يكتب الآن تحت شعار (التساؤل حول هوية مصر) أو عن تاريخ المنطقة ما هو إلا امتداد لتاريخ الاستشراق والتشهير في المنطقة والذي بدأ من أكثر من ثلاثمائة عام ، والواقع أننا نعيش عصرًا سخيفًا افتقد فيه المثقفون الرؤية الحقيقية لما يواجهونه لأن المبركة ببساطة شديدة هي العداء التاريخي بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية ، أي إغفال لذلك هو خطيئة ، عن نفسي لقد حددت قضيتي من أكثر من خمسين عامًا وهي الدفاع عن كيان أمتي في مواجهة هذه الحضارة الغربية العنصرية الغازية ، فالغرب يريد أن يستمر تابعاً له ، ولا خلاص إلا بالتحرر من تبعيته ، لقد قسموا المنطقة سياسياً والآن يجتهدون في تزيفها فكرياً وثقافياً ، حتى تتمكن ملك أو صر الأمة الإسلامية العربية ، أننا في حاجة إلى وقفة جهادة لاستعادة توازننا التاريخي ، وعلى هذا الأساس فإني أنظر بعينية لمكون من القضاة القوميين

التي يبرها البعض الآن لأنها في حقيقتها لا تستهدف خير الأمة ، بل الاستمرار في حقيقتها لا تستهدف خير الأمة ، بل بالاستمرار في حياطة منزعجة ، بل انني اعتبر أن الذين يتحدثون عن مصر ، هل هي عربية أم إسلامية أم فرعونية أم متوسطية ينسجون في الواقع قصصا للخدعة بغرض الاستمرار في تمزيقنا لأنه لا بد من النظرة الكلية للأمور فأصحاب الحضارة الأوروبية ينظرون لها بنظور كلي ، فكيف نخرج نحن عن النظر لحضارتنا بنفس المنظور ، أين هو التاريخ الذي عند علماءه وانتصاراته مثلنا ، أين الذين تكروا لحضارتهم مثل الكثير من مثقبينا ، لماذا لا نتذكر تشرشل عندما قال أنه يدافع عن الحضارة المسيحية ، ولماذا فشلنا في رؤية ستالين وهو يضح يده في يد تشرشل من أجل نفس الهدف ، نعم كان ستالين يدافع عن نفس الحضارة المسيحية ونفس ما يلتقي فيه الأمريكي الرأسمالي والشيوعي الروسي ، حتى عندما نادوا بالشيوعية في الاتحاد السوفيتي لم يتخلوا عن لغتهم بل وضعوها في القمة ، ستالين دافع عن لغته ، وظلت كما هي بكافة ألقاظها ومرادفاتها التي لا تتفق ومفاهيم الشيوعية ، لأنهم أدركوا حقيقة هامة هي أن اللغة هي أنا وبدونها لا أكون شيئا .

أن أخطر ما يحدث لنا الآن أننا نردد المفاهيم التي أرادوا لنا ترديدها ، فالذين يتكلمون عن (العصر) الذي نعيشه ويجب أن يعاينوا : أن العصر هو أنا - أنا الذي أوجد عصرى ، وأوروبا ليست هي العصر الذهبي الذي يجب أن أركع أمامه ، بل أن الموقف الأهم هو كيف أكون شيئا صحيحا وليس شيئا قابعا ، على مستوى العالم ليس قرية واحدة ، بل أن كل أمة متميزة لها قضية تشغلها هم يخبرهم الأمة المسيحية بيننا قضيتي أنا هي العالم العربي والإسلامي ، ولا يعني ذلك المزوف عن مبتكرات العلم والتكنولوجيا أو التخلي عن الطب أو الكيمياء ، لا بل أعرفها باستقلاليتي أنا لا غيرها . يقدر إمكانياتي سواء أخطأت أم أصبت ، عصريتهم هم لا تطبق على أنا ، ويجب أن نتذكر جيدا أن الحضارة الإسلامية كانت هي الحضارة المتعمرة والمهيمنة لأنه كان لديها ما يضارع مالمى الأمم الأخرى فأخذت ما أرادت وبمخبري إرادتها الواعية وليس تحت زعم العصرية وتمايلت معه على قدر زمانها .

أما ما أخذته أوروبا في العصور الوسطى ، فقد أخذوه للاستفادة به ، ولم يأخذوا معه العقائد والتقاليد أو اللغة أو حتى المنهج ، كما يطالب الأسف بعض مقفينا .

أن موقفي هو أن مقفينا مقلدون للغرب ولهذا لم أتردد في القول بأنهم يسرون في الطريق الخطأ ، فنقمونا مقلدون ولا يسوا مبتكرين فهم يقلدون نفس مصطلحاته ، نفس الرؤى التي ينادى بها ، أن موقفي من أي كاتب هو في حجم رؤيته لقضايانا العلمية ، وموقفه من المخاطر التي تهددنا ، ليس بيني وبينهم خلافا شخصيا ، ولكن ذلك لا يمنعني من الدعوة إلى إعادة تقييم كل هؤلاء الذين نعتبرهم أعلامنا الفكرية ونعيد النظر لتاريخنا ولكن المخاوف التي يرددها البعض ، ليس هناك أم تعيش على بضعة أفراد في مرحلة معينة ، أن ما يجمله البعض أننا نملك أعلام ستة عشر قرنا و نملك الوثيقة الإلهية الكبرى وهي القرآن الكريم فلا يمكن أن ننسى ذلك كله .

إذن فالدعوة إلى تقييم كتابات جيل الرواد والقسم الشواخ ليس جريمة محرمة بل أنها طبيعة الأشياء ، على الأجيال أن تقيم ميراثها القريب وأن تعرضه على مفهوم الإسلام الأصيل لئلا هل كان موافقا له أم معارضا ، لقد علت سحابة التفريب والغزو الثقافي حتى حجبته الرؤيا الصحيحة سنوات طويلة ، حتى ظن أن كل ما يقدمه هؤلاء الذين همرا عن طريق النفوذ الغربي هو الحق والحقيقة وهو القول الفصل في الأمور كلها ، ولكن سرعان ما يتبين أن هؤلاء لم يكونوا إلا قناطر للفكر الغربي إلى ساحة الفكر الإسلامي وأن أمانتهم لا متهم وللقيم الأصلية كانت ضعيفة واهية ، وأنهم خدعوا أساسا بانبهارهم بالحضارة الغربية ثم كانت رسالتهم أن يخدعونا وأن يقدموا لنا النصيح بأن طريق الغرب هو الطريق الصحيح وأن علينا أن نتجاوز ذلك (القديم) الذي وصفه بالجمود وبالبلبل لنأخذ (جديد) الغرب لنصبح مثله ولننض به ، ولم تكن نصيحة صادقة ، أو مخلصة ، هكذا اعتقدوا أو خيل لهم ، أو كان منهم المسكرة الخادعون ، ولكن هذه الخائثر كلها التي طرحوها تكشف اليوم في ضوء شمس الإسلام الساطعة بأن كثيرا منها كان زائفا وفسادا ، وليس هذا الذي يحدث اليوم من إعادة تقييم هذه المرحلة التي أطلق عليها (جيل الرواد) والقسم الشواخ والتي امتدت منذ جاء لورد كرومر إلى مصر وأنشأ مدرسة .

مدرسة المتفرغين الذين يحكون مصر بعقل الغرب والذين يؤمنون بالحضارة الغربية
وينتقصون الأزهر والإسلام واللغة العربية ويذهبون وراء الليبرالية وحرية الفكر
ومذهب الغرب في السياسة والاجتماع ، هؤلاء الذين كون عقولهم قانون نابليون
الذى ورث الشريعة الإسلامية التى حجبت وحجبت معها التربة الإسلامية والاقتصاد
الإسلامى والمجتمع الإسلامى القائم على التوحيد والخلق والعدل الاجتماعى . فإذا
يدممش العلمانيون والتغريبون اليوم حين يرون أن حركة اليقظة الإسلامية تقوم
منذ فجرها على نقيض هذا الأسلوب الوافد فى جوانبه المعارضة للصراط الإسلامى
المستقيم إيماناً بأن هذا الركام كله الذى اختلط فيه الخير والشر ، إنما يهدف إلى
إزالة التميز الخاص والذاتية الإسلامية ويرمى إلى الاحتواء والحصار والانصهار
فى بوتقة الأمم والتغريب وإخراج المسلمين من طابعهم الربانى الخاص ومنهج حياتهم
وأسلوب عيشهم وليعلم التغريبيون والعلمانيون الذين يدمشون من حركة إعادة
التقييم لهذه المرحلة ، أن المسلمين على مدى تاريخهم كان عليهم أن يخوضوا هذه
المعركة مرة بعد أخرى ، للحفاظ على كياناتهم ووجودهم ، وأنهم لن يكونوا قادرين
على مواجهة الاحتواء الغربى الذى يحاصرهم الآن إلا بفهم هذه الحقيقة والتحرر
من هذا الأسر ، وما ساعد على ذلك أنه ظهرت فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة
وانكشفت مغالطات كثيرة وتصححت مسائل ظلت مغلفة بالضباب منا وتخطت
مسلمات كاذبة ظل النفوذ الأجنبى يخدع بها المسلمين أعواماً ومع الأسف فإن أجيالاً
كثيرة قد نشأت على هذه الأخطاء . بل أن جيلنا نحن نفسه قد خدع ثمة قبل أن
ينكشف أمامه الفجر الصادق . وجريتنا مع الخطأ حول السلطان عبد الحميد
والاعجاب ببعض البطولات المعاصرة

ومن ثم فإن (العودة إلى منابع) هى صاب دعوة مدرسة الأصالة منذ
أحمد بن حنبل حتى صاعها ابن تيمية وابن القيم فى منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف
عن أن يجعله المجاهدون الأبرار جيلاً بعد جيل فلم يخل منه جيل .

ويجب أن يعلم العلمانيون والتغريبيون العرب والمسلمون أن هناك مقاييس
أصيلية قد أقامها الفكر الإسلامى فى النظر إلى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ
تختلف اختلافًا واضحاً عن تلك المفاهيم المستفادة من الفكر الغربى الوثنى السامى

ورثت الفلسفة اليونانية والقانون الروماني والمسيحية الغربية، هذه المفاهيم الإسلامية مستقاه من الفطرة الأحمدية ومن القيم الأساسية التي قدمها القرآن وعرفتها أمتنا منذ أربعة عشر قرناً بينما مفاهيمهم الوافدة لم تعش أكثر من مائة عام .

وليعلم المتفردون والعلمانيون أن محاولاتهم لبناء فهم فكري تابع تحت اسم الخلط بين قديم الإسلام وجديد الغرب مرفوض تماماً لأنه منهج زائف لا يرمى إلا إلى سيطرة الفكرة الغربية وهزيمة الفكرة الإسلامية، وهو تكرار لمحاولات الغاشين السابقين طه حسين وسلامة موسى وعلى عبدالرازق ، وهو ليس أصيلاً ولا مستقيماً من تراث هذه الأمة أو مراثيها ، أنها محاولة لتبرير الواقع ولخداع المستيقظين وتغيير الله ان جلده ، لطرح مفاهيم معومة ترمى إلى الانخدال عن مفهوم الإسلام الأصيل في مواجهة الأعداء .

واينهلوا أننا أمة واعية فطرية غر خادعة ولاخدوعه ، تفتح الأبواب ليكل فكر (لنستفيد منه ونعني تجارب الأمم) وأمامنا تجارب الغرب كلها التي طبقها في بلادنا وقد تكشف فسادها وتبين فشلها، تجارب الماركسية والقومية، والعلانية، والاقليية، والعالية، والإنسانية (الهومينزم) وإحياء الحضارات القديمة الفرعونية والفينيقية وكل هذا هزم وتحطم ، كذلك فإن فرض مجموعة من الخواص تحت اسم القيم الشواخ، وهي بدولات وهمية أمثال طه حسين وغيره فقد أسقطت تماماً فإن مقايستنا في ميزان الإسلام للبدولات والقيم تختلف .

٥ - سقوط المسلمات الباطلة

لقد سقطت كل المسلمات الباطلة التي جاءها المتغريبيون في طرحتها في أفق الإسلام وعاشوا حياتهم يثوبنها ويرددونها ويخدعون الناس بها ، فقد تكشف باطلهم وزيفهم وعرف المسلمون أنهم كانوا مضللين وأن هؤلاء القادة الرواد الشوايح كانوا غاشين لأنهم خادعين لها لا يقولون لها الحق ولا يدلونها على الخير. كذلك فإن اليقظة الإسلامية اليوم أصبحت قادرة على مواجهة هذا الزيف ، وقد رأى توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود ولويس عوض ومصطفى مرعي وغيرهم من كيف واجههم الباحثون الحجة بالحجة في أدب الإسلام الجم ، أنهم يعيشون اليوم مرحلة الهزائم وتنكيس الفكر الواقف لإعلامه ، فقد تبينوا أن هناك فارقاً عميقاً بين الثوري الإسلامية والديمقراطية وبين العدل الاجتماعي وبين الاشتراكية ، أنهم يحسون بالهزيمة عندما يرون سقوط الكثير من مفاهيمهم الضالة ، عن فرويد وماركس وسارتر ودوركايم وزعيمهم دارون كذلك فهم يعرفون اليوم هزيمتهم عندما يسمعون صيحة عودة المرأة إلى البيت وفشل دعوتهم بانفصال الدين عن الدولة وفصل العروبة عن الإسلام ، وفساد دعوى العقلانية بالمعتزلة ، لقد كان لكل منهم مهمة لإحسان عبد القدوس للجنس ، وزكي نجيب محمود للمادية ، وأنيس منصور للوجودية وإدريس الباركسية وتوفيق الحكيم للفكر التلبودي وصالح جهاين للعامة وبهاء وكامل زهيرى للمتوجات الخادعة ولويس عوض للفرعونية والإنسانية والشرقة لى لتزييف تاريخ الإسلام ، أنهم يحاولون إعادة فكرة القومية والعلمانية بعد سقوطهما سقوطاً نهائياً ، وهناك دعاة التصوف الفلسفي ، وأحياء الفرق الباطنية ، أنهم يفرقون اليوم عندما يرون خيبة العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، أنهم يدعون إلى تنحية الإسلام عن الحياة الاجتماعية للمسلمين وحصره في مجموعة من الشعائر والطقوس ، وحصار القرآن الكريم والفصحى وأمثات التراث ، أنهم يدعوننا إلى الانصراف في الحضارة المادية والاعمية وهي في مرحلة الهزيمة والسقوط وينكرون الهوية الخاصة واتميز الذاتي ، ويعملون على تحطيم فاعلتين أساسيتين في الفكر الإسلامي وهما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ - رواد الأصالة ورواد التبعية

أنتى أرجو من المثقفين المسلمين ألا يخلطوا الأوراق ولا يذهبوا فى حكم على الأسماء الامة مندهبا واحداً ، لأنهم شواخ أو بارزين أو مشهورين فيضدون جمال الدين ومحمد عبده مثلاً فى صف طه حسين وسلامه موسى ، فهذا أمر يجب الحية فيه والحذر منه .

إذا كانت هناك دراسات جادة مغلظة تكشف عن انحراف بعض الأسماء الامة أمثال طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق وتوفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ، فإنه من قصر النظر نقبل ما يكتب عن جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والسلطان عبدالحميد على أنه داخل فى دائرة واحدة ، هذه هى مؤامرة خلط الأوراق التى يعمل التغريب على وضعها للتضليل .

كذلك فإن الأمر يختلف بين كاتب له أخلاء وتجاوزات فى بعض نظرياته وآرائه سواء فى التاريخ أو الأدب أو الفكر أو الثقافة وبين كتاب أعدوا إعداداً تاماً ليكونوا أداة من أدوات التغريب والتزوير الثقافي .

ونحن فى هذا المجال لانحيز وجهاً للمقارنة مثلاً بين طه حسين والعقاد (وهم يحرصون على أن يرضوا الاسمين معاً) فى إطار واحد ، فارق كبير بين السكاتين وبين أهدافهما وبين حساب كل منهم ، وهل حظى العقاد فى هذه الفترة الأخيرة بمثل ما حظى به طه حسين ، هل أقيمت المهرجانات واستقدم المستشرقون ليتحدثوا عنه وليطوفوا البلاد العربية يلقون المحاضرات له فى الدفاع عنه .

وأنا قد تأخذ على بعض كتابنا أخطاء أو تجاوزات ولكن ذلك لا يجعلنا نضعهم فى دائرة المخاصمة ، ولكن كتابا آخرين قد نعتز تماماً على الخط الذى رسموه وساروا به من أجل تحويل هذه الامة عن قيمها وعقيدتها ، إذن فليس هناك حكم واحد ، ولكن هناك تقدير منضبط لا يظلم ولا يتهكم الناس أئذاهم .

أقول هذا للذين كتبوا بحسن نية أو بسوء نية يخلطون بين جمال الدين الأفغانى

وطه حسين أو بين سلامه موسى والعقاد ، أن البعض يريد أن يخطط الأوراق ليدعى أن الحملة على التغريبيين ظالمة ، ولكن الواقع أن كتاب اليقظة يفرقون بين أخطاء الدكتور محمد حسين هيكل اليسيرة في السيرة أو تجاوزات العقاد في مفهومه للعبرية وبين تلك الوجهة الكاسحة من التغريب التي يقودها طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق وتوفيق الحكيم ولويس عوض وزكي نجيب محمود .

أما الذين لا يريدون أن يصدقوا أخطاء لطفي السيد وسعيد زغلول وطه حسين فهم أولئك الذين يخدعون أنفسهم بالجرى وراء وهم القداسة الكاذبة للشخصيات البشرية التي تخطئ وتصيب ، فانهم لا يقبلون أن يفهموا حقائق التاريخ التي ظلت خافية عليهم زمنا طويلا .

أن أبرز الظواهر التي حققتها عملية إعادة تقييم مرحلة التبعية التي بدأها لطفي السيد وطه حسين واستمرت في توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود ولويس عوض هي انكشاف مخطط التغريب والغزو الثقافي ومؤامرة الاستشراق والتبشير .

١ - انكشاف ظاهرة المصطلحات الأجنبية المنقولة وهي المعبرة عن تصورات مصالح أجنبية غريبة عن كيان الأمة الإسلامية وعقائدها ومصالحها مع تأكيد أهمية الالتزام بمصطلحات نابعة من عقائد الأمة وتاريخها وروحها وجوهر شخصيتها الإسلامية .

٢ - انكشاف محاولة تفسير القضايا الكبرى تفسيراً خاطئاً كما يقال عن أن الأديان الثلاثة واحدة ، ومحاولة دعوة العرب إلى بدأ جديد للفكر والأدب والثقافة منذ الحملة الفرنسية أو محاولة تجديد القومية والاشتراكية التي أثمرت ١٩٦٧

٣ - كشف زيف الاقتصاد الوضعي ، القانون الوضعي ، التعليم العلي ، سقوط منهومها الباركي ، كشف خطأ تفسير معارك حطين والقدس ودمياط والمنصورة وعين جالوت على أنها معارك صراع عربي بينما هي معارك إسلامية أساسية .

٤ - انكشاف زيف أخبار الفكر الباطني والوثني والإباحي ، كتابات ابن سينا والحلاج وأبو نواس ورسائل اخوان الصفا وابن عربي وتهذيب الأخلاق

لابن مسكويه ، وكلها لا تمثل المفهوم الإسلامى الأصيل وإنما تمثل المفهوم الرافد من الفكر اليونانى .

٥ - انكشاف أخطاء ايدولوجيات الفرس وفلسفاته اسارترو وفرويد وماركس ودوركايم وانكشاف الشخصيات التى لمعت بالباطل على المدى الطويل : جرجى زيدان ، لطفى السيد ، عبدالعزيز فهمى ، سعد زغلول ، قاسم أمين ، طه حسين ، على عبدالرازق .

٦ - انكشاف ظاهرة سيطرة القصاصين على الحياة الفكرية الحديثة مع أنهم لا يعملون أدوات هذا العمل (يوسف إدريس ، توفيق الحكيم ، إحسان عبد القدوس نجيب محفوظ) .

٧ - انكشاف فساد نظرية الاستسلام لروح العصر وتبين أن روح الأمة أعظم من روح العصر ماهى إلا طائفة من التقاليد التى سيطرت على المجتمعات مع الزمن بصرف النظر عن اقيم الإسلامية وفساد فكرة الولاء والتبعية والمتابعة وتحسين الواقع وتمييقه بالنسبة لانحراف المجتمعات وفروعها عن أمر الله وحدوده فيه ، فالإسلام لا يقر الاستسلام لروح العصر أو التبعية للأوضاع التى رسمتها الظروف وتراكت عليها شتات الأمم وأهواها .

الباب الأول

جيل العمالقة والقمم الشوامخ

لطفي السيد وأكذوبة أستاذ الجيل

خلقت لنا فترة التبعية للغرب مساهمات خطيرة وكلمات دخيلة وحاولت سحب كثيرة من سحب الغزو الفكري والتخريب أن ترسم صورة خادعة لبعض الشخصيات وكان أخطر ما أطلق في هذه الفترة كلمة عميد الادب على الدكتور طه حسين وأستاذ الجيل لطفي السيد في أي مدى كان هذا اللقب مدحياً بالنسبة لمنشئ حزب الامة ومترجم أرسطو والخصم الأول للعروبة وللوحدة الإسلامية جميعاً

وفي الحق إن اسم لطفي السيد لمع لمعاناً شديداً وخدع به كثرون وكان لإمتداد العمر وتغير الأوضاع وإقتناص بعض الفرص التي جاءت بها الظروف عاملاً من عوامل القدامة التي منيت بها مثل هذه الشخصيات بالرغم من فساد جوهرها .

وليس علينا ان نصدر حكماً جازماً على شخصية ما، يسلم به الجميع ولكن علينا أن نلقي الأضواء الكاشفة على مثل هذه الشخصية من واقع التاريخ وبالوثائق النابذة ثم ندع القاري ليحكم هو : هل كان لطفي السيد حقيقة أستاذ الجيل وأي جيل

أولاً : الدعوة إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان بإعتبار أنهم وحدهم الذين سيتولون الحكم ومقاومة تعليم سواه الامة ومعارضة الإتهام إلى المجانية وذلك حتى يمكن المحافظة على وجود طبقة معينة تتولى حكم البلاد دون أن يتاح ذلك لباقي أفراد الشعب .

وقد رد عليه مصطفى كامل صاحب اللواء رئيس الحزب الوطني ولخص آراءه وكشف عن فسادها ..

ثانياً : الدعوة إلى العالمية : وقد سار في هذا التيار مؤيداً الخطرات التي كان قد قطبها المستشرقون والمبشرون (مولار - بلسكوكس) وكان أبرز ما دأبوا إليه إبطال الشكل وتغييره بالحروف اللينة وتسكين أواخر الكلمات وإحياء الكلمات العامة والمتداولة وإدخالها في صلب اللغة الفصحى والنزول باللغة المكتوبة إلى

ميدان التخاطب العامى وكانت وجهة دعوته : تمصير العربية بإحياء العامية (مقالاته فى الجريدة خلال شهرى أبريل ومايو ١٩١٣) . وقد رد عليه عبد الرحمن البرقوقي ومصطفى صادق الرافعى بما يكشف زيف هذا الاتجاه

ثالثا : مقاومة التضامن العربى الإسلامى وقد عارض مساعدة المصريين لجيرانهم فى طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالى الاستعمارى لعام ١٩١١ وكتب فى هذا المعنى تحت عنوان (سياسة المنافع : لاسياسة العواطف) مقالات متعددة دعا فيها المصريين إلى الالتزام الحياد المطلق فى هذه الحرب الإيطالية التركية وإلى الضن بأموالهم أن تبشر فى سبيل أمر لا يفيد بلادهم وقد أثارت هذه المقالات على لطفى السيد عاصمة بل وطائنا جارحا على حد تعبير تلميذه الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته .

رابعا : أيد وجهة النظر البريطانية الاستعمارية فى التعاون مع الجاليات المسيطرة المحلة ودعا إلى أن تملك هذه الجاليات فى الأراضى المصرية فيكون لها الحق فى التملك والسيطرة على البنوك والتجارة وغيرها .

خامسا : مجد اللورد كرومر : الحاكم البريطانى الذى أذل المصريين لمدة ربع قرن مسيطرا على سياسة البلاد وساحقا لكرامتها وذهبها لثروتها وحياتها يوم خروجه من البلاد تحية الأبطال وقال عنه :

« أمامنا الآن رجل من أعظم عظماء الرجال ويندر أن نجد فى تاريخ عصرنا ندا له يضارعه فى عظام الأعمال : هو اللورد كرومر وقال : اوبقى اللورد كرومر عالما واحدا فى منصبه لعيد عيده الذهبى فى خدمة دولته ، نشر هذا فى الجريدة فى نفس اليوم الذى ألقى فيه كرومر خطاب الوداع ففسب المصريين جميعا وقال لهم أن الاحتلال البريطانى باقى إلى الأبد .

سادسا : رسم لطفى السيد خلال عمله فى الجريدة (١٩٠٨ - ١٩٠٤) منهجا للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبى والاحتلال البربرى انى والفكر الغربى تحت اسم عبارة ماكرة عادية هى

(مصر للمصريين) وقاوم بهذا الفكر ذلك الاتجاه الاصيل الذى كان يحمل لواء دعاة الوطنية الصادقة والفكر الإسلامى النير وكون مدرسا تحقق لها بعد الحرب العالمية الأولى السيطرة على مقدرات الأمور بعد أن أقصى رجال الوطنية الحقبة :

سابعاً : تبين أن مترجمات لطفى السيد عن أرسطو (التى ترجمت من الفرنسية) (السباسة . السكون والفساد . الأخلاق) وهى منسوبة إليه ، تبين أنه ليس مترجمها وأن مترجمها الحقيقى هو قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية وذلك بشهادة عديد من معاصرى هذه الفترة .

وممنهم (الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب السابق ولا يزال حيا يرزق) ثانياً : بالرغم من دعوة لطفى السيد العريضة إلى الدستور والحرية فإن الوزارات التى قبل الاشتراك فيها كانت كلها تنسب لطابع واحد فى جميعها وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحريات العامة .

يقول الأستاذ فاروق عبد القادر : أن الباحث فى لطفى السيد ليس بوسعه أن يتجاهل هذا التناقض كيف للرجل الذى كتب مطالباً بالدستور مدافعاً عن الحرية أن يشترك فى وزارات عبثت بالدستور وصادرت الحرية ، كيف يشترك فى وزارات طابعها الإرهاب والسخط على الحريات .

ثالثاً : إن حزب الأمة الذى أنشأه لطفى السيد كان ياجع الاراء صاعدة بريطانية أراد بها اللورد كرومر أن يواجه الحركة الوطنية بجموع من الإقطاعيين والثروة والأعيان (الذين وصفهم بأنهم) أصحاب المصالح الحقيقية ، وقد كان هدف حزب الأمة والجريدة بقيادة الفيصلوف الأكبر لطفى السيد تقنين الاسماء والعمل على إيجاد شرعية للاحتلال مع والدعوة إلى المهادنة مع العاصب وتقبل كل مايسمح به دون مطالبة بشئ .

هذه مجموعة من الحواطط العامة نضعها بين يدى القارئ العربى المثقف دون أن تقدم حكماً على لطفى السيد ونهذه هو أن مصدر هذا الحكم . ولقد تعددت المصادر والأبحاث التى تكشف حقيقة هذا الرجل فليرجع إليها من يشاء وكلها تجمع على أن هذه الدعوة التى حملها لطفى السيد إنما هى خطة دقيقة محكمة من خطط الاسعاف

للغربي والنفوذ الاجنبي ، فإن اللورد كرومر أراد في إطار عمل مرسوم أن ينشئ في مصر جيلا جديدا يسير في ركب الاستعمار معجبا به مقدراً له ومحبا ولذلك عمل خلال عشرين سنة أو يزيد على صياغة هذا الجيل عن طريق المدرسة وعن طريق الثقافة وكانت دعوته الملحة الحارة أن يريدا نيا ستسلم مصر لأبنائها متى ظهر هذا الجيل الذي يعمل بالتعاون مع الاستعمار ونفت نظر الشباب المتعلم وهم جميعا من أبناء الطبقة التي أنشأها النفوذ الاستعماري وسودها وجعلها مركزا لقيادة السياسية إلى أنهم هم حكام مصر في المستقبل اقريب .. وكان حريصا على أن تشكل هذه القوة أو هذا الحزب في نفس الوقت الذي كان الاحتلال يضرب القوى الوطنية وأصحاب الأصالة ليقضى عليهم ويفرغ البلاد منهم ويسلمها لهذا الجيل الذي كان من قياداته : لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمي وقد تشكل حزب الأمة من مجموعة من أصحاب النفوذ وكبار الباشوات والملاك مثل محمود سليمان وحسين عبد الرازق وحمد الباسل وغيره عبد النور وسليمان أباطة وعبد الرحيم الدمرداش والطرزي وغيرهم وكان رأى هؤلاء أن السلطة الفعلية قد آلت كلها إلى كرومر الذي يمثل سلطة الاحتلال وأن مصالحهم الشخصية تقضى عليهم أن يكونوا على وفق معهم فالتقوا حزبه بصفة رسمية في ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ برئاسة محمود سليمان باشا وتولى لطفى السيد قيادة فكرهم وحياتهم التي جمعوا لها في ذلك الوقت مبلغ ٣٠ ألف جنيه : وقد ظهرت الجريدة في ٩ مارس ١٩٠٧ تصور الاحتلال على أنه حقيقة واضحة وترى أن عدم الاعتراف بشريته لا تعنى عدم وجوده ولا يقلل من سلطته أو نفوذه وكانت ترى أن هؤلاء المحتلين ماضون في طريقهم مستغلون بتضريعات الأمور ، رضى المصريون بذلك أم كرهوا وأن التخلص من الاحتلال يحتاج إلى قوة لم تتوفر للمصريين وأن دعاة الحركة خياليون ينفقون الوقت فيما لا طائل تحته وأنهم أصحاب خيال وتهريج .

وبذلك استطاع لطفى السيد أن يرسى مفاهيم الانجليزية المصرية الضيقة التي تكره العرب وتكره المسلمين وتعارض كل تقارب وكل صلة بل وتكره الاتصال بالفسكر الاسلامي الذي هو أساس الثقافة والتعليم . وقد صوره هذا المعنى المتمشوق

عربي هو ألبرت حوراني قال عن لطفى السيد مايلي : كان يرى أن بريطانيا قوية وأن لها مصالح جوهرية في مصر وأنها هي نفسها قد أعلنت عن لقاها في مصر إلى أن تصبح هذه قادرة على حماية المصالح وإذن لا يمكن إخراجها بالقوة . وقد أعانت بريطانيا تجديد احتلالها وخلقت الشعور بأنها باقية إلى الأبد وأن مصلحة مصر تقتضى التعاون معها في أى تدبير تتخذه في سبيل إنماء قوة البلاد وهكذا كان يتفك لطفى السيد سمرم التثبيط والاسترخاء في وجه دعاة الوطنية ولا يقف عند هذا الحد بل يتهمهم بأنهم خياليون مغالون في الخيال ويتهم خطتهم بأنها ولاء لشركيا بينما لم يكن مصطفى كامل ومحمد فريد إلا دعاة إلى الحرية والاستقلال والجلاء دون أن يلينوا أى لين لتقبل وعود بريطانيا وكانوا في دعوتهم لا يستهدفون العودة إلى النفوذ التركي العثماني وإنما كانوا يؤمنون بأن حركة الحرية يجب أن تتم داخل إطار أوسع من الإقليمية ويجب أن تكون في إطار الجامعة الإسلامية والمفاهيم الإسلامية الأصلية التي كانت بريطانيا عن طريق حزب الأمة تهدف إلى تجريد المصريين منها ودفعهم إلى التبعية في التشريع والتعليم والاقتصاد لتكون مصر خاضعة تمام الخضوع للقانون الوضعي ولمفاهيم العرب في التعليم والثقافة ولتقطع الصلة تماما بين مصر وبين جيرانها عربا ومسلمين وبين الفكر والثقافة في مصر وبين الفكر الإسلامى الأصل المستمد من القرآن والسنة . ولقد كان لطفى السيد في دعوته هذه يتفحص أهمية الأرضية الإسلامية للفكر والثقافة والتعليم ويغالى في التبعية للفكر الليبرالى الغربى الذى كان في هذه الفترة خصيصاً الدين والأخلاق .

* * *

يقول ألبرت حوراني : وإن الانطباع القوى الذى تركه قراءة مقالات لطفى السيد التي نشرها في الجريدة (وهى كل ثروته الفكرية) هو الاندهاش من الدور الصغير الذى لعبه الإسلام في تمكين رجل تلمذ على (محمد عبده) لاشك أنه كان يشعر بأنه هو ومعظم مواطنيه مسلمون بالوراثة ، وأنهم جزء من الأمة ، لكن الإسلام لم يكن المبدأ المسيطر على تفكيره فلم يهتم بالدفاع عن الإسلام

كالأفغانى ، ولا يتم كحمد عبده بإعادة الشريعة الإسلامية إلى مركزها كأساس خلقى للجمع. وفى هذا يقول : لست عما يتشبثون بوجوب تعلم دين بعينه أو قاعدة أخلاقية بعينها ، ولكنى أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادئ تبعثى عليه المتعلم من صفه إلى كبره ؛ هذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر .

وهكذا ترى أن مفهومه للأخلاق والدين مستمد من الفكر الغربى ويعلق حورانى فيقول : ' وهكذا نرى أنه تخلى عن أول مبدأ من مبادئ محمد عبده واستفاض عنه بمبادئ جديدة . ويقول : لقد أخذ يطرح أسئلة جديدة لا تدور حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار المجتمع الإسلامى أو انحلاله . بقدر ما تدور حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار أى مجتمع أو انحلاله ، كذلك لم تكن المفاهيم التى أجاب بها على هذه الأسئلة هى مفاهيم الفكر الإسلامى ، بل مفاهيم الفكر الأوروبى حول التقدم والمجتمع الأفضل .

ويقرر حورانى أن لطفى السيد ورفاقه تأثروا بنعمتين من التفكير الأوروبى : أولاً : تفكير كونت ، ورينان ، وبل ، وسبنسر ، ودوركايم الذين ذهبوا إلى أن المجتمع البشرى متجه بحكم سنة التقدم نحو طور مثالى يتميز بسيطرة العقل واتساع أفق الحرية الفردية وحلول التعاقد الحر والمصلحة الفردية محل العادات والأوضاع الراهنة .

ثانياً : تفكير جوستاف لوبرن الذى يقول بفكره الطبع القومى ، وأن كل شعب له بنية ذهنية ثابتة بثبوت بنيته الجسدية . ويقول الحورانى :

إن لطفى السيد يحدد فكرة الأمة على أساس الأرض ، لا على أساس اللغة والدين ، وهو لم يفكر بأمة إسلامية أو عربية بل بأمة مصرية هى : أمة القاطنين أرض مصر ، وكان شعوره بوجود مصر شديد بحيث أهمل الأحرار على عناصر الوحدة الأخرى . فعظم القاطنين فى مصر يشتركون فى الأصل واللغة والدين .

ولا يستطيع أن يتجاوز عرض حياة لطفى السيد دون أن نذكر زيارته للإمامة الأميرية فى القدس ١٩٢٤ واشتراكه فى استقبال الوفد الصهيونى إلى مصر برئاسة الدكتور وايزمان حيث أقيم له حفل شام فى فندق السكوتيليا ١٩٢٦ .

(٢)

الحملة على اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى العامية

كانت حملة لطفي السيد على اللغة العربية الفصحى هي أخطر الأعمال التي قام بها والتي دفعته بالتبعية لأنه يواصل الخطى التي بدأها الاستعمار البريطاني بقيادة ولكوكس وقد كانت محاولته مأكرة خبيثة بدأها في ١٨٩٩ في مجلة الموسوعات حيث ادعى أن اللغة العربية أصبحت تعلمها أبعاد مالا من تعلم اللغات الأجنبية ، ودعا إلى تسكين حروف الهجاء وفك الإدغام، وإهمال الشكل، وسخر من هذه الضوابط كلها ، ثم وسع نطاق الدعوة عام ١٩١٣ في جريدة الجريدة فكتب أكثر من سبع مقالات (أبريل-ومايو ١٩١٣) وهو في هذه الحملة كان خادعا فهو لم يفاجم القارئ بالحملة على اللغة العربية (وكذلك خصوم اللغة العربية يفعلون ذلك فلا يكشفون عن خصومتهم) بل يصدرون عن غيرة مفتعلة تدعوهم إلى إدعاء المحافظة عليها حين يوجهون سمومهم وهو لم يدع إلى ترك الكتابة بالفصحى إلى العامية بل تسلل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المكر والمداورة وكانت دعوته إلى إدخال الكلمات الأجنبية (الأنومبيل والبسكلت والجاكتة والبنطلون وغيرها) إلى اللغة العربية وقال أنها دخلت اللغة فعلا وأننا لا نستطيع أن نضع لها ولا لغرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة .

وقال الأسماء الجديدة هالها لو أخذناها (زى ماهيه) .

وقال أن اللغة ملك الأمة والكتاب الحربة في الزيادة عليها بأساليب جديدة ألفاظ جديدة ، وأنه لا حرج على الكاتب أو المترجم أن يستعمل من الألفاظ ما شاء لما شاء من المعاني ، ويقول تريد أن لا نذر (اللغة العامية) أو لغة الشعب تموت بأبعاد عربيتها وفصيحتها عن عالم الكتابة والعلم وتريد أن ترفع لغة العامة إلى الاستعمال الكتابي ونزل بالضرورة من اللغة المكتوبة إلى ميدان النخطاط

والتعامل، وقال أن العامية وأسماءها لغة، لها مشخصات ثابتة تحددها من جميع الجهات وتجعلها مميزة تميزا اتاما ودعا إلى استعمال العامية في الكتابة .

وقال أن كل الحروف تكون ساكنة ولا تتحرك إلا بحروف الجله .

هذه هي المؤامرة التي حمل لوائها لطفى السيد الذي أختير بعد ذلك رئيسا لجمع اللغة العربية وقد عاشت هذه الأفكار قائمة في حياته وفكره بل وعمل المجمع إلى تحقيقها بعد أن ضم إليه عدد من خصوم اللغة العربية أمثال طه حسين وعبد العزيز فهمي الذي دعا إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ومن بعد ذلك عدد كبير من هؤلاء السطووين التخريبيين .

وقد وقف عبدالرحمن البرقوقي ومصطفى صادق الرافعي في مجلة البيان موقفا حاسما جريئا في الدفاع عن اللغة العربية وقد حملا لواء الاتهام للفضى السيد مؤمنين بأن القضاء على اللغة العربية هو قضاء على أقدس مقدسات الأمة الإسلامية .

وكتب مصطفى صادق الرافعي يرد عليه تحت عنوان :

الرأى العامى فى اللغة العربية الفصحى

وعصوا أنهم يريدون أن تسهل الألفاظ وتنكشف المعاني وتكون الكتابة فى استوائها وجمالها كصفحة السماء فهل البلاغة العربية إلا تلك، وهل هذا أمر غير عربى بل وهل يعرفون أصلهم الله أن الظنل يرى كل ما يدور فى مسعته من ألفاظ والديه كأنه إنما يلقى لهما اعتصاما واعتسافا واستكراها إذ لا يفهم من كل ذلك شيئا إلا بمقدار ما يعتاد وعلى حسب ما تبلغ حاجته .

ثم ما هو حكم العامى - وهو فى كل أمة الطفل العلمى - بجانب أهل العلوم ، أتراه يلقب عنهم إلا بميزان تلك الخريزة الفطرية فى الطفل الصغير مع أبويه فلم لا تحمى العلوم وألفاظها وأساليب التعبير عنها ونحو ذلك مما تتراخى به شقة الفهم إذا تعاطاه ذهن العامى أو حاوله ويكون سداد العلماء فيما ينطقه العامه وسداد العامه فيما يطقه الأطفال .

وأنت إذا تخطيت أمر الطفل اللغوى والطفل العلمى وأسست فى حده هذه

الطفولة لم تر إلا طراز أصحابنا وهم أطفال الأفلام فهل يكبر عليهم أن يكبروا ويشيدوا وأن يساووا الفطرة في مجراها فيأخذوا الشيء بأسبابه ويأتوا الأمر من بابيه ، يصدرون رأيهم على جهل فإذا كشفت لهم معناه وبصرتهم بمصايره ووقفت بهم على حدوده وأريتهم وجوههم في مرآة النصيحة أنكروا حاجت به وحسبك تمترى الكذب وأصروا واستكبروا استكباراً لأن رأس عليهم أن يظنوا لا أن يحققوا ما يظنون فالرأى هو الرأى في ذاته لا ما يتعلق به ولا ما ينادى إليه .

اللغة مظهر من مظاهر التاريخ والتاريخ صفة الأمة فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها واشتمالها جلدة أمة أخرى ، فلو بقي المصري شيء متميز من نسب الفراعنة لبقيت لهم جملة مستحصلة من اللغة الهيرغليفية وأن في العربية سرّاً خالداً هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب أن يؤدي على وجهه العرب الصريح ويحكم منطقاً واعراباً بحيث يكون الاخلال به مخرج الحرف الواحد منه كلزيف بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤداها ثم هذا المعنى الإسلامى (الدين) المبني على الغلبة والمعقود على أنقاض الأمم والقيم على الفطرة الإنسانية ، والقرآن الكريم ليس كتاباً يجمع بين دفتيه ما يجسعه كتاب أو كتب لحسب ، إذ لو كان هذا أكبر أمره لتجلت عقده ، وإن كانت وثيقة ولآتى عليه الزمان ، أو بالحرى لنفس من أمره شيء كثير عن الأمم ولا استيتان من منه مسامح لتحرين وامتدليل من غال أو مبطل ولكانت عربينه الصريحة الخالصة عذراً للموام والمستهجمين في إحالتهم إلى أوضاعهم إذا ثابت لهم قدره على ذلك . وليس يقول هذا إلا ظنين قد انطاوى صدره على غل واجتمع قلبه على داخله مكروهه وإلا جاهل من طراز أولئك لا يستطيع نظره بتجربه ولا ينفذ بعلم ، ولأنما هو آخذ بذنب الرأى لا بوجهه ولكن بتوجهه معه ولا يقبل به ولكن يدبر به الرأى .

لأنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية فلا يزال أهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً حتى يتأذن الله بانقراض الخلق

وعلى هذا البسيط ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردم إليها وأوجبها عليهم لما أطرده التاريخ الإسلامي ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله ولما تماكنت أجراء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية ثم تلاحت أسباب كثيره بالمسلمين ونضب ما بينهم فلم يبق إلا أن تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الأمم على وجه من الجنسية الطبيعية - لا السياسية - فلا تدب من آثارهم بعد ذلك إلا ما يثبت عن طريق الماء إذا انساب الجدول في المحيط، على أنك لو اعترضت على من يهجن العربية ويزرى على سبكها لرأيت أنه أجهل الناس بتركيبها وحكمه اشتقاقها ووجوه تصرفها ثم لرأيت له غرة في تاريخ قومها فهو أن عرف منه شيئا فقد تجرد من ثمرة المعرفة كان يحفظ طلاس لا يتخبط فيها حتى يتخبطه الشيطان من المس ، ثم ترى الألفة الكبرى أنه مستدرج من حيث لا يعلم فهو يكافئ محبة لغة أجنبية أحكمها بعدواة لفته التي جعلها ويجزى منفعة تاريخ عليه بضرة اتاريخ الذي لم يعلمه والناس أعداء ما يجهلون .

٣٠ ربيع الثاني ١٣٣٠ (البيان)

(٣)

سياسة الجريدة

قال الدكتور محمد محمد حسين : أن الجريدة كانت تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة ، وترى أن الاعتراف بشرعيته لاتعني عدم وجوده ولا يقلل من سلطاته أو نفوذه وقد دعا لطفى السيد إلى الولاء للثقافة الغربية والفكر الغربي ومهاجم الحركة الوطنية وتأول تصرفات الاستعمار البريطاني وبرر وجوده في مصر وقدم مقاييس مختلفة عما كانت يؤمن به التوجه الوطني والإسلامي في ذلك الوقت وأيد سعد زغلول في عدم تعاليم العلوم باللغة العربية وتعليمها للغات الأجنبية ، ودعا إلى مقاومة تعليم سواد الأمة وعارض الاتجاه إلى المجانية وجدد مزاي السياسة البريطانية ومدح اللورد كرومر عدو الوطنية المصرية وقال عنه أنه رجل من أعظم الرجال.

هذا هو المنهج الذى سارت عليه الجريدة لسان حال حزب الأمة .

قال الشيخ عبدالعزيز جاويش : أما الجريدة فإنها منذ اليوم الاول لها وهي موالية للاحتلال على نحو فيه ذكاء وبراعة فهي تدعى أنها تمثل وجهة نظر أصحاب المصالح الحقيقية وهم أصحاب البيوتات والمقصور ويمثلوا الطبقة الارستقراطية المصرية التى كونها كرومر وقدمت ولاءها للانجليز وتؤمن الجريدة بأن الاحتلال أمر واقع لاسبيل لمقاومته ومن المصلحة الانتماع بما يمكن الحصول عليه ولكن المواقف المموالية كانت تكشف تبعية الجريدة يوما بعد يوم ولم يكن طيبا من الجريدة على لسان لطفى السيد فله سوف الحرية أن تؤيد عودة قانون المطبوعات ومن رأى جاويش أنها فعلت ذلك لأنها تعلم أنه لن ينفذ عليها :

وفي الوقت الذى يدعو فيه الحرب الوطنى إلى مجلس الأمة المنتخب الممثل للأمة يذهب لطفى السيد إلى أن (مجلس الشورى) الذى صنعه الانجليز يصح أن يطلق عليه مجلس الأمة ويقول جاويش في استهلال إحدى معاركه مع مدير الجريدة .
وإذا سألتنا مدير الجريدة عن المجلس الممثل للأمة ، ذلك المجلس الذى تطالب

به ونلج في طلبه ، لأننا الآن محرومون من مجلس يمثل الأمة تمثيلا بكافة طبقاتها ، وإذا جارينا مدير الجريدة في اعتبار مجلس الشورى ممثلا للأمة لاعتبر أن كل ما تقرره كأنه صادر عن مجموعها وهذا مالا يقول به أعضاء الشورى أنفسهم فأين هذه القواعد التي يقررها الآن مدير الجريدة من مبدأ سلطة الأمة الذي ينادى به في كل حين ، هل ينطبق هذا المبدأ الشريف السامي مع اعتباره مجلس الشورى بنظامه الخاص ممثلا للأمة أمام السلطة التنفيذية .

و) يلاحظ أن مجلس الشورى ليس مجلسا منتخبا على النحو البرلماني وليس رأيه ملزما للحكومة ، وقد صرحه الانجليز بعد أن ألغوا الدستور (ثم يعرض جاويز لما ذكره لطفي السيد من وصف (مصطفى كامل) صاحب اللواء بأنه لا ينطق إلا بالكفر ، وأن سياسة اللواء خرقاء وكتاباتة عصمية ليست من العقل في شيء) .

وقال جاويز : إذا كان ماتحتوى عليه خطبة الاسكندرية لمصطفى كامل كفرا فالإيمان في مذهب (الجريدة) هو الرضا بالاحتلال وعدم المطالبة بالاستقلال وهل يمكن أن يقال أن حزب الأمة متحد مع الحزب الوطني .

وأشار جاويز إلى موقف لطفي السيد من الذين هاجروا تكميم كرومر عند اتهام مدة حكمه وحملته مصطفى كامل عليه إذ ذاك وقال جاويز :

(انسبت حملته الصادقة على الجريدة عندما كانت تدعو القوم إلى إقامة احتفال بلورد كرومر ونشر في صحيفتك الجريدة هذه العبارة :

(وما يذكر لجانب اللورد كرومر من علو الهمة والثبات على مبدأه أن كبار الأعيان طلبوا إليه أن يقدموا له هدية تذكرا لشخصه يذكر به المصريون الذين أقام بينهم هذا الزمن الطويل موفور القسطنطينية والذاتية والشمع وحسن اللقاء والحلم) ..

وردد جاويز في مجال تصوير الفرق بين مفاهيم الجريدة واللواء للوطنية قول مصطفى كامل (أن سياسة الجريدة تداننا على أنها أشد الجرائد تعلقا بالاحتلال وحسبنا قبحا فيهن استذكروا الاحتفال باللورد كرومر أعداء المصريين

والطاعن على الإسلام والمسلمين (١٨/١١/١٩٠٧ الهـ) وأضاف جاويش :
قوله ولا عجب من أن يكون مدير الجريدة هو الآلة الخائضه لهذه السياسة .

وأشار جاويش إلى الفارق الواضح بين اتجاه الجريدة وحزب الأمة وبين اتجاه
الحزب الوطني في موقف خيبر ، عندما هوجمت طرابلس الغرب فنهضت مصر
كلها لتدافع عنها وتقدم لها الأموال والرجال والأسلحة لمقاومة الاحتلال الإيطالي
الباطش ، الذي كان يدمر السواحل الليبية جارة مصر ، هنا لك تصدى لطفي السيد
للأمر فسخر من المصريين لموقفهم من طرابلس وقال :

مالنا نحن وهذا الأمر ، أن ما يحدث هناك لا يهم مصر ولا دخل لنا فيه ودعا
إلى السياسة المنافع لا العواطف ، ودعا الحكومة إلى محاسبة من يحاؤون لواء الدعوة
إلى مساعدة طرابلس .

وقال جاويش (لقد خسر الذين فتنهم وساوس صدورهم ، وأعمتهم عن الحق
سخافات مكشفاتهم ، يحاولون أن يصرفوا الأمة المصرية الإسلامية ، عن تخفيف
ويلات إخوانهم الذين أغارت عليهم دولة الخيانة والعذر ، إخوانهم في الإنسانية .
أن مساعدة المصريين للدولة العثمانية مساعدة حريية أمر لا يصح معه اتهامهم
بالتعصب .

أى مدير الجريدة ، أى عدو نفسه ، هل نقيمت منا أن ندعو المسلمين لنجدة
المسلمين ، وأن نستنفر الموحدين لإغاثة الموحدين ، فإذا كنت تريد ، أن الأمر
لم يزد على أعمال الاعانة ، أعمدنا إلى السيوف فسلطناها وإلى البنادق فصوربناها وإلى
الرماح فشدناها .

أى عدو بلاده ، رأيت مصر العزيزة مشرفة على موسمها المسالى ، ثم رأيت
بنظارتك كيف تجلب إليها الأموال من كل جانب فز عليك أن تحمد ذا نعمة ،
وشق على نفسك أن يستفيد غيرك من أصحاب المزارع ، ثم تعلم (ومثلك من تعلمه
الفاسفة) .

مكانك مكانك أيها الجبان فما لك يمينك صورتها وتصديقك ذكرها

إن لم تشأ تغير لك أن تحفر الأرض بأظافرك ، وأن تتردى فيها ثم ارطم رأسك بالحجارة حتى يخرج من دماغك ذلك المنخ الذي كان سبب شقائك وأصل بلاءك .

وقد أخرجت مدرسة الجريدة جيلا من الكتاب عرف فيما بعد بحزب الأحرار الدستوريين وانطوى تحت لوائه في هذه المفاهيم طه حسين ومحمد حسين هيكل ومحمود عزمي وعلى عبدالرازق ، وقد تمددت هذه الأفكار في هؤلاء مقاومة للوحدة الإسلامية والعروبة وقبول الاحتلال وانتقام معه وقصر التعليم على أبناء البيونات وحدهم والولاء للفكر الغربي والفلسفة اليونانية والديمقراطية الليبرالية الغربية .

(٤)

لطفى السيد

وترجمة مؤلفات أرسطو

« لم يكن أرسطو معلما للمسلمين » .

كان الأستاذ أحمد لطفى السيد (أستاذ الجليل) هو أول من ترجم فلسفة أرسطو بترجمة كتاب (الأخلاق) إلى العربية عن الترجمة الفرنسية التي قام بها من اليونانية (بارتلى سانبيلر) كمنطلق لتبدل جديد أراد به (التغريب) إدخال الفكر الفلسفى اليونانى إلى الأدب العربى الحديث من طريق شخصية لامعة مثل (أرسطو طاليس) وكانت تلك خطوة خطيرة غاية الخطورة ، ذلك أن العرب والمسلمون فى العصر العباسى عندما ترجمت الفلسفة اليونانية رفضوا أرسطو وهاجموه وكشف زيف منهجه وأنشأوا المنهج العلمى التجريبى الذى تبناه روجر بيكون وكان أول خطوات الغرب نحو التجريد بعد التبهية لعصر التأمل الذى كان سمة الفكر الاغريقى وهكذا نجد أن الغرب أخذ من المسلمين المنهج التجريبى فى أول عصر النهضة ، ثم جاء فأعطى المسلمين منهج أرسطو فى أول عصر النهضة العربية على يد لطفى السيد فى مقدمة ترجمة كتاب (الأخلاق) .

يقول : مع أن نقل كتب الفلسفة لم يكن مقصوداً على كتب أرسطو فإن فلسفة أرسطو هى التى غلبت على الفلسفة العربية وطبعها بتابعها والواقع أن الفلسفة العربية ليست شيئاً آخر غير فلسفة أرسطو طاليسى طبعت بالطابع العربى وسميت الفلسفة العربية وبقيت حاملة الاسم بين الفلسفتين طيبة إلى حد أن الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى كانت تدرس الفلسفة العربية باعتبار أنها فلسفة المشائين : أى فلسفة أرسطو : هذا ما أورده لطفى السيد ، وقد علق عليه الدكتور صروف محرر المقتطف (يناير ١٩٢٥) فقال :

أن ما قاله الأستاذ (يعنى لطفى السيد) يؤيده الكتاب الأوربيون الباحثون فى الفلسفة العربية : أن ما يعرف بالفلسفة العربية ليس فيه من العربية سوى الاسم (٤ - م)

واللغة فهو فسكر يونانى منظم عبر عنه بلغة ساهية وحور بالمؤثرات الشرقية وأدخل بين أهل الإسلام بمؤازرة الواسعى الصدر من خلفائهم وبقي حيا بغيرة جماعة من المفكرين الذين لم يخشوا من المجاهرة بأرائهم على أن أمتهم أساءت بهم الظن وردد ماذكره لطفى السيد مما يراه سببا فى رجوع العرب والمسلمين والمصريين إلى فلسفة أرسطو فقال : وكما أن النهضة الأوروبية الحديثة عمدت إلى درس فلسفة أرسطو من نصوصها الأصلية فكانت مفتاحا للتفكير العصرى الذى أخرج كثيرا من الراحب الفلسفية الحديثة فلا جرم أن نتخذ نحن من فلسفة أرسطو لاسيا أنها أشد المذاهب اتقلافا مع طباعنا والطريق الأقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا وتأمله فيها رجاء أن تنتج فى النهضة الشرقية مثل ما أنتج فى النهضة الغربية ، وقال أن فلسفة (المعلم الأول) خالدة ماجدها وطن وأخفى عليها زمن ، فقد بنت عليها كل مدينة صروح مجددا العلمى حتى مدينتنا الجديدة ، هذا هو الاتجاه الذى بدأ به لطفى السيد عمله مديرا للجامعة المصرية واتباعه بوضعه أستاذ الجيل رئيسا لها وفتح الباب لطله حسين وغيره فى الدعوة إلى الاغريق وأرسطو ومذهب علم الاصنام اليونانى .

والسؤال هو : هل حقا كان لطفى السيد أستاذ الجيل صادقا فيما قال وفيما دعا إليه العرب والمسلمين من اتخاذ أرسطو منطلقا إلى النهضة الجديدة وقد مضت كتاباته وكتابات طه حسين وغيره من بعد دعوة ملحة إلى هذا الطريق . أم أن الأمر كان فيه شبهة وخدعة . وهل كان حقا (أرسطو) هو نطاق الحضارة الغربية فى عصر النهضة وما بعدها ، أم أن أول عمل قامت به النهضة هو نقض أرسطو وتزييفه والحلمة على منهجه واعتبار منهجه هو عامل التجميد الذى عاش فيه الغرب معتمدا قرونا حتى جاء نور الفجر مع منهج التجريب الإسلامى الذى أطلق الطاقات إلى عصر العلم الحديث ، ندع هذا للباحثين ، لقد كان علماء المسلمين إنطلاقا من القرآن هم الذين أنشأوا المنهج العلمى التجريبى الذى كان أول حجر فى بناء الحضارة واللم بشهادة :

دراير وبريفولت وجوستاف لوبون فى القديم وسارتون وهونكه وغيرهم فى العصر الحديث ومن أهم الكتب فى هذا الشأن كتاب هونكه (شمس الله تشرق على الغرب) وكتاب (أوروبا ولدت فى آسيا) .

إذن فلم يكن لطفي السيد صادقا في دعواه ولم يكن عميد الأدب العربي طه حسين أميناً حين نقل إلينا هذا المعنى ، ذلك أن المسلمين نقدوا أرسطو أولاً (في القرن الرابع الهجري) ثم جاء الأوروبيون فنقدوه ورفضوه في القرن (الخامس عشر الميلادي) واستعملوا أسلوب المسلمين في نقده ، واتمسوا منهج المسلمين الذي دفعهم إلى ذروة الحضارة والعلم والتكنولوجيا الآن .

إذن فلماذا هذا التحارض : يسأل عن هذا الاستشراق والاستعمار ، ذلك بأنهم على حد تعبير الدكتور محمود قاسم : نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين (جابر وابن الهيثم والبيروني) .

ذلك أن أرسطو هو الذي سيضع المسلمين مرة أخرى داخل القوقعة المنطقية التأملية ويحرمهم من ثمرات منهج التجريب الذي أنشأوه دعاة الغرب .

وهكذا نجد أن هذا المنطاق على يد لطفي السيد وطه حسين وجماعة من أتباعهم يتسع ويمتد حتى يقرر : أن العرب خضعوا لمنهج اليونان وأرسطو في القديم ولما كان الفكر الحديث هو ثمرة فكر اليونان فإن تبعية المسلمين والعرب له لا يعد شيئاً غريباً ولا جديداً ، لأنهم كانوا تابعين لليونان من قبل فلا عجب أن يتبعوا ما جددته أحفاد اليونان ، لم يكن أستاذ الجيل صادقا إذن ولم يكن الدكتور طه حسين صادقا في هذا ، فإن المسلمين لم يقبلوا أرسطو ولم يعتنقوا فكر اليونان وإنما العكس هو الصحيح ، ذلك أنهم قاوموه ونقدوه وأبانونا عن وجوه الخلاف العميق بينه وبين منطق القرآن وتصدى كثيرون منهم لهذا وفي مقدمتهم الشافعي وابن حنبل والغزالي وابن تيمية .

وإذا كان الخلاف مازال واسعا حول ما كتبه الفارابي وابن سينا وهل هو فلسفة إسلامية أو متابعة للشائين اليونان من المشائين المسلمين ، فإن رجلا كريما قدولى قسم الفلسفة في كلية الآداب هو الشيخ مصطفى عبد الرزاق قد فصل في هذا الأمر على نحو صحيح ، ومن خلال دراسات الجامعة نفسها ، وبالرغم من سيطرة طه حسين على عمادة كلية الآداب حين قال : إنما نلتصق بالفلسفة الإسلامية في كتب المتكلمين والفقهاء ، وأن الإمام الشافعي واضع (علم أصول الفقه) هو

أول الفلاسفة في الإسلام وأن مقامه في العربية هو بمثابة أرسطو في اليونانية ، وبذلك نشأت مدرسة الأصالة في مجال الفلسفة وامتدت من بعد واتسعت وكان من أتباعها الخضيرى وأبو ريده وعلى سامى النشار ، ومنذ ذلك الوقت وقد صدر كتاب (تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية) عام ١٩٤٧ وقد كان منهجه تد تقرر قبل ذلك بوقت طويل ، فقد تحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الأصالة فيها وهو ما يزال عسيراً في مجال الأدب والنقد الأدبي فإن التبعية لمذاهب النقد الغربى الوافد مازال قويا .

وقد أثبتت مدرسة الأصالة في الفلسفة الإسلامية (مصطفى عبدالرازق - أبو ريده - النشار) أن المنطق الأرسطو طاليسى : هو منهج الحضارة والفكر اليونانى لم يقبل في المدارس العقلية الإسلامية وأن المنهج التجريبي الإسلامى ذو الذى عرفته أوروبا بعد قرون من مطلع حضارتها الحديثة لمباينته للحضارة اليونانية وأن اكتشاف وجود هذا المنهج لدى المسلمين يفسر روح الحضارة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية حضارة عمالية تجريبية تنجى إلى تحقيق الفعل الإنسانى فى ضوء نظرية حية ملوثة كذلك ، فقد كشفت الأبحاث المتعددة عن اضطراب خطر فى المراجع التى اعتمد عليها الفارابى و باعتراف الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا : أن الفكر الذى نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كانت صورة زائفة دخلت عليها مفاهيم البريانية والنساطرة المرحمين وعقائدهم وكانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية ، ومن هنا كان فسادها فى أن تعطى الفكر الإسلامى شيئاً ، ومن ناحية أخرى فقد تبين أن المقاومة للفلسفة اليونانية ومذهب أرسطو بالذات قد بدأت منذ أن تمت الترجمة وأن المعارضة بدأت منذ اليوم الأول ، ذلك أن الفكر الإسلامى كان قد تم تشكيله قبل الترجمة على أساس قيمة القرآنية من التوحيد والأخلاق ، ومن الربط بين الوحى والنقل ، ولذلك فإنه كان من العسير أن تنصهر فيه الفلسفة اليونانية أو ينصهر فيها ، خاصة وهى فلسفة مجتمع وثنى قائم على العبودية واعلاء الشجوات وعبادة الجسد فضلاً عن أن محاذير الترجمة من فساد وانتحال وتحريف نصوص وأن كانت طائفة من الفلاسفة أطلق عليهم اسم المشائين قاموا بمحاولة شاقة وعسير لإدخال الفلسفة اليونانية فى إطار الإسلام

ولكن المحاولة فشلت تماما ، وكانت وفقة الإمام الغزالي في وجه الفلسفة اليونانية
وقفه صارمة ردت السهم إلى صدور أصحابه فقد كشف عن الفرق بين الفلسفة
الرياضية والطبيعية وبين الفلسفة الإلهية ورفض الأخيرة لأنها متعارضة مع التوحيد
وأعلن أن الكلام في الطبيعيات برهاني ، أما في الإلهيات فهو تخميني . وفي الفلسفة
الإلهية عارض الغزالي القضايا الكبرى الثلاث : التي تقرها الفلسفة اليونانية وتختلف
مع مفهوم الإسلام .

١ - ما يقولون به من أقدم العالم .

٢ - وأن الله (جل وعلا) لا يحيط علما بالجزئيات .

٣ - وإنكارهم البحث ، وهاجم الفلاسفة التي جحدوا الصانع أو زعموا أن
العالم قديم كالدهرية والزنادقة ، والذين قالوا أن النفس تموت ولا تعود ومن
أنكروا الآخرة .

ويقول الدكتور النشار : أن المنطق الأرسطائي قد نقل إلى العالم الإسلامي
وأثر فقط في المدرسة المشائية الإسلامية وبقيت المدارس الأخرى المنبثقة عن
النظام الإسلامي بعيدة كل البعد عنه ، تحاربه وتجاهده ، وكانت قد وضعت منطقا
مختلف تمام الاختلاف في روحه وجزئياته .

وقد وصل علمائنا في مجال البحث من منهج أرسطو إلى حقيقة أساسية هي أن :
منطق أرسطو يعبر تعبيرا دقيقا عن المجتمع اليوناني العبودي المنقسم إلى سادة يتأملون
وعبيد يعملون ، السادة هم الصورة والعبيد هم المادة ، ولكن المجتمع الإسلامي
يختلف عن المجتمع اليوناني اختلافا كبيرا تقوم دوائته على الأخوة والمساواة
وتنطلق من نقطة النظر في السموات والأرض والعمل والكسب والسمي والتجريب
ومن هنا اختلف منهج المجتمع الإسلامي عن مجتمع اليونان من جملة جوانب أهمها :
التوحيد وإلغاء العبودية والممارسة في مجال العلم وبذلك بدأ ذلك التعارض الواضح
العميق بين مجتمع ومجتمع وفكر وفكر فخرج الفسك الإسلامي من الطبقة الأرسطية
التي ترى أن العلم لا يكون إلا بالكلّي أما العلم الجزئي فليس علما ، فتقدم الفسك
الإسلامي فطم هذه القاعدة ، وبدأ النزعة التجريبية من الجزئيات وبذلك خرج

المفكرون المسلمون عن المفهوم الارسطى للحد والتعريف ، واستطاع رجال
الأصول والفقه أن يقيموا نظرة جديدة للتعريف تقوم على أساس الواقع ، وأدى
ذلك الخروج عن حدود القياس الارسطى إلى الحصول على نتائج عملية وأصبح
طابع الفكر العلمى الاسلامى هو طابع التجريب ، ونقد المفكرون المسلمون
قياس ارسطو وقال عنه ابن خلدون أنه قياس ذهنى ، أما المسلمون فقد عرقوا ما لم
يعرفه اليونان وخطو أخطر خطوة فى تاريخ البشرية وهى بناء قاعدة العلم الحديث
نفسه : تلك هى التوحيد بين التأمل والممارسة العملية وأولى المسلمون اهتمامهم
بالرابط، العلية بين الأشياء وعلى هذه الرابطة بين الأشياء قامت التجارب ، وعلى
هذه الرابطة العلية (البحث عن العلة) أقام البيرونى والرازى وجابر بن حيان
وابن سينا تجاربهم العلية وفى نفس الوقت قام المنهج العلمى فى الفكر حيث فسر
ابن خلدون حركة التاريخ وتطور العلاقة البشرية .

وهذه النظرة المتطورة للكون والانسان اختلف الفكر الاسلامى اختلافا
كبيرا عن الفكر اليونانى المترجم وتناقض معه فى مختلف فروع الثقافة من علم
وأصول وفقه وفلسفة عقلية ونظرة إلى الإنسان ولم يكن هذا الاختلاف عابراً
أو طارئاً وإنما كان نتيجة طبيعية لاختلاف التكوين الاجتماعى للدولة الإسلامية
عن الحضارة اليونانية وبذلك ظهر الفكر الاسلامى فى جوهره فكراً تجريبياً
تجاوز منطق ارسطو وأطل على التجربة العلية رابطة بين التأمل النظرى والممارسة
العملية وخرج بذلك على الفلسفة الارسطية والافلاطونية .

وقد صور كثير من الباحثين أثر منهج ارسطو فوصفه الدكتور محمود قاسم
بأنه كان منهجاً عقيماً وأنه ضلل كثيراً من مفكرى العرب ثم وقف حائلاً دون
إزدهار الحضارة العربية ويرجع عقمه إلى أنه كان خلواً من الخيال وأنه كان
أكثر اهتماماً بالقضايا العامة مجردة منه لدراسة التفاصيل والجزئيات ، يستدل على
صحة دعوانا وتواضعها بتاريخ النهضة الأوربية فإنها لم تتحرر من الجود الذى
فرضه عليها منهج اليونان إلا بعد أن عرفت مناهج العرب فى العلم والفلسفة ولنا
أن نثبتهم برهاناً نفسه ، ذلك أنه يصف (بوجي بيكون) بأنه الأمير الحقيق

للفكر الأوربي في القرن الثالث ، ويجب أن تعلم كيف جاءت إماره الفكر ،
إذ ليس في هذا المجال خلق من العدم ومن اليسير أن نكتشف سر أصالته إذا نحن
بيننا أنه أول من نادى بمهاجمة المنهج الأرسطاطليسي في أوربا ودعا إلى اصطناع
نهج العرب فهو يأخذ على معاصريه بأنهم يصيبون لعنائهم على الرياضة من أنه من
الممكن أن يبرهن بالرياضة على كل ما هو ضروري لفهم الطبيعة ولولا الرياضة
لاستحال علينا أن نعرف أشياء هذا العالم معرفة صحيحة تعود علينا بالنفع في الأمور
الإنسانية والأمور الدينية أيضا ، كذلك يأخذ عليهم الانصراف عن استخدام
الملاحظات والتجارب مع أن الطبيعة لا تكتشف أسرارها إلا بدراسة الأمور الجزئية
حتى تصعد بنا إلى القوانين الكلية .

وهكذا انتصر المنهج الإسلامي على المنهج الأرسطاطلي وحطمه في عقر داره بمدة
أن حطمه في مجال الفكر الإسلامي نفسه .

لذا أردنا أن تبين فسكر أرسطو وجدناه يقول بالنظام العبودي اليوناني
ويرى أن (نظام الرق) هو أصلح نظام للبشرية وأن العبد إذا تحرر من عبوديته
فهو عند الإمبر إذا استعبد فهو أحر ، ومنهومه لله تبارك وتعالى ناقص وضال
وماديتة في التفكير بكونه أساس المذهب المادى واضح لا شبهة فيه ، ولذلك فقد
كان لابد أن يصحح الفكر الإسلامى موقفه من أرسطو وفلسفته وخير ما يذكر
في ذلك ما كتبه الإمام الجليل ابن تيمية في كتابه منطق القرآن في مواجهة منطق
أرسطو مما فصلناه في دراسات أخرى .

مراجعة عامة

في مراجعة عامة لحياة لطفى السيد تتكشف مجموعة من الحقائق تلقى الضوء على شخصيته والدور الذى قام به :

أولاً : أن مترجمات أرسطو (التى ترجمت عن الفرنسية) السياسة ، الكون والفساد والأخلاق هى منسوبة إليه ولكنه ليس هو مترجمها فى الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية وقد شهد بذلك الأستاذ أحمد عابدين أحد مديرى دار الكتب .

ثانياً : دعوته على قصر التعليم على أبناء السراة والأعيان .

ثالثاً : حضائنه وحمايته لطله حسين فى كل المواقف التى تعرض فيها لطله حسين للخطر .

رابعاً : كراهيته للعالم الإسلامى والعروبة ومعارضته للانضمام إلى أحدهما وإلحاحه حتى وفاته على الاقليمية المصرية .

(من حديث عبد الحميد السكاك فى أخبار اليوم)

خامساً : أنشأ جريدة الجريدة شركة يرأسها محمود سليمان باشا من كبار المتعاونين مع المحتل ، لمواجهة الحزب الوطنى ودعوته إلى الجلاء ، اشترك فى انشائها الاقطاعيون المصريون أعوان الاستعمار وحزب الأمة الذى تولى جريدته هم الذين كان كرومر يطلق عليهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان لطفى السيد يرى أن السلطة الفعلية فى البلاد هى سلطة المعتد البريطانى ويقف الوقت المهادنه مع الاحتلال .

سادساً : الوزارات التى اشترك فيها تنقسم كلها بطابع واحد فهى جميعها وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحريات العامة ، واتى كتب لطفى السيد مقالات مطولة يطالب بها .

سابعاً : هجومه الشديد على اللغة العربية الفصحى ودعوته إلى تطوير العامية واستعمالها ووصف زكى مبارك أسلوب لطفى السيد بأنه كالرحى التى تطحن القرون

ثامنا : تعد مدرسة الجريدة لطفى السيد هي الاساس للتيار العلماني التتريفي الذي حملته من بعد جريدة السياسة بقيادة طه حسين وهيكمل ومحمود عزمي وعلى عبدالرازق وكانوا يسعون في الفكرة الليبرالية وكانوا جميعا يكرهون الفكرة الإسلامية والوحدة العربية وعاشوا يحاربونها .

ومن العجيب أن عدو اللغة العربية هو الذي تولى رئاسة مجمع اللغة العربية فقاده نحو الأهداف التتريفية .

ويقول أحد الباحثين أن لطفى السيد هو أول من ضرب وحدة الفكر العربي الإسلامي وقسمه إلى تيارين : قومي وديني وسارت الأحزاب المصرية المنبثقة من حزب الأمة (الوفد ، الأحرار الدستوريين) على نفس الطريق الذي رسمه كرومر ونفذه لطفى السيد والذي كان سعد زغلول أكثر إيمانا به ، وقد حل لوائه سعد زغلول بعد ثورة ١٩١٩ واستطاع هذا الاتجاه أن يسيطر بعد الاستقلال وأن يمتلك نفوذ الحكم والميطرة السياسية بينما وقف الاتجاه الإسلامي في حدود ضيقة وبرز من خلال الجمعيات الإسلامية والأزهر بعد أن انتشرت حركة التبشير في الجامعة الأمريكية وسقوط الخلافة وظل مسيطرا حتى أسلم نفسه لحركة يوليو التي عمقت خطر العلمانية تعميقا كبيرا وفتحت الباب واسما أمام الماركسية اللينينية .

الفصل الثانی

جورجی زیدان

مكتبة

مكتبة

(١)

تاريخ آداب اللغة العربية

تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤلف ألفه مارونى تربي فى مدارس الشيوعيين هو جورجى زيدان وعلمه باللغة العربية وآدابها لا يؤمله لفهم مؤلفاتها وهو الصرسى الثقافة ، ولذلك كان الشيخ السكندرى يقطا فيها كتب عنه .

قال الشيخ السكندرى : الأمور التى تؤخذ على الكتاب كثيرة :

أولا : الخطأ فى الحكم الفنى ، أى تقرير غير الحقيقة العلمية سواء أكان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد .

ثانيا : الخطأ فى الاستنتاج ، وهو ما يعذر فيه المؤلف لأنه اجتهاد من عند نفسه .

ثالثا : الدعوى بغير دليل ، وهو ما يقرره المؤلف من غير دليل عليه ، وقد يكون فى ذاته صحيحا ولكن سوقه ساذجا يتيح مجالا للشك .

رابعا : الخطأ فى النقل وهو آت من تصرف المؤلف فى عبارات المؤلفين بقصد اختصارها ، أو من تسرعه فى الجمع ، وقلة مراجعة الأصول .

خامسا : قلة تحرى الحقيقة بمراجعة الكتب المعتمدة والتواريخ الصادقة ، ووزن كل عبارة بميزان العقل والانصاف وقياس الأمور بأشباهها . بل كثيرا ما تروج عند المؤلف أقوال الخصوم فى خصوصهم ، وأقوال الكتب الموضوعية لأخبار المجان ، أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها .

سادسا : تناقض بعض أقوال الكتاب .

سابعا : الاختصار فى كثير من التراجم والمباحث ، وإهمال ما ليس من شأنه أن يهمل .

ثامنا : ادخال ما ليس من موضوع الفن فيه ، لغیر مناسبة أو لمناسبة ضعيفة جدا .

تاسعا : الاستدلال بحزبية وإحدة على الأمر الكلي ، وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي أكثر استنتاجاته ودعاواه .

عاشرا : تقليد المستشرقين في مراعاتهم أو نقلها من غير تمحيص .
 حادى عشر : اضطراب المباحث وضعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها ، أو لعدم صفاء الموضوع للمؤلف .

ثانى عشر : اضطراب التقسيم والتبويب ، أما بذكر المباحث في غير موضعها ، وبعد رجال عصر في عداد رجال عصر آخر .

ثالث عشر : التعميم واللحن وهما كثيرا الشيوع في جميع كتب المؤلف .

رابع عشر : تهافت المؤلف على تطبيق قانون النشوء والارتقاء حتى على الأمور التي فيها تدل والمحظاظ لانشوء ولا ارتقاء .

أولا : الخطأ في الحكم الفني :

١ - قول المؤلف (وكان أبو حنيفة لا يحب الحرب ولا الهريفة حتى أنه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به) .

وقد عزا هذه العبارة إلى (ابن خلسكان - وفيات الاعيان ج ٢) فالذى يثق بالمؤلف يصدق عبارته بعد أن تبرأ من تبعها ونسبها إلى مؤرخ عظيم ، ولكنه إذا أخرها ابن خلسكان في هذه الصفحة ، بل إذا قرأ ترجمة أى حنيفة من أولها إلى راجع لم يشم منها رائحة هذه الالفاظ بل المعاني .

٢ - فقول المؤلف (وكان أئمة الفقه في المدينة ، فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام أهل الفرس لأنهم أنصارهم - أى العباسيين - وأهل دولتهم ، فكان من جملة مساعده في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين ، فبنى بناء سماه القبة الخضراء محمدا للناس (كذا) وقطع المسيرة عن المدينة ، وفتح المدينة يومئذ الإمام

مالك الشهير فاستفتاه أهلها في أمر المنصور ، فأفتى بخلع بيضته فخلعوها ، وبإعزاز محمد بن عبد الله من آل علي بن أبي طالب . ومن عبارته يفهم أن جمهرة أئمة الفقه كانت بالمدينة فقط ، وأن المنصور كان يكره العرب كراهية حملته أن يرتد عن الإسلام ويحاول صرف المسلمين عن تولية وجوههم شطر قبيلتهم ، وأن أهل المدينة استفتوا مالكاً في خلع المنصور فأفتاهم .

وكل هذه الوازم باطلة فلم تكن جمهرة الفقه بالمدينة بل كانت في كل الأنظار ثم كيف يكره المنصور العرب هذه الكراهية وهو عربي ، وابن هم النبي ﷺ وخليفته في أمته وشريعته .

أما عن الثالث فينا فيه ما تقدم ، واعتذار المنصور بعد ذلك لمالك عما وقع ، كذلك فإن المنصور لم يقطع عن أهل المدينة إلا بعد مبايعتهم محمد ابن عبد الله .

ومن خطئه في الحكم عده طاهر بن الحسين - فاتح بغداد وقاتل الأمين - في عداد المنشئين كتاب الرسائل ، مع أن هذا الاسم لا ينطبق عند علماء الأدب إلا على الكاتب في ديوان الرسائل ، ولم نجد فيه طاهر بن الحسين منشئاً قط .

ومن الخطأ في الحكم زعم المؤلف أن علم الكلام ومذهب الاعتزال نشأ في العصر الثاني من حكم بني العباس أي بعد ١٣٢ هـ مع أن المشهور في التاريخ أنه لما كثرت الزنادقة والملاحدة في زمن المهدي ، أوعز إلى العلماء أن يحاجوهم بالأدلة العقلية ويدون ذلك في الكتب ففعلوا وسماوا المتكلمين .

ومن الخطأ في الحكم جعله أبا منصور عبد الملك الشعملي صاحب يتيمة الدهر ، هو صاحب التفسير الكبير المعروف بتفسير الشعملي ، والشعملي هو الامام الحجة البيت (أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الشعملي) فهو شخص آخر غير أبا منصور الشعملي . ومن أخطائه قوله أن القصاصات طالت في العصر الثالث من حكم بني العباس وطول القصاصات لم يختص في عصر دون عصر ، وقواه : أن العرب لم يدركوا شأو اليونان والفرس في تطويل القصائد ، فإن المؤلف لم يفتن إلى الفرق بين الشعر العربي والإعجمي ، فإن الشعر العربي تنظم القصيدة فيه من بحر واحد

وقافية واحدة وروى واحد ، وشعر الأمم الأعجمية ليس له قافية .
ومن الخطأ في الاستنتاج ، زعم المؤلف أن التصوف لم ينشأ إلا في العصر
الثالث أي بعد ٣٢٤ هـ . ونعمى على ابن خلدون وغيره من يرى أن اشتقاقه من
الصوف ، ويرى أن اشتقاقه من كلمة سوفيا اليونانية (بمعنى الحكمة) .
وأقول أن طريقة القوم قد اشتهرت بهذا الاسم قبل شيوع ترجمة الكتب
اليونانية وانتشار الفلسفة .

ومن خطأ الاستنتاج واضطراب الكلام واختلاطه : الفصل الذى كتبه
المؤلف عن السيرة النبوية ، فقد جعل سيرة ابن اسحاق وابن هشام واحدة ، وابن هشام
لم يكن راوياً ، والحقيقة أن سيرة ابن اسحق سيرة كبيرة مستقلة عن سيرة ابن هشام ،
وهى التى يظن فى شعرها ولم يتفق على صحتها وأن ابن هشام لم يكن هو الراوى
لهذه السيرة بل لخص سيرته النبوية عن سيرة ابن اسحاق وغيرها من كتب البخارى .

ثانياً : دعاوى المؤلف :

ومن دعاوى المؤلف بغير دليل دعواه أن ابن قتيبة أول من تبحر على النقد
الأدبى فالف فى أكثر فنون الأدب المعروفة .
فإن أراد المؤلف : أنه أول من كتب فى نقد الشعر ، فليس بصحيح إذ سبقه
إلى ذلك كثير منهم محمد بن سلام الجمعى ، فى كتابه طبقات الشعراء ، وقبله
أبو عبيدة كتاب نقاض جرير والفرزدق .

ومن دعاوى المؤلف قوله : أن الشعر فى العصر الأول من بنى العباس قد بطل
استعماله فى العصبية ، كما بطل استناد الخلفاء للشعراء بسبب انتصارهم لفرق
على فرق .

والحقيقة أن الشعر بقى يستعمل فى العصبية طوال العصر العباسى الأول وبعض
العصر الثانى ، بل لقد فتح الخلفاء العباسيون فى العصبية باباً شراً من عصبية القبايل
وهو تفصيل العباسيين على الطالبيين .

ومن دعاوى المؤلف قوله : ولم يكن للشاعر العربى بد من الرحلة إلى بلاد
العرب لاقتباس أساليبهم ، فليقل لنا المؤلف ما هى رحلات أبى نواس ومسلم

والحسين بن الضحاك ، ومطيع بن اياس وحماد عجرد وأبان اللاحقي إلى بادية العرب .
أن الرحلة إلى بلاد العرب كانت خاصة بالعلماء ورواة الأدب والفة أمثال
الخليل والأصمعي وأبي عبيدة والكسائي .

ومن دعاوى المؤلف أن ابن المقفع كان يعرف اليونانية جيداً ، ولم نر في كتب
الأدب والتاريخ من ذكر هذا .

ومن دعاوى المؤلف في الكلام على طريقة أبي الحسن الأشعري في علم الكلام :
أن الناس عولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين الآراء ، فكيف يعقل أن مذهباً
يسوى بين آراء كل الطوائف ، وفيهم من يناقض مذهبه مذهب الآخر ، وغاية
الأمر أنه اعتدل بين مذهبي المعتزلة والسلفية من أهل السنة .

ومن دعاوى المؤلف : عن المتوكل الخليفة العباسي أنه أهلك جماعة من العلماء ،
وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله .

فن أبن للمؤلف هذا الكلام وكل هذه الغارة على المتوكل من جراء أنه رفع
السنة بخلق القرآن ، ونهى الناس عن الجدل فيها بعد أن أنهكت دينهم وأخلاقهم
وأنه أمر أهل الذمة بلبس شارات تميزهم وأنه صادر بختيشوع الطبيب وبعض
الكتاب لخيانة ظهرت له منهم .

ومن دعاوى المؤلف أن الانشاء في العصر الثالث العباسي قد صار له طريقة
خاصة بماها (كلاسيك) أخذ من اصطلاح الافرنج ، ثم أخذ يسرد شروطاً
للانشاء المدرسي ، والمتتبع لها يجد أن أكثرها لا يختص بعصر دون عصر ، وأن
أغلبها أمور طبيعية وعادية في كل زمان .

ومن دعاوى المؤلف زعمه أن العرب نقلت محاضراتها عن اليونان ، وما نقله
المؤلف من تعريف المحاضرات (نما يؤكد أنها فن عربي بحث كان يطلق قديماً على
عدة علوم من أنواع التاريخ والأخبار والوقائع والشعر ومنه كامل المبرد وآمال
الغالب وكثير من كتب الجاحظ وأبي حنيفة الدينوري .

ومن دعاوى المؤلف أن كتب (السيرافي) لم يصلنا منها شيء . وعده منها كتاب
النحويين البصريين والكتاب في دار الكتب المصرية في نسخة قديمة وأظنها
من كتب الشنقيطي .

ثالثا — الخطأ في النقل :

أخطأ المؤلف في نقل عبارات المؤلفين أما بتصرف فيها تصرفاً أفسد معناها .
وأما بتحريف الكلم وأما بنقلها من نسخة معرفة من غير تمحيص . وهو كثير ..
ومنها خطؤه في تسمية أسم رجل واحد على مسلميين (أحمد بن يوسف
ابن صبيح) فقال أحمد بن يوسف وزير المأمون . وابن صبيح .

ومن نقصير المؤلف في توضيح ما نقله عن السيوطي ، ناقلا عن كتاب العين
ومختصر الزبيدي ، أحصاء المستعمل من الألفاظ العربية والمهملة منها . فاستخرج
المؤلف من كتاب الزبيدي أحصاء المستعمل من الألفاظ العربية ٦٥٢٠ لفظا
مع أن كتاب القاموس (وهو ليس إلا قطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل
على ستين ألف مادة ، متوسط ما في كل منها من المزيد والمشارك عشرون كلمة
على الأقل أي نحو مئتي ألف كلمة فكيف ولسان العرب ، به ثمانون ألف مادة
متوسط ما في كل منها ثلاثون كلمة على الأقل .

رابعا — عدم تحري الحقيقة والضواب :

إعتاد المؤلف أن ينقل إلى كتبه ما يمتدحه بذاته ، أو ما يكون دائما
على السنة عامة القراء والوراثين من غير تمحيص لحقيقتها . لكل من تعرض
لندوين التاريخ في السياسة أو الأدب ألا يكتفي برواية كتاب واحد أو كتابين
أو بما يذيع على السنة الناس بل يجب عليه تحقيق الخبر وتمحيصه والاخذ بالرواية
القريبة من العقل .

ومن ذلك نقله عبارة ابن خلكان عن أن الامين جمع بين سبوية
والكسائي في مجالس المناظرة وأن الكسائي زعم أن العرب نقول كنت أظن

الزنبور أشد لسعا من النحلة فإذا هو إياها . . والمشهور أن المناظرة جرت في مجلس يحيى بن خالد البرمكي .

ومن ذلك أنه لم يتحر الحقيقة والصواب في تعداد كتب الواقدي .
خامسا — التناقض :

فن ذلك ما ذكره عن ابن الرومي والمتنبي وما شكك من نسبة كتاب العين إلى الخليل ، وناقض المؤلف نفسه في نشأة علم الجغرافيا في العصر العباسي الثاني . ومن تناقض المؤلف قوله : نشأ علم الجغرافيا في هذا العصر (العصر الثاني العباسي) بعد نقل علوم القدماء إلى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس ، وعليه معولهم في تقويم البلدان .

على أن المسلمين بدقو بوضع الجغرافيا قبل أطلاعهم على هذا الكتاب ، لأسباب غير التي دعت اليونان إلى وضعها الخ .

وهذا تناقض من المؤلف إذ ذكر الجغرافية أول بمعنى الجغرافيا الرياضية ، وأعادها ثانيا باسم الجغرافيا التخطيطية ، التي كانت تسمى علم المسالك والممالك ، والمعروف أن العرب أشغلوا بالجغرافية اليونانية قبل العصر الثاني ، والمأمون وعلمائوه ممن صحح أغلاط بطليموس وغيره ، في محيط الأرض وقطرها ومقياس الدرجة الأرضية .

ومن تناقض المؤلف وتحويره قوله في أبي العتاهية : ، قد نظم في كل أبواب الشعر وأمتاز منها بالزهد ويؤخذ من سيرة حياته أنه كان مترددا متقلبا على أن تمنح أبي العتاهية عن قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة .
والرأى أن هذه العلل لو صدقت على كل شاعر يتكسب بالشعر لتبرمت الدنيا بكثرة المخرورين والموسوسين .

سادسا — الاختصار فيما يجب الاطناب فيه :

ومن أعجب أمور المؤلف أنه يعلم ، ويعلم أن الناس تعلم ، أنه يؤلف كتاب في آداب اللغة العربية لا آداب اللغة اليونانية القديمة ولا الفارسية ولا اللغات

الأوربية ، ثم تراه إذا خاض في ذكر بحث من مباحث الآداب العربية أو عند النبغاء أو ذكر ترجمة شاعر أو كاتب ، أقتصر على ذكر نتف قليلة أو أقتصر على المبدأ القليل من مشهورى النبغاء وأختصر تراجمهم مكنفيا بذكر ما لا يلزم الناقد الاديب ويذكر الكتب التي يراجعها من شاء التوسع .

وأشار إلى تقصير المؤلف بأهماله ذكر الجرمى من تحاة العصر الثانى مع ترجمته لابن ولاء وأبى جعفر النحاس ، وأهماله ذكر الأوزان والقوافى التي طرأت على الشعر فى جميع العصور التي ذكرها كالموالي والدويث ، وتخصيصه اثنى عشر صفحة من كتابه لموضوع أجنبى عن موضوع آداب اللغة العربية بالمره ، وهو آداب اللغة اليونانية وأطوارها وتراجم فلاسفة اليونان .

وهو ذلك إسهاب المؤلف فى شرح الآداب والانشاء عند الأفريج وذكره لبعض قصص الأفريج الخرافية .

ومن التطويل المخل بالنظام وضع الكلام فى مبحث تأثير القرآن الكريم اللغة العربية فى هذا الجزء ومن حقه أن يدرج فى الجزء الأول ومن التطويل تكرار الكلام فى موضعين أو ثلاثة لغير موجب مثل وصف التمثك والحلاعة عند الشعراء .

سابعاً — الاستدلال بحادثة جزئية على أمر كللى :

أعتاد المؤلف فى كتبه أن يستتبع من حادثة جزئية أمراً كللياً وهذه الخصلة من أكثر ما ينعاها عليه النقاد وقد عمل بها فى كتابة هذا غير مرة (وقدم الباحث فى ذلك نماذج متعددة) .

ثامناً — تقليد مستعربى الفرنجة حتى فى الخطأ :

للصنف واع بنقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وأدبهم ولو خالف الواقع . ومن ذلك نقله فصولاً برمتها مشوبة بالخطأ من كتاب نيكلسن الانجليزى ويكلمان الألماني مثل مقالة الشعر فى العصر الأول وغيرها .

من ذلك أن وضع ما يصلح أن يذكر في أداب الفرائجة في أداب العرب ، وما ينبغي أن يجعل في عصور ظهور الاسلام جملة في عصر بني العباس ، ومن يجب أن يترجم له في عصر معين أو في طائفة بعينها ترجم له في عصر غير عصره طائفة غير طائفته ، بحيث تضطرب المباحث وتداخل العصور .

من ذلك ذكره أن الخلاف بين النحويين للكوفيين والبصريين حصل في العصر الثاني وما بعده من عصور الدولة العباسية ، والحقيقة أنه حصل في العصر الأول .

ومن ذلك تأخيره الكلام عن نشأة علم الفرائض إلى العصر الثالث مع قديمه دون منذ دون الفقه في العصر الأول .

عاشرا - تهافت المؤلف :

للمؤلف تهافت وولع بالشئ لا يؤبه له ، أو بالأمر يناسب مقامه خاصة فيفهمه في كل مقام ، كما فعل هذا في كتابة في مواضع شتى .

من ذلك حالة النشوء والارتقاء يقيس بها كل أمر حتى خرج به القياس إلى عكس ما يراد بها وذكر أن اضطراب العلاقة الإسلامية وإنحلالها إلى أمارات وممالك صغيرة متنافسة متشاكسة من دواعي النشوء والارتقاء في حين يمدد المؤرخون من دواعي الانقراض والقاء .

حادي عشر - اللحن والاعلاط اللغوية :

لا تكاد تمر بأقارىء صفحة إلا وهم مشتتة على خطأ لفظي ، أما في النحو أو الصرف أو اللغة ، وإذا كانت هذه الاعلاط تمتد بالعشرات بل بملئات فانتنا لا نستطيع تعدادها .

وفي النهاية يختم الشيخ السكندري رحمة الله نقده ختاما مؤدبا حيث يقول :
والنتيجة أن الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لا يخلو من منافع في موضوعه وغير موضوعه . وهي عبارة مؤدبة تعني أن المؤلف لم يكن منضبط المتباح فكان كلامه أحيانا يخرج عن موضوع الكتاب .

تاريخ التمدن الإسلامي

سيقول العلامة « شبل النعماني ، المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في
لكنهو بالهند) نشر النقد في مجلة المنار والتي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا رحمه
الله على حلقات المجلد ١٥ » ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م) :

« إن الدهر دار العجائب ، ومن إحدى عجائبه أن رجلا من رجال العصر
(جرجي زيدان صاحب الهلال) يؤلف في تاريخ تمدن الإسلام كتابا يرتكب
فيه تحريف الكلم ، وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة في النقل وتعمد الكذب ،
ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية) .

وينشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد وقبة الإسلام ومغرس العلوم
ثم يزداد انتشارا في بلاد العرب والعجم ، مع هذا كله فلا يتعطل أحد لدوائسه .
ولم يكن ليحتزى على مثل هذه القطيعة في مبتدأ الأمر ، ولكنه تدرج إلى
ذلك شيئا فشيئا ، فإنه أصدر الجزء الأول من هذا الكتاب ، وذكر في مثال
العرب دسيسة يقطع بها على احساس الأمة وعواطفها ، ولما لم يتنبه لذلك أحد ،
ولم ينبض لأحد عرق ، ووجد الجوصائفا ، أرخى العنان وتمادى في الغي .
وأصرف في النكاية على العرب عمروما ، وخلفاء بني أمته خصوصا .

« إن الغاية التي توخاها المؤلف ليست إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساوئها ،
ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة ، غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق . »

« بيان ذلك أنه جعل العصر الإسلام ثلاثة أدوار : دور الخلفاء الراشدين ،
ودور بني أمية ، ودور بني العباس ، فمدح الدور الأول ، وكذلك الثالث ولما
عجز العباس عن مدح الخلفاء الراشدين ، وهم سادتنا وقدوتنا في الدين ، وبعده
لبي العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم وبهم نظارنا في ميث التمدن وأمة

الملك ، ورأى أن (بنى أمية) ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ، ولا مدافع عنهم ، تفرع لها وحمل عليهم حملة شنعاء ، فما ترك سيئة إلا وعزاها لإيهم وما خلى حسنة إلا وابترها منهم .

ثم لو كان هذا لأجل أنهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لم يكننا في غنى عن الذب عنهم والحماية لهم ولكن ذنبهم أنهم « العرب » على صرافتهم ماشائهم العجمة مذلما . وقد حصر الباحث أخطاءه في عدد من الأصول العامة :
أولا : عصبية العرب على العجم :

أطال المؤلف وأطنب في اثبات هذه الدعوى ، وقال أن العرب يعاملونهم معاملة العبيد ، في عديد من المواضع (العنوان العام في الجزء الرابع صفحة ٥٨) .
وأعلم أن المؤلف في اتقان باطله أطوارا شتى :

منها تعدد الكذب ، ومنها تعميمه لواقعة جزئية ، ومنها الخيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة ، مثل كتب المحاضرات والحكومات ، وغير حاف على من له ألمان بتاريخ الفرس والعرب ، أن الفرس كانت قبل الإسلام تحتقر العرب وتزدريهم ، ولما أرسل رسول الله ﷺ كتابه إلى كسرى العجم ، اشمأز وقال : عبدي يكتب لي ؟ وكتب يردجده إلى سعد بن أبي وناص فاتح القادسية أن العرب على شرب ألبان الإبل وأكل الضب بلغ بهم الحال إلى أن تمنوا دولة العجم فأف لك أيها الدهر الدائر .

ثم لما شرف الله العرب بالإسلام ، انتصفت العرب من العجم ، واستأذ كفروا من سيادتهم عليهم وجاءت الشريعة الإسلامية ماحية لكل فخر ونخوة ، فقال رسول الله ﷺ في خطبته الأخيرة في حجة الوداع :

« أن لا فضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي ، كلكم أبناء آدم ، حينئذ يرتفع التمايز وتساوى الناس . » ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كاذبة في صدورهم ، كانت سببا لحديث جريرين متصفا كلين
يسمي أحدهما :

الشعوبية : وهي التي تحتقر العرب وتزعمهم بكل معيبة ، والثاني : المتحصبون للعرب وقد عقد ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) بابا في حجاج كل من الطرفين وصدر هذه الآلة وال بقوله (قال أصحاب العصبية من العرب) وأنت تعلم أن هذه العصبية ليست كل العرب ولا أكثرها ولا عشر معشارها ، فهؤلاء شردمة مغمورون في الناس ، ولكن المؤلف ما اقتنع بذلك ، بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم إل العرب عامة .

وقد مضى جرجي زيدان في دعواه متابعيا كتابات المستشرقين في اتهام العرب بانتقاص الموالي فقال أنهم منصوصون من المناصب الدينية المهمة (الجزء الرابع ص ٦) .

فقال الشيخ النعماني : إن البلاد التي كانت عواصم الأقاليم وقواعدها في عصر بني أمية ، كان كل أئمتها من الموالي ففي مكة عطاء ، وفي اليمن طاووس ، وفي الشام دكحول ، وفي مصر يزيد بن أبي حبيب ، وفي خراسان ضحاك بن مزاحم ، وفي البصرة حسن البصري ، ودع كونهم أعجماء وكونهم أولاد الإمام ، كانوا سادة الناس وقادتهم ، تدعى لهم العرب ويحترمهم خلفاء بني أمية وولاة الأمور . وقد عالج هذه النقطة بما عرض مطولا بما يؤكد أن الموالي كانوا في أيام بني أمية بأعلى محل من الشرف والمكانة وأن كل ما أورده جرجي زيدان وسابقيه من المستشرقين افتئات ظاهر وتجن وظلم .

استند جرجي زيدان على نص حاول فيه الادعاء بأن عمال بني أمية كانوا يفرضون نوعا من الجور والشدّة . يقول : ولذا أتى أحدهم بالدرهم ليؤديها في خراجها يقطع الجاني منها طائفة ويقول : هذا رواجها وصرفها واستند في هذا على كتاب الخراج لأبي يوسف .

ويقول الشيخ النعماني :

أيها المؤلف الفاضل : أليس لك وارع من نفسك ؟ أليس لك وادع من ذنوبك ؟ أليس لك وادع من نفسك ؟ أليس لك وادع من نفسك ؟ أليس لك وادع من نفسك ؟

أبنا يوسف مات كالم في شأن عمال بني أمية بينت شفة ، وإنما ذكر عمال هارون الرشيد واسمائهم العمل في جباية الخراج .

وكتاب الخراج لأبي يوسف بين أيدينا . وأن ما استند إليه عن عمال هارون الرشيد ، فكيف يأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هي العارق التي كان عمال بني أمية يجمعون الأموال بها .

ثانيا : مساوى بني أمية :

ويقول الشيخ النعماني : أن موضوع الكتاب ليس إلا بيان تمدن الإسلام ؟ فأى متعلق في ذلك لإبداء مساوى بني أمية .

ولعلك تقول لابد في تاريخ تمدن الإسلام من بيان منهج السياسة ، هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والصفحة ، فجر ذلك إلى كشف عوار بني أمية عرضا ، أناشدك الله أما كان لأحد منهم مائة تذكر ومنقبة تنقل ، وسياسة تنفع البلاد ، وعدل يعم الناس ، نعم أن خلفاء بني أمية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين ، وليس هذا عارا عليهم ، ولا فيه حط بانزلتهم فإن إدراك شأن الراشدين واللاحق بهم أمر خارج على طوق البشر ، وليس فيه مطمع لأحد ، ولا موضع رجاء لمجتهد .

ولكن التوازن والتطابق بين الأموية والعباسية ، وإنما هم ملوك فيهم المحسن والمنفي والعدل والجائر بل الذي أعد لهم سيرة وأوفاهم دما لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر .

فلو لزم المؤلف جادة الصواب ، ووفى لكل أحد قسطه وأعطى كل ذي حق حقه ، لاستراح واسترحنا ، ولكنه مال إلى واحد فأطرى في مدحه (العباسي) ونال من الآخر فأسرف في تهجينه وذمه (الأموي) .

ثم أنه لم يفارق في مدحه وذمه عمود الكتاب أى ذم العرب والخط من شأنهم فإنه ذم بني أمية لأنهم العرب ، ومنح العباسيين لأنهم العرب ،

ولا لأنهم من سلالة بنى هاشم أو من أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم بل الأمر واحد : لأن دولتهم دولة أعجمية .

ثالثا : حريق خزانة الاسكندرية :

عقد المؤلف بابا لإثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب ، وأطال وأطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (الجزء الثالث) أهمها رغبة العرب في صدر الإسلام في محو كل كتاب غير القرآن .

وقد كشف الشيخ النعماني أن هذا غير صحيح ، وأن المسلمين نظروا في كل الكتب ، ونقلوا في تفاسيرهم روايات مختلفة ، فيها الغث والthin مما نقل إليها من الأديان الأخرى ، فلو كان أهل القرون الأولى ينفضون ماسوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم - كما يدعى المؤلف - فمن روى الاسرائيليات وأقاصيص التلمود والتوراة وحشاها في التفسير ؟

ثانيا : أورد ما جاء في تاريخ مختصر الدول لأبى الفرج ثم نقل رواية الإحراق برمتها وأطال في إثبات أن أبى الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية ، بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمود السوارى وذكرها القفطى في تاريخ الحكماء .

ولا تنازع المؤلف في أن أبى الفرج مسبوق في ذكره هذه الرواية بالقمطى والبغدادي ، ولكنه ماذا ينفعه ذلك ، فإن البغدادي وهو أقدمهما من أهل القرن السادس للهجرة ، قد ذكر الرواية من غير إسناد ومن غير إسناد ومن غير إسالة على كتاب .

ويقول : لقد تعود المؤلف من صباه قبول مختلقات أهل الكتاب وأوهامهم وسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامى بميزان غير ميزاننا ، ولذلك يصحى إلى كل صوت ويستمع لكل قائل ، ولكل فن أصول وقواعد ، وما لم تكن الرواية بمابقة لهذه الأصول اليقينية لا يلتفت إليها أصلا .

ومنها أن الناقل للرواية لا بد أن يكون شهد الواقعة ، فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها ، حتى تتصل الرواية إلى من شهدها بنفسه .

ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ، وأنت تعلم أن البغدادى والقفطلى من رجال القرن السادس والسابع ، فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول يذكر أنها من غير سند ولا رواية ولا إحالة إلى كتاب .

أما كتب القدماء الموثوق بها ، فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين وهذا تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة ، والأخبار الطوال للدينورى ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، والتاريخ الصغير للبخارى وثقة ابن حبان والطبقات لابن سعد ، قد نصف حناها وكررنا النظر فيها ، ومع أن فتح الاسكندرية مذكور فيها بقصصها وتضييضاها فليس لحرق الخزانة ذكر .

والحاصل أن محققى أهل ربه قضوا بأن الواقعة غير ثابتة أصلا ، منهم (جيبون) المؤرخ الشهير الإنجليزى و (دريبر) الأمريكان و (سيديو) الفرنسى و (كارليل) الألمانى والمعلم (رينان) الفرنسى وعمدتهم فى أفكار ذلك أمران : الأول : أن الواقعة ليس لها عين ولا أثر فى كتب التاريخ الموثوق بها كالتبرى وابن الأثير والبلاذرى وغيرها مما ذكرنا .

والثانى : أن الخزانة كانت قد ضاعت قبل الإسلام ، اثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن إنكارها .

رابعاً : الضغوط على أهل الذمة :

ادعى المؤلف أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كتب عهداً لنصارى الشام ، و ذكر نصه منقولاً عن سراج الملوك للطرطوشى واعترف بأن فيه ضعفاً على النصارى ، ثم اعتذر لعدم بيان نصارى الشام كانوا يميلون إلى قيصر الروم ، وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج إلى الشدة بهم والتضييق عليهم .

يقول الشيخ النعمانى : كل من له أدنى مسكة فى التاريخ يعرف أن الطرطوشى

ليس من رجال التاريخ ، وكتابه كتاب أدب وسياسة ، وهو من رجال القرن السادس ، وإنما المعول على المصادر القديمة الموثوق بها : كتاريخ الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن الأثير وغيرها ، وهذا ما كان يخفى على المؤلف ولكن لأجل هوى في نفسه أعرض عن كل هذا ، وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة بإسنادها ورجالها . وقدم الشيخ النعماني رواية القاضى (أبو يوسف) في كتابه الخراج ، وهى تكشف عن اعتراف أهل الذمة بوفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم .

خاتمة :

وقد أشار السيد رشيد رضا - رحمه الله - فى دراسة له عن جرجى زيدان صاحب الهلال ، بعد وفاته ، كشف فيها وجه هذا الشعبى ، فقال :

أنه أظهر بعد الانقلاب العثمانى (١٩٠٩) نزعة جديدة ، هى إحياء للمذهب الشعبى ، ذلك أنه زار الاستانة ولقى فيها بعض زعماء الاتحاد والترقى ثم عاد متشعبا بالنهضة التركية الرائفة ، مستنكرا عدم مجازاة العرب لإخوانهم الترك فى الانضمام على خطة الاتحاديين واترقى إلى تتركب العناصر وادغام العرب فى الترك .

وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة من مطاعن فى العرب ، أودعها بعد ذلك فى كتاب تاريخ المدن الإسلامى ، وفضن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها ، وزادهم التفاتا إليها ترجمة جريدة (أندام) التركية لتاريخ المدن الإسلامى ونشره بالتتابع ، وهذا ما حفز الشيخ شبلى النعمانى إلى الرد عليه وأخفى شبهاته .

الاستاذ والتلميذ :

وكان الأب لأمس اليسوعى تدوت فى نقد العرب وبنى أمية ، كما كان سوفان فلهوزن دليله فى الحديث عن ما اسماء الجملة على الموالى ، وهو أكبر متعصبى المستشرقين ، ولجرجى زيدان سموم أخرى فى كتابه عن أدب العرب .

(٣)

روايات جورجى زيدان لارو آيات الاسلام

بهدف افساد مفهوم الشخصية الاسلامية والبطولة

إن إعادة النظر في كتابات جورجى زيدان تكشف بوضوح أنه يمثل اتجاه الاستشراق والتبشير والتغريب حاملا شبهاته وسمومه وعاملا على غوسها في أبحاث التاريخ الإسلامى ، وقد كانت هذه الكتابات بجهولة المصدر إلى أن ترجمت دائرة المعارف الإسلامية ، التى كتبها متعصبو المستشرقين ، وتبين أنها تضاهيها من حيث وحدة المصدر .

ثم جاء بعد ذلك طسه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى وغيرهم ، فأدخلوا التاريخ الإسلامى فى مراحل جديدة أشد خطورة ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ الإسلامى التى حمل لراءها عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

روايات جورجى زيدان :

أما المجال الذى استطاع جورجى زيدان أن يبت فيه سمومه ، فهو مجال القصص فقد ألف عددا من أقصص تحت أسم روايات الإسلام ، دس فيها كثيرا من الدسائس والمؤامرات والامهواء ، وحاول أفساد مفهوم الشخصية والبطولة الإسلامية حيث أساء أساءة بالغة إلى الأعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبى ، وهارون الرشيد والعتاس بن عبد الحميد وعبد الرحمن الناصر ، وعبد الرحمن النافقى وأحمد بن طولون . والأمين والأمنون ، وعبد الرحمن الداخل ، وشجرة الدر الخ . ومازالت هذه الروايات تظهر بين وقت وآخر مطبوعة طباعة فاخرة لتخدع الشباب بذلك الأسلوب القصصى المسموم ، وقد أقام جورجى زيدان تصوره على أساسين خطيرين :

أولا : تصديره للخلفاء والصالحين والتابعين بصورة الوصوليين الذين يربون

الوصول إلى الحكم بأية وسيلة ، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم ، مع تجريدهم وأتهم بعضهم بالحق وتدمير المآثرات .

ثانيا : تزيف النصوص التي نقلها عن المؤرخين القدامى وحولها عن هدفها تحاول أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصا غرامية باطلة .

ثالثا : أستخدم من حشد العلاقات الغرامية ، ذات المواقف المنبثة داخل روايات اريخ الإسلام إثارة غريزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين ، مستغلا ضعف ثقافة الكثيرين منهم وجهلهم بالغاية التي يرمى إليها في رواياته مع الاستشهاد بالآيات الشعرية المكشوفة الساقطة ، التي تحرك الغرائز الدنيا .

رابعا : تبين من البحث الذي قدمه عالم أزهري درس باستفاضة روايات جرجي زيدان أن معظم الأحداث التاريخية في رواياته قد خرفت وبنيت على أساس فاسد فقد ظل جرجي زيدان - على حد تعبير الباحث - يتقب وينقر ويجهل نفسية في مزج الحق بالباطل وتقدمه في أسلوب براق جذاب معتمدا على فن أدبي ذي أثر بالغ ، وذلك هو فن القصة والرواية ، حيث لم يكن حريصا على تحرى الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحكمة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقا ، وقد عمل جاهدا على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معاملة ، بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضى آبائهم المجيد .

خامسا : من أخطر شبهاته أنه قال ببشرية القرآن ، وشكك في مصادر العربية الأولى ، وهدح بنى العباس لأنهم أنزلوا العرب منزلة السكاب (على حد قوله) ونسب أحراق مكتبة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب .

وقد طبع اللبنانيون - ودار الهلال في مصر - روايات جرجي زيدان مزدانة بالصور الملونة والألوان الصارخة بقصد استمراء الشباب وحثهم على قراءة هذه الكتب التي لا تعطيهم إلا صورا مشوهة لتاريخ أتهم وأخبارا ملفقة بغية التشكيك في ذلك التاريخ .

سادسا : أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم رواياته ، أستنادا إلى ما يسمى موقف الأديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متعسفة متكلفة ، تخفى محاولة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين .

سابعا : تفسيره لتصرفات هارون الرشيد مع أخته العباسية وجعفر البرمكي وما أثير حولهما من أخبار ، بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج علما ويغزو علما ، بل وبما لا يتفق مع ايسر قواعد التفكير والمنطق السليم وفي رواية (الرمانوسة المصرية) - والتي تحكى قصة فتح عمرو بن العاصر لمصر حاول أن يقول أن الحب بين أرمانوسة وأركادايوس قائد حصن الروم ، هو السبب في هزيمة الروم وانتصار المسلمين ، وأتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينفهون ويسلمون عندما فتحوا بلبليس ، وهو مناقض تماما لما أورده المؤرخون المنصفون من المسلمين وغير المسلمين .

فتاة غسان :

ثامنا : في رواية [فتاة غسان] والتي تحكى فتوح الشام وبدء ظهور الإسلام أورد شبهة بأن النبي محمد ﷺ أخذ تعاليمه من الرهبان ، وتأثر بتوجيهات الراهب بحيرا واتسمت كتابته بالسخرية والاستخفاف بوثائق العهد النبوى ووصف حادثة شق صدر النبي ﷺ بالخرابة ، وادعى أن هناك خصومة بين خالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وأخذ مصادره في هذا من كتب المستشرقين .

تاسعا : في رواية (عذراء قریش) - والتي تناولت عصر الخلفاء الراشدين ، أم منقذة على تجريح الصحابة رضى الله عنهم ، وإلتهام بعضهم بالمقد وتدين الثأمرات ، وأنهم السيدة عائشة رضى الله عنها بالميل إلى سنك الدماء والتزوع إلى الشر .

ووصف الخليفة عثمان رضى الله عنه بأنه رجل إمعة وذليل ومستسلم لابن عمه ، وأقترى على (على ابن أبى طالب كرم الله وجهه) وفير الفتنة تفسيرها مخرضا وأنهم عليا رضى الله عنه بالتهاون في المطالبة بدم عثمان .

عاشرا : وفي رواية ، العبادة ، التي تحكى قصة نكبة البرامكة - أنهم الرشيد بالاستهتار والمجون والاستبداد والظلم ، وقدم تفسيراً خاطئاً ومغرضاً قبل بنى برمك ، وشوه شخصية العباسية أخت الرشيد .

الحادى عشر : فى رواية (شارل وعبد الرحمن) - والى تحكى جزءاً من عصر الولاة بالأندلس - زعم بأن القواد وأمرأه الجند من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصرى وقد فتنوا بحالهن ، وأن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم فى ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يهتمون بالفنائم أكثر من أهتمامهم بما عداها ، وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم .

الثانى عشر : أجرى على لسان أبى سلم الخراسانى من الافتراء ، ما قال من أن العرب كانوا يحترقون غير العرب ، ويسومونهم سوء العذاب ثم يفتخرون عليهم بالنبوة ، وطمس معالم التاريخ الإسلامى فى هذه الرواية بالدس والافتراء ، وقدم صوراً باهرة للكنيسة ورهبانها ، وأشاد بالاذيرة والرهبان حيث جعلها ملجأ الضعفاء وملاد التائبين والخائفين .

وفى رواية الأمين والمأمون كان واضح التحامل على العرب ، واصفاً أيام بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التى تربطهم رابطة الإسلام قبل كل شيء .

وفتاة القيروان :

الثالث عشر : فى رواية ، فتاة القيروان - التى تحكى أخبار الفاطميين ومن عاصرهم - حاول التشكيك فى إنساب الكثيرين من حكام المسلمين ، وكذلك عهد إلى التشكيك فى نسب الخليفة المعز لدين الله وأعتمد فى قصصه الفرامية على الخيال إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف فى جميع كتب التاريخ وخاصة حاكم سلجقمة الأمير حمدون ، بل أن صاحب سلجقمة فى كتب التاريخ يختلف تماماً عما جاء فى رواية زيدان ، مما يؤكد ميل زيدان إلى التزوير والتحريف .

بل أن صاحبت سلجماسة هو محمد بن داسول ، وليس الأمير حميدون ، ولم يقل ابن الأثير أن له بنتا شغلت أقاتد جوهر بخطها لأبيه ، وقد أعطى زيدان اليهود في روايته دورا أيجابيا ، وجعلهم أصحاب الفضل الأول في إزالة الدولة الاخشيدية ، وأقامة دولة الفاطميين مقامها .

الرابع عشر : في رواية صلاح الدين تلفيق وتزوير وأفساد للتاريخ ، فقد ذهب إلى أن الخليفة الحاضد لما ضعف أمره استدعى صلاح الدين وأوصاه بأهله خبرا وأن صلاح الدين تقبض هذا العهد بعد سويغات ، وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه .

ولا ذكر في كتب التاريخ تلك الوصية والاشارة في كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه .

وهذه الوصية التي ذكرها (زيدان) لم ترد في الكامل لابن الأثير ولا غيره فهي مائة مزورة ، كذلك فقد زيف زيدان النصوص التي نقلها من ابن الأثير ، وتوحيها تحويلا أراد به المنحرفة والاستخفاف بالمسلمين وبني عليها قصصا غرامية باطلة .

ولم يعن المؤلف بالتصوير الحي لشخصية صلاح الدين ، ولم يسجل موافقة الحاشية ، وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذي قام به صلاح الدين ، بالحديث عن مكائد الحشاشين - الاسماعلية - وتهديدهم نصلاح الدين ، وأعتمد على روينات طائفة الحشاشين ، تلك الجماعة الضالة المنحرفة ، وحاول أن ينسب إلى صلاح الدين قصصا غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفي رواية (شجرة الدر) والتي تحكي أحداث نهاية العصر الأيوبي وبداية المماليك في مصر - حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللائي يتاجرن بأعراضهن ، في سبيل الحصول على ما يتطلعن اليه ، وليس معه أى دليل من التاريخ وهذه الدعاوى التي أودها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في الكتب التي أرخت لهذه الفترة من أمثال النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ، والمواعظ والاعتبار في الخطط والآثار ، وصبح الاعشى للقلقشندي .

التلاعب بالمراجع :

السادس عشر : وخلاصة ما يصل اليه البحث حول روايات جرجى زيدان :

- (١) تحوير مواقف الشخصيات التاريخية .
- (٢) إثارة الشكوك حول البطولات الإسلامية .
- (٣) تهمد أغفال الحوادث التاريخية المهمة .
- (٤) أصفاء حالات مثالية على الأديرة والرهبان ودور النصارى واليهود في التاريخ الإسلامى .
- (٥) التلاعب بالمصادر والمراجع .

رأى مجلة الموسوعات

قالت مجلة الموسوعات (١٨٩٩) : لم يلتزم جرجى زيدان بتمحيص الحوادث التاريخية ، فاختلف شخوصا ونسب إلى بعض الشخصيات الإسلامية البارزة ما ليس فيها ، مما أثار جمهور المسلمين .

فعدراء قریش (أسماء) بطالة الرواية لا وجود لها ، ألا فى ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض العذر التأليفى كقاص ، ولكن الباطل أنه نسب لمحمد بن أبى بكر ، المعروف عنه الزهد عشق هذه العدراء ، بل أن صاحب الهلال بنى على هذه الباطل باطلا ، فاختلف سببا من عنده ليس له أسانيد تاريخية ، فى تفسير بعض الأحداث وزعم أن عشق محمد بن أبى بكر (كان سببا) فى ازدباد هياجه على عثمان رضى الله عنه ، ونسب إلى الحسين بن على رضى الله عنهما عشقه لهذه العدراء الوهمية ، وغيره محمد بن أبى بكر منه .

وأدعى أن الإمام عليا رضى الله عنه أعجب بعدراء قریش ، عندما أدخلت عليه فى زى رجل مع أن الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء بالرجال وقد عرف عن (على) كرم الله وجهه تمسكه بالدين مما ينهى عنه أنه يعجب بمثل هذا .

وقد أقر (جرجى زيدان) بخطئه في هذه الرقائع (هلال مايو ١٨٩٩)
وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذى وقع فى شبكة الصيد .

ونقول : (أن المجلة أنطوت وبقيت القصة فى أيدى القراء ، يعاد طبعا
دون التفات إلى هذه الملاحظات) وقد ارسل العلامة رفيق العظم ، إلى جرجى
زيدان (١٨٩٩) يؤاخذة على أغفاله الاعتبار التاريخية ويستنكر تأليف
التاريخ الإسلامى برمته فى قالب قصصى .

وهذه الملاحظة قد تكررت من الناقدين ، وقد لا تنقدوه فى شأن هذه القصص
وما أورد فيها من أخباره الكاذبة ، وثانيا بسبب العشق والغرام إلى رجال سلفنا
الكرام ، وقد أشارت جريدة المؤيد إلى ذلك فى التعليق على قصة (الحجاج
بن يوسف) فقالت : الحوادث الغرامية لم تستند إلى أحد من رجال السلف العظيم
والأئمة الذين يحملون عن هذه الاتعريفات ، هذا فهؤلاء عن الأخطاء فى الأمور
التاريخية المشهورة .

(Handwritten signature)

[illegible]

الفصل الثالث

أحمد أمين — فجر الإسلام

علي عبد الرازق — الإسلام وأصول الحكم

1911

1911

1911 - 1912
1912 - 1913

أحمد أمين — فجر الإسلام

يقول الدكتور مصطفى السباعي في بحث مطول نشره في مجلة الفتح (في ١٤ حلقة) إن كتابي (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) للأستاذ أحمد أمين (عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية) ١٩٤٠ م ، من أشهر الكتب الحديثه المؤلفة في تاريخ العلم والثقافة في عصور الإسلام الأولى .

ومع أن المؤلف معروف لدى الأوساط العلمية بغزارة العلم ودقة البحث وحب التأليف ، فقد وقعت لدى هذين الكتائين أخطاء ، لا أحب أن أصفها ، حتى لا أتهم بالمبالغة ، وحسبي أن أقول : أنها بما لا يجوز السكوت عليها بحال من الأحوال . ولما رأيت أن السكوت عن تلك الأخطاء والتعريفات جنائية في حق الدين والعلم فقد أسرعت بكتابة هذا البحث ، في نقد فصل واحد من كتاب فجر الإسلام وهو فصل « الحديث » . . وسيرى القارى أن الأستاذ أحمد أمين :

أولاً : تأثر إلى درجة كبيرة ببعض المستشرقين وكتاباتهم في علم الحديث .
ثانياً : تأثر بأراء وقوس المعتزلة وطوائف الشيعة ممن يتشبع لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم .

ثالثاً : استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أساس علمي ولا مستند تاريخي صحيح .

رابعاً : لم يلتزم الأمانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والآثار .
خامساً : لم يعتمد في تاريخ الحديث على كتب علوم الحديث ، بل اعتمد على كتب الأصول ، وخاصة كتاب (مسلم الثبوت) وشرحه ، ومن هنا أورد كثيراً من الأحاديث ، منها ما لم يثر له على أصل في كتب السنة ، ومنها ما جاء بأسلوب مغاير لما في تلك الكتب .

وقد كان يستطيع الرجوع في معرفة هذه النصوص إلى مراجعها الحقيقية ، لولا أنه يسعى إلى غرض معين فهو يتصيد الأدلة من هنا وهناك من غير تحقيق ولا تحقيق .

والاستاذ أحمد أمين أسلوب خاص في بث آرائه التي يخالف بها الجمهور ، متبعاً فيها بعض ذوى الأهواء من المسلمين أو ذوى الأغراض من المستشرقين ، ومن خصائص هذا الأسلوب أنه يأتي بالفكرة فلا يلقها إليك في كتابه دفعة واحدة ولا يظهرها لك على أنها رأى لمبتدع أو لمستشرق ، ولكنه يوزع شيئاً منها هنا وشيئاً هناك متلفظاً في الأسلوب ، متظاهراً بالبحث والتحقيق ، ولا يقى أن يستند في خلال ذلك إلى نص محرف أو حديث ضعيف أو رأى هزيل أو ينسب إلى العلماء قولاً له يقولوه ، وإلى بعض المذاهب آراء لم يذهبوا إليها ، فلا يكاد ينتهى من بحثه حتى يكرن قد أحكم بث الفكرة في ثنائيا كتابه من غير لزاج للبقارى ولا إستفزاز لشعوره .

وهذا الأسلوب إستطاع الأستاذ أن ينجو مما لحق بزملائه من سخط الجمهور وأن ينال ثقته بإخلاصه وتجرده للحق والعلم .

وكم كان الأستاذ أحمد أمين بارعاً في التشكيك في أحاديث السنة ، مما يدل دلالة قوية على أنه يشك فيها جملة - كما يقول كثير من المستشرقين - وكما قال من قبل بعض رؤساء المعتزلة والفرق الضالة والمبتدعة .

ومما يؤكد هذه الدلالة أن أحد المتنبسين إلى الإسلام في مصر ، ممن تلقوا علومهم في جامعات روسيا الشيوعية (يقصد : إسماعيل أدهم أحمد) قام منذ سنين بوضع رسالة عن تاريخ السنة ، انتهى به البحث فيها إلى أن هذه الأحاديث التي بين أيدينا ، مشكوك في صحتها على العموم ، ومن مزاعم أن ما ذهب إليه قد وافقه عليه : فلان وفلان ، والأستاذ أحمد أمين بكتاب أرسله إليه .

وانظرنا من الأستاذ أن يكذب هذا الاتهام العظيم الذى نسبته إليه نايبة الشيوعيين فلم يفعل ، بل قرأنا له في بعض المجلات الأسبوعية ما يفيد تأمله بما حصل لصاحبه ، وعدد ذلك محاربة الحرية الرأى ، وحجر عشرة في سبيل البحوث العلمية الحالية من كل تعصب وهوى .

قال أحمد أمين : ويظهر أن الوضع في الأحاديث حدث في عهد الرسول ﷺ

الحديث من كذب على عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، يغلب على الظن أنه إنما قيل للحادثة زور فيها على الرسول ﷺ . أ . هـ .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي : أن هذا الذي استظهره أحمد أمين لا سند له في التاريخ ، ولا في سبب الحديث المذكور ، أما التاريخ فقاطع بأنه لم يقع في حياة الرسول (ﷺ) أن أحداً من الناس زور عليه كلاماً ، ورواه على أنه حديث من أحاديثه عليه الصلاة والسلام ، ولو وقع مثل هذا لتوافر الصحابة على نقله لشاعته ، وفظاعته ، كيف وقد كان حرصهم شديداً على أن ينقلوا أمراً كل ما يتصل به ﷺ .

أما الحديث المذكور فقد إتفقت الكتب والسنة على أن الرسول (ﷺ) إنما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم . وظاهر من الروايات أن النبي (ﷺ) وقد علم أن الإسلام سينتشر ، وسيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة فيه بصورة قاطعة حث على وجوب التحري في الحديث عنه ، وتجنب الكذب عليه بما لم يقله .

وليس في هذه الروايات إشارة قط إلى أن هذا الحديث قبل لوقوع تزوير على الرسول (ﷺ) .

قال أحمد أمين : وحسبك دليلاً على مقدار الوضع ، أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : لم يصح عنه منها شيء ، قد جمع فيها آلاف الأحاديث ، وأن البخاري وكتابه يشمل على سبعة آلاف حديث ، منها نحو ثلاثة آلاف مكررة ، قالوا أنه اختارها وصححت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره . أ . هـ .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي : أن كثرة الوضع في الحديث مما لا يسكره أحد ، ولكنه عندما أراد أن يستدل على مقدار الوضع فاستشهد بشيئين : أحاديث التفسير وأحاديث البخاري . وظاهر عبارته في أحاديث التفسير أنه يشك فيها كلها ، إذ ينقل عن الإمام أحمد أنه قال (لم يصح منها شيء) مع أنهم قد جمعوا فيها آلاف الأحاديث .

والإمام أحمد لا يخفى مكانته في السنة . فإذا قال في أحاديث التفسير (لم يصح منها شيء) كان ما روى فيها مشكوكا بصحته ان لم يحكم عليه بالوضع ، أليست هذه نتيجة منطقية لكلام الأستاذ .

الصحيح صحيح دون شك :

أما أحاديث التفسير ، فلا يخفى على كل من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئا كثيرا منها بطرق صحيحة لا غبار عليها ، وما من كتاب في السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه بابا خاصا لما ورد في التفسير عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو الصحابة أو التابعين .

وقد اشترط علماء التفسير على أن ما يفسر كتاب الله عز وجل أن يعتمد فيه على ما نقل عن النبي ﷺ في ذلك .

وقد جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول ، وأوجبوا على المفسر أن يرجع إلى الأول ويعرفه لو لم يصح منه شيء ، بل لو لم يصح منه شيء كثير ، لما فعلوا ذلك .

أما ما نقله عن الإمام أحمد ، فهو يشير بذلك إلى ما روى عنه من قوله : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي ، والكلام في هذه العبارة من وجوه :

أولا : أن في النفس من صحتها شيئا ، فإن الإمام أحمد نفسه قد ذكر في مسنده أحاديث كثيرة في التفسير ، فكيف يحفل أن يخرج هذه الأحاديث ، ويثبتها عن خيرة شيوخه في مسنده . ثم يحكم بأنه لم يصح في التفسير شيء ؟؟

وأيضا فمقتضى هذه العبارة : أن يكون كل ما روى عن أخبار العرب ، ومغازي المسلمين مكتوبا من أصله ، وليس هناك من يقول بهذا .

ثانيا : أن نفي الصحة لا يستلزم الوضع ، والضعف ، وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة ، وقالوا في تأويل ذلك أن هذا اصطلاح خاص به .

ثالثاً : ان الإمام أحمد لم يقل أنه لم يصح في أحاديث التفسير شيء ، وإنما قال :
ولا يثبت له أصل ، ولا يخفى ما بين العبارتين من فرق ، إذا احتمل أن يكون
مرادة نفى أن يكون للتفسير كتاب مأثور .

ولا يلزم فيه نفى صحة شيء من أحاديث التفسير .
رابعاً : يحتمل أن يكون مراد الإمام أحمد ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما
لم يصح .

والكلام في أحاديث البخارى :

وننقل إلى أحاديث البخارى وقد زعم الأستاذ أحمد أمين أنهم قالوا : ان
البخارى إختار أحاديث كتابه وصحت عنده من ستمائة ألف حديث ، ولا ادرى
من قال هذا القول ؟؟

أما علماء الحديث ورجال المصطلح ، فقد ذكروا ان البخارى لم يجمع في كتابه
كل ما صح عنه ، فإذا كان العلماء يقرون ان البخارى لم يخرج كل ما صح عنده
يكون ما نقله الأستاذ أحمد أمين عنهم نقلاً غير صحيح .

وحاول الأستاذ أحمد أمين التشكيك في عدل الصحابة فقال : الذى جرى عليه
الحمل من أكثر نقاد الحديث - وخاصة المتأخرين منهم - على أنهم عدلوا كل
صحابى ولم يردوا أحدا منهم بكذب ولا وضع وإنما جرحوا من بعدهم .
ويقول الأستاذ مصطفى السباعى : مما أنفق عليه التابعون ومن بعدهم ،
من جماعير المسلمين ونقاد الحديث قاطبة : (تهديل الصحابة) وتزويرهم عن
الكذب والوضع ، هذا هو الواقع والمعروف في هذه المسألة .

ولكن المؤلف لقرض في نفسه - سبق التنبيه إليه - يريد أن يشكك في هذه
الحقيقة فزعم أولاً أن (أكثر) النقاد عدلوا الصحابة ، مع أن النقاد قاطبة عدلواهم
لم يشك في ذلك أحد .

وزعم ثانياً : أن قليلاً منهم من أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم ،

مع أن هؤلاء الذين تكلموا في الصحابة ليسوا من نقاد الحديث ، ولكنهم من ذوى الاهواء والفرق المعروفة عند المسلمين ، بالتعصب لبعض الصحابة على البعض الآخر .

وزعم المؤلف ثالثا : أن هذا التعديل كان من أكثر نقاد الحديث ، وخاصة المتأخرين منهم ، مع أنه لم يؤثر عن أحد من المتقدمين من أهل العلم - من التابعين فما بعدهم - أنه طعن في صحابي أو ترك الحديث عنه ، أو وضعه في ميزان الجرح والتصديل .

وهناك ثلاثة مزاعم يأتي بعضها أثر بعض ، ليس من ورائها إلا تهوين القول بعدالة الصحابة على الإطلاق ، وتجريه ذوى الاهواء في حقهم ، إذا روى عن أولئك الاصحاب ما يخالف أهواءهم ، مع أن اصحاب رسول الله ﷺ هم حماة الدين ونقله السنة أمناه الشريعة .

لم يكتب المؤلف بهذا ، بل زاد على ذلك زعما آخر تأكيدا لما روى إليه ، وتقريراً له في نفس القارىء ، حيث قال بعد ما تقدم :

(ويظهر أن الصحابة أنفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضا موضع النقد وينزلوا بعضهم منزلة أسمى من بعض . . الخ)

وحاصل كلامه في هذا الموضوع أن الصحابة كان يشكك بعضهم في صديق بعض ويضع بعضهم بعضا موضع النقد . . وما ذكره أحمد أمين من أن الصحابة كان بعضهم يضع بعضهم موضع النقد ، مع أن كل ما كان يقع من الصحابة من رد بعضهم على بعض ، إنما هو نقاش على محض مبنى على اختلاف أنظارهم وتفاوت مراتبهم في الاستنباط أو الاجتهاد ، أو على نسيان أحدهم حديثا وتذكر الآخر له ، وليس ذلك ناشئا عن شك أو ريبة أو تكذيب واحد لآخر .

ويقول الاستاذ مصطفى السباعي : أن الاستاذ أحمد أمين كان لبقا في توجيه الطاعن زهر (أبي هريرة) - رضى الله عنه - ومجارة المستشرقين والنظام ومن شائعة من المعتزلة في التحامل على هذا الصحابي الجليل ، لقد وزع طعنونه في مواضع

متفرقة من بحته ، كان حديثه عنه حديث محتسب متلف ، يحاذر أن يحجر بما
يعتقده في حقه من سوء .

ولكن أسلوب الأستاذ وتحريفه لبعض الحقائق في تاريخ أبي هريرة ،
وجرحه على الشك في صدقه وتصديق الصحابة له ، كل ذلك قد تم على سريرة
الأستاذ ، وأزاح الستار عن خبيثة نفسه (قال عليه السلام) : من أسر سريرة النسيه
الله رداءها ، .

ومن الانصاف ان نقول ان الأستاذ أحمد أمين لم يكن أول من إساء الظن
بهذا الصحابي الجليل ، ولا أول من حرف تاريخه ، بل هو مقلد لأساتذته من
المستشرقين ، المتعصبين الذين دأبوا على تشويه الحقائق .

وعندما ترجم أحمد أمين لأبي هريرة : أقتصر على ذكر نسبه وأصله وتاريخ
أسلامه وأشار إلى ما روى من دعاية أبي هريرة ومزاحه .

وكان من حق الأمانة العلمية : عليه أن يذكر لنا مكانته بين الصحابة والتابعين
وأئمة الحديث ، وثناءهم عليه وإقرارهم له جميعا بالحفظ والضبط والصدق .

ولكن الأستاذ أحمد أمين لم يفعل شيئا من هذا بل تعرض لأمور يسيء
ظاهرها لأبي هريرة جد الإساءة فكانت محاولة مستورة للظعن فيه تشياع جولد
زهر وأضرابه من المستشرقين .

وقد أقتصر المؤلف على ذكر الشك في حفظ أبي هريرة من بعض الصحابة ،
دون أن يذكر لنا إقرار جمهورهم بحفظه وتشيته ، ودون أن يذكر لنا ثناء أهل
العلم عليه من التابعين من بعدهم ، وأعترافيهم له بأنه أحفظ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأرواهم للحديث ، وهذا دليل وأضح على أنه لم يقصد بمقالاته ألا الظعن الخفي
في صدقه والشك في أقوى في أحاديثه ومروياته وقد أعتمد المؤلف على دائرة
المعارف الإسلامية في هذا الاتجاه .

إذا تذكرت أن الأستاذ أحمد أمين تابع جولد زهر (اليهودي) في تهمج

أبى هريرة - رضى الله عنه - واتهامه ، علمت السر في توخى الاستاذ لهذه المسألة هنا وتبع خطرات جولد زهر ، ثم رأيت إلى أى حد يكون التلاعب بالحقائق في سبيل الإهواء .

ماذا يضر أبا هريرة أن ينحله الواضعون أحاديث كثيرة ، ثم كيف يكون الكذب عليه داعيا للشك في أحاديثه كلها ، أو أن العلماء لم يميزوا الثابت عنه من المحتمل ، لكان هناك عذر في التشكيك بأحاديثه كلها ، أما وأن أئمة الأحاديث ميزوا الصحيح من الموضوع وبينوا ما ثبت عن أبى هريرة مما لم يثبت ، بطرق هي غاية في الدقة والتحرى ، فلا عذر لأحد أن يتشكك في أحاديثه جملة ، إلا أن يكون صاحب هوى وغرض يتلبس لنشر هواه كل طريق ملتو ومعوج .

ولعل القارئ أدرك من كل ما كتبنا ، أن الأستاذ أحد أميين تابع المستشرقين المتعصبين في التعامل على ذلك الصحابي الجليل ومنزلته في الحديث .

بماذا يفخرون :

والاستاذ مفرم جدا بمحاكاة المستشرقين ونقل أقوالهم ، ومن ذلك قول زكى مبارك عنه :

أن أحمد أمين لا يهمل أن يرد الحقوق لإربابها إلا في موطن واحد ، هو الموطن الذى يقول فيه : أنه استأنس بأراء المستشرقين ليقال أنه يطلع على أقوال المستشرقين .

والغرض الأول من نشر هذا البحث هو لقب أنظار الباحثين وخاصة علماء الأزهر الشريف إلى ما فى كتاب (فجر الإسلام) ، (وضحاها) من أخطاء يعتبر السكوت عليها بعد الاطاحة بها جناية فى نظر الدين والعلم ، وحتى لا ينصحوا تلاميذهم باتخاذ هذا الكتاب وغيره مرجعا أساسيا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

(٢)

على عبد الرازق - الاسلام وأصول الحكم

كانت القوى الأجنبية قد تأمرت على إسقاط الخلافة الإسلامية في دورة طويلة تكاثفت فيها الصهيونية والغرب الاستعماري وجماعة الاتحاديين الذين اسقطوا السلطان عبد الحميد واستولوا على الحكم في الدولة العثمانية تمهيداً لتسليم فلسطين إلى الصهيونية العالمية ، وجاء دور مصطفى كمال أتاتورك بعد انتهاء الحرب العالمية التي دخلتها الدولة العثمانية وهزمت فيها ، وكان لسقوط الخلافة رنة أسى وتطلع ضخم إلى هذا الحديث الذي أصبح من بعد عهد - بدأ من عهود حركة اليقظة الإسلامية بإعادة الخلافة .

في هذا الجو المضطرب - الذي انحل فيه عقد الجامعة الإسلامية وبرزت دعوات الإقليمية والقومية وتمزيق العالم الإسلامي إلى قوى محلية - صدر كتاب الشيخ على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) الذي كان بمثابة صيحة تعريية جائرة تحاول أن تقضى على مفهوم الإسلام الجامع ديناً ودولة بإثارة شبهة ماكرة ليئة خادعة هي القول بأن الإسلام دين عبادي وأن الرسول ﷺ لم يكن في ذات الوقت حاكماً أقام دولة .

وقد صدر الكتاب في مجال معارضة الخلافة الإسلامية لأسباب سياسية كانت بريطانيا والنفوذ الأجنبي توازرها وكانت تعمل دون عودة هذا النظام الإسلامي الجامع .

ولكن الخطر الحقيقي من وراء كتاب الشيخ على عبد الرازق كان هو : هدم مفهوم الإسلام بوصفه ديناً ودولة ونظام مجتمع ومنهج حكم جامع .

ولقد إهزئت دوائر الأزهر والعالم الإسلامي لهذا الكتاب المزور وأعلنت هيئة كبار العلماء فساد المنهج الذي قام عليه ، وإن المؤلف قد أخطأ خطأ بالغاً حين (جعل الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور

الدنيا، مع ان الدين الاسلامى على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات هى لاصلاح امور الدنيا والآخرة، وان كتاب الله تعالى وسنة رسوله يشتملان على احكام كثيرة فى امور الآخرة .

كما اشار حكم هيئه كبار علماء الأزهر إلى أن المؤلف :

اولا : زعم ان الدين لا يمنع من ان جهاد النبي ﷺ كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لبلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثانيا : زعم ان نظام الحكم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض وإبهام او نقص ووجب للحيرة .

ثالثا : زعم ان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشرعية بمجردا من الحكم والتنفيذ .

رابعا : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لا بد للأمة من قوم يأمرها فى الدين والدنيا .

خامسا : أنكر أن القضاء وظيفة شرعية وقال أن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا من الخلافة .

سادسا : زعم أن حكومة أبى بكر والخلفاء الراشدين من بعده - رضى الله عنهم - كانت لادينية . وهذه جرأة لادينية .

صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم عام ١٩٢٥ سابقا لكتاب الشعر الجاهلى لطله حسين ، وقد كشف الأيام من بعد كيف أن هذا الكتاب من تأليف المستشرق اليهودى مرجليوث المقيم فى لندن وأنه أهده لعلى عبدالرازق عندما زارها دارسا (١) .

وقد ظل هذا السر محجوبا إلى وقت قريب حين كشف عنه الدكتور ضياء الدين الرئيس فى كتابه (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث) الذى صدر عام ١٩٧٢ تقريرا وكان المظنون خلال أكثر من خمسين عاما أنه من تأليف الشيخ عبدالرازق، وقد عد هو وكتاب طلح حسين عن الشعر الجاهلى من الأسس الثغرية التى اعتبرها الشيوعيون والعلمانيون مرجعا لخطتهم وأهدافهم فى هدم مفهوم الإسلام فى السياسة

(١) درس على عبد الرزاق فى المؤتمر عام ١٩١٢ لا كماورد ثلاث سنوات واضطر إلى العودة تحت ظروف الحرب العالمية .

وفي الأدب ، وقد قوبل الكتاب عند صدوره بمعارضة شديدة وألفت كتب كثيرة في ارد عليه وكتبت فصول عديدة في الصحف ومن ذلك كتاب الفاضل ابن عاشور ، ومحمد نجيت ورشيد رضا وكثيرون .

وجد المنحرفون ضالتهم :

ولقد كان كتاب (الاسلام وأصول الحكم) لعنة على الشيخ على عبد الرازق فقد اصاب حياته بالظلام والغربة ولا حقه لعنة مدى حياته حتى أنه عندما اراد الماركسيون افناعه بأعادة طبعه قال لهم : ان هذا الكتاب اثار عليه متاعب كبيرة ، ومع ذلك فأن بعض الماركسيين اعاد طبعه وقدم له ، رغبة منهم في تأكيد مفهوم فاسد لا يقره الاسلام ، ويتخذ الكتاب الماركسيون - المعارضون لمفهوم الاسلام بوصفه ديناً ودولة - من هذا الكتاب خطة عمل توالى بث سمومها في الصحف والمؤلفات والمؤتمرات ، ويولى كبر ذلك امثال محمد عماره ومحمد احمد خلف الله وحسن حنفي وعبد الله العروى وسيكون هذا الكتاب لعنة عليهم كما كان لعنة على على عبد الرازق ، فمات الكتاب قبل أن يموت صاحبه ، وانطوت صفحاته وصاحبه حي .

ومع الاسف فقد كان صدور مثل هذا الكتاب مما تافقه المستشرقين ليثيروا به دعوى عريضة بأن في الاسلام مذاهب : أحدهما ان الاسلام دين ودولة والآخر يقول أن الإسلام دين روحي ويضعون على عبد الرازق على رأس الفريق الذى يقول هذا القول ، والواقع أنه ليس في الإسلام غير رأى واحد ، وهو الرأى الأول ، وأن ما ذهب إليه على عبد الرازق عام ١٩٢٥ لم يكن من الإسلام فى شىء ، ولم يكن على عبد الرازق إماماً مجتهداً ، وإنما كان قاضياً شرعياً تلقفته قوى التعريب فاصطنعته تحت اسم « التجديد » حيث دعى إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التى تروج للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام وهدم مقوماته ، وأهدى أصل هذا الكتاب الذى وضع عليه اسمه مترجماً إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التى يستطيع إقتباسها من كتب الأدب .

أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قزم من أقرام الاستشراق وداعية من دعاة الصهيونية واليهودية العالمية هو المستشرق مرجليوث الذي شامت الصدف أن يكون هو نفسه صاحب الأصل الذي نقل منه كتاب الأدب الجاهلي والذي أطلق عليه الأستاذ : محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويمكن (حاشية على عبد الرازق على بحث مرجليوث) وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور أن يطلق الآن اسم : ضياء الدين الرئيس في بحثه القيم « الإسلام والخلامة في العصر الحديث » .

وهكذا تجد أن السموم المثارّة في أفق الفكر الإسلامي توضع أساساً من رجال التغريب ثم تختار لها أسماء عريضة لتحمل لواءها وتذيعها إيماناً بأن الاسم العربي أكبر تأثيراً وأبعد أثراً في خداع الجماهير .

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلي) و (الإسلام وأصول الحكم) على أنهما دعامتان للأهضة « التغريبية في الفكر الحديث » .

ودع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطائه فإن قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات إضافية يكتبها شعوبيون يندعون الناس بألقابهم وأسمائهم ، وهم يجدون في هذه المرحلة التي يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث السموم مرة أخرى ولن يبدىهم ذلك نفعا فإن كلبة الحق سوف تلعو وتنتشر وتدحض باطل المضالين مهما تجمعوا له وقدموه في صفحات برأفة مزخرفة وأساليب خادعة كاذبة .

إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ محمد بن حيت الذي رد على الشيخ على عبد الرازق في كتابه « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » ، وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه حيث قال :

« لأنه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع اسمه عليه فقط ، فهو منسوب إليه فقط ليصعله وأخوه من غير المسلمين ضد حجة هذا العار وألبسوه ثوب الحزى إلى يوم القيامة » .

وقد علق على عبد الرازق على هذا المعنى بأن هذا الكتاب كان شؤماً عليه ،
وقد ألصق به كثيراً من المتاعب والشبهات ، والحقيقة أنه بعد أن طرده الأزهريون
من هيئة العلماء ظل منفياً ومهجوراً وعاش بقية حياته منقطعا عن الحياة العامة بالرغم
من أن محاولات جرت لإسقاط الحكم وضحه إلى مجمع اللغة العربية وجعله وزيراً ،
فقد كان الكتاب أشد شؤماً على حياته من كل ما ألم به .

ومن هذا الخيط الرفيع الذى ألفاه الشيخ محمد نجيب بدأت محاولة الدكتور
ضياء الدين الريس فاستداع أن يصل إلى الحقيقة وهى أن كاتب الكتاب هو
المستشرق مرجليوث اليهودى الأصل ، وهو أول من شن الهجوم على الخلافة لأن
بلاده بريطانيا ، كانت فى حرب مع دولة الخلافة ، وقد أعلن الخليفة العثمانى
الجهاد الدينى ضدها ، والنصوص فى الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة
العثمانية فإنه يذكر بالاسم السلطان محمد الخامس ، الخليفة فى ذلك الوقت الذى
كان يسكن فى قصر يلدز ، وهناك نص على « جماعة الاتحاد والترقى » وهى التى
كانت تحكم تركيا : أى دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى .

ويقول الدكتور الريس : أن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين وقد تربوا فى
مخائهم واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين
 أمام اليهود المهاجرين ، وكان السلطان عبد الحميد قد رفض عروضهم ، وكانوا هم
(أى الاتحاديين) أداة الصهيونية العالمية فى إسقاط هذا السلطان المناضل .

ورجح الدكتور الريس أن مرجليوث اليهودى الذى كان أستاذاً للغة العربية
فى جامعة أكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب ، لأن أراء الكتاب هى أراءه
التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندها الدكتور الريس فى كتابه :

« النظريات السياسية فى الإسلام » واثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية ، وهو
يكتب عن الإسلام بنزعة حقد شديد ، ويتسم أسلوبه بالمغاطات والمعلومات
المضللة والقذرة على التمويه ، كما يتصف بالإلتواء ، وهذه الصفات كلها تظهر فى
هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ على عبد الرازق ، ومعروف أن الشيخ ذهب

إلى بريطانيا وأقام فيها عامين فلا بد أنه كان متصلاً بالمستر مرجيوت ، أو تلمذ عليه ، وكذلك توماس أرنولد الذي يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة فقد ألف كتاباً عن الخلافة بشكل عام والعثمانية بوجه خاص ، وقد نقدناه .

يقول الدكتور الرئيس في كتابه : « النظريات السياسية الإسلامية » :

والقصة تلخص في أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحرب دائرة بين الخليفة العثماني وبريطانيا أعلن الخليفة الجهاد الديني ضد بريطانيا ودعا المسلمين أن يحاربوها ، أو يقاوموها ، وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين الهنود بالذات ، أو ثورتهم عليها ، في هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام ويشوه تاريخها ليهم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين .

وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب في الهند وفي غيرها ، وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه ، هذا إن لم يقترح أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذي اتصل به حينما كان في إنجلترا أو في بعض الجهات البريطانية التي كانت تعمل في الخفاء على دهم فكرة الخلافة ، أو التي تحارب الإسلام ، فأخذ الكتاب فترجمه إلى اللغة العربية أو ألمح لغمته أن كان بالعربية ، وأضاف بعض الأشعار والآيات القرآنية التي يبدو أنها لم تكن في أصل الكتاب وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجه للناس على أنه من تأليفه ظناً منه أنه يكسبه شهرة ، ويظهره باحثاً علمياً ، ومتفلسفاً ذا نظريات جديدة ، غير مدرك ما في آرائه أو في ثناياه من خطورة ، ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعي هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله ، وإلغاء لوجوده وكانت هذه البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أحسنهم أنفسهم « حزب الأحرار الدستوريين » وهذا هو الذي فهمه الأستاذ الجليل أمين الرافعي فكتب في جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ على عبد الرازق على إصدار هذا الكتاب لما عرفه عنه من الضعف في تحصيل

العلوم ، والآحاد في العقيدة ، ثم قال : هذا إلى أنه انغمس منذ سنين في بيئة ليس لها من أسباب الظهور سوى الافتيات على الدين وتقمص أبواب الفلاسفة والملاحدين وصار خليقاً باسم « الأستاذ المحقق » والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ أمين الرافعي أن المؤلف الحقيقي ربما كان غير الشيخ علي عبد الرازق ، ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك وهناك قرائن أخرى أوردتها الدكتور الرئيس :

أولاً : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة ١٩٢٤ بيننا هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ وأنها ذكرت لإسم السلطان محمد الخامس وقيل في الهامش أنه كتب في عهده وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه ، فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول (عندنا) أو (العرب) أو نحو ذلك كما يقول المسلم ذلك .

ثالثاً : يكرر الشيخ عبد الرازق (عيسى وقبصر مرتين) ويكرر هذه الجملة التي يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن مسلماً صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير ، وأن قبصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام وشنوا الحرب على المسلمين فيدافع عنهم في نفس الوقت الذي يحمل على أبي بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله ﷺ فيسخر خلافته ويقول أن محاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين ، ولكنه كانت نزاعاً في ملوكية ملك ولأنهم رفضوا أن ينضموا لوحدة أبي بكر وما هي وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والإسلام ؟

أليست هي وحدة المسلمين ، ويقول « حكومة أبي بكر » ، أو ليست هي حكومة الإسلام والمسلمين ، ويتكلم عن أبي بكر هكذا بغير احترام أو تجميل ، كأنه رجل عادي أو كما يتكلم عدو .

هل هذا هو أسلوب المسلم ، فضلا عن تهاافت الشيخ في الكلام عن الصحابة وهم أفضل الناس وأجهم إلى رسول الله ﷺ وخير من دافعوا عن الإسلام وجاهدوا في سبيل الله عن وجل .

وخامسا : أن الأسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب غريب ، ليس مألوفا في الكتب العربية ، فهو أسلوب مناورات وفراوغة ويتصنع بالالتواء واللف والدوران ، فهو يوجه الطعنة أو يلقي الشبهة ثم يهود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويقلت منها ثم ينتقل ليقتدر شبهة أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب) وحين يهاجم يصوغ عبارته في غموض وهذا يدل على أسلوب رجل سيناسي متعمر في المحاوراة والخدعة ، وهو أشبه بالأسلوب الأفرنجي . وأسلوب الدعايات السياسية أو الدينية التبشيرية وليس هذا ابتداء أسلوب العربي الصريح ، فضلا عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين في الأزهر وهذا مما يغلب الرأي بأنه كتاب مترجم .

سادسا : لم يعرف عن الشيخ على عبد الرازق - من قبل - أنه كان كاتباً تدرس الكتابة ومن على التأليف فيكتب بهذا الأسلوب ويتعمد الطعن في الإسلام وتاريخه وعظماء رجاله ، ولم يعرف للشيخ كتاب أو مقالات قبل هذا الكتاب (أى في السياسة والتاريخ) بل ما كتب من قبل كان (كتيباً) في اللغة أو في علم البيان ، وهذا كل إنتاجه في أربعة عشر عاماً بعد تخرجه من الأزهر ، ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاماً لم يكتب كتاباً آخر في نفس موضوعه أو مشكلة ولم يحاول أن يستأنس حتى أن يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعا : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى أن يرجع صحة الخبر الذي رواه فضيلة المفتي الشيخ محمد نجيب ، نقلاً عن كثيرين من أصحاب الشيخ على عبد الرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير

المسلمين ، وقد غلبنا نحن انه أحد المستشرقين ، ولكننا نقيد هذا الخبر بان الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذى أورد الآيات من القرآن .

والظاهر أنها محشورة حشرا بمجموعات فى كل مكان ، وأبيات الشعر التى استشهد بها ، كما كتب المقدمة التى زعم فيها أنه بدأ البحث فى تاريخ القضاء منذ ١٩١٥ وذلك ليغطى المقارنة الظاهرة بين وضع الكتاب ووقت صدوره ، فإنه من غير المحقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

وفى مثل هذه المسائل بالذات فإن هذه الحالة أسهل ، لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول ، أو كانت المسألة بتصريح أو إتفاق لخدمة غرضين فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية ، والطرف الثانى له مأرب سياسية ولكن الدافع الذاتى أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الفرور ، (وقد انتفعنا فى هذا البحث بدراسة الدكتور الرئيس وبحث مجلة المجتمع الكويتية وكتاب المعارك الأدبية) .

الحقيقة أن كتاب الإسلام وأصول الحكم ، من الأعمال الثغريبية والاستشرافية الخطيرة التى أريد بها هدم القاعدة الأساسية للإسلام وهى قاعدة أن الإسلام دين ودولة فى محاولة تنصير الإسلام وجعله مشابها للنصرانية التى هى بمثابة دين قائم على الوصايا وليس له تشريع ، لأن تشريعه فى اليهودية ، وهذه القضية هى مفتاح الفوز الفسكرى الذى واجه به النفوذ الاستعمارى بلاد المسلمين من أجل هدم هذه القاعدة وحصر الإسلام فى المساجد وفى الصلاة والصوم وفرض الأيدولوجيات الغربية فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية ، ومن هذا فتح الطريق أمام القانون الوضعى وكسر الحدود التى وضعها الإسلام شأن والقضاء على محرمات اسلام : الربا والزنا والسرقة والإختلاس والميسر وإباحتها وجعلها فى نظر الناس مشروعاً ، ومن وراء ذلك إمبراطورية الربا التى ترمى إلى تحطيم الضوابط والحدود وذلك للسيطرة على الاقتصاد الإسلامى وهدم المجتمع الإسلامى وإذاعة روح التملل والترف وتغليب مفهوم المجتمع

الإستهلاكى القائم على الشهوات والمذات والإباحيات وهدم قاعدة الأخلاقية المجتمع وهدم مفهوم المساواة الفردية للإنسان واتزامه الأخلاق فى بناء المجتمع الربانى فى الأرض .

وهكذا نصل إلى أن هذا العمل كان من المؤامرات الخطيرة التى ما تزال تتخذ سورا يقذف منها الإسلام على أيدى خصومه والراغبين فى هدم شرعته .

وبالجملة فإن كتاب الشيخ على عبدالرازق أحدث شرخا استغله خصوم الشريعة إعتادا على أن كاتبه رجل من الأزهري ومن علماء الإسلام وليس الأمر كذلك فى الحقيقة وإنما هى المؤامرة الشموية الضخمة التى قام بها التبشير والاستشراق لإحتواء أمثال على عبد الرزاق وطه حسين وهى مؤامرة مآلها الهزيمة والفشل بإذن الله . .

الفصل الخامس

سعد زغلول

(١)

دعوة صريحة إلى الكتاب المؤرخين :

انشروا مذكرات سعد زغلول المخطوطة لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية
الخادعة ولتضعوه في مكانه الصحيح من تاريخ مصر .

إن الحقائق تكشف عن دور سعد زغلول :

أولاً - تجميد اللغة العربية وإتاحة الفرصة للغة الإنجليزية بوزارة المعارف .

ثانياً - بحث قانون كرومر للطبوعات لحكمة الصحفيين والكتاب الوطنيين .

ثالثاً - التعاون مع الأجانب لأدخال الحضارة الغربية إلى مصر الإسلامية .

سعد زغلول

كان من أهم الأسئلة في ندوة الاعتصام ما قدمه عدد من الشباب استفساراً
عن صحة ما نشر عن تاريخ سعد زغلول من فصول في إحدى الصحف اليومية
وهذه تطابق هذا مع واقع التاريخ ومن خلال نظرة إسلامية صحيحة .

ولا ريب أن شخصية سعد زغلول هي واحدة من أكثر شخصيات العمل
الوطني في مصر بعد الحرب العالمية الأولى ، ولكنه لا يمكن دراستها ، إلا بفهم
الآطار السياسي الذي بدأ منذ أن احتلت بريطانيا مصر وواجهت الحركة الوطنية
التي قاومت النفوذ الأجنبي بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وعدد من المجاهدين
الذين عملت القوة البريطانية على تصفيتهم وتقديم جيل جديد من أصحاب الولاء
للفوز البريطاني وفي مقدمة هؤلاء أحمد لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمي .

هذه المرحلة السابقة لظهور هيئة الوفد المصرى التي قادها سعد زغلول لها أهميتها
في الكشف عن الدور الذى قام به سعد زغلول في معارضة الحركة الوطنية وكبح
جماحها ، وتقديم رجالها للحاكم كما فعل مع قديس الوطنية محمد فريد إبان توليه منصب
وزير الداخلية ، وكذلك دوره في تجميد اللغة العربية وهو وزير المعارف وإتاحة

الفرصة للغة الإنجليزية ، وكذلك دوره في إعادة بحث قانون المطبوعا القديم الذي كان كرم قد أجازته ثم أوقفه وذلك لمحاكمة الكتاب والصحفيين الوطنيين والحكم بأقصى العقوبات ، هذه الصفحة لسعد زغلول يجب أن تعرف قبل أن يقدم على المسرح كزعيم وطني بعد الحرب العالمية الأولى .

ولقد اختلفت حملات سعد زغلول كتابات المؤرخين والباحثين ، فوضعه كتاب الوفد وأصحاب الولاة لحزبه موضع اقداسة (وفي مقدمة هؤلاء الأستاذ العقاد) وكشف عن حقيقة مؤرخو الحزب الوطني (وفي مقدمة هؤلاء الأستاذ عبد الرحمن الرافعي) وجاءت كتابات كثيرة بعد ذلك لتضع سعد زغلول في حجمه الصحيح ، وكان في مقدمة ذلك تلك الدعوة الصريحة الموجهة إلى المؤرخين والكتاب والباحثين أن ينشروا مذكرات سعد زغلول التي كتبها بخط يده فإنها هي وحدها القادرة على أن تقدم للناس بغير ولاء ولا خصومة حقائق هذه الشخصية ودورها وعلمها وحقيقتها من خلال كتابات صاحب المذكرات نفسه ، تلك التي كتبها بكل حرية وإرادته خلال فترة تزيد على ثلاثين عاماً من أكتوبر ١٨٩٧ إلى ١٩٢٦ ، وتضم مراحل عضوية الجمعية التشريعية وتولية الوزارة وفترة المنفى وفترة رئاسة الوزارة وتضم ثلاثاً وخمسين كراسة فقد كان يسجل الأحداث يوماً بعد يوم عقب وقوعها مباشرة .

تكشف هذه المذكرات عن أشياء كثيرة أهمها :

أولاً : علاقة سعد بالإنجليز :

يقول عن المورد كرومر : « كان يجلس معي الساعة والساعتين ويحدثني في مسائل شتى كى تنور منها في حياتي السياسية (مذكرات سعد زغلول كراس ٢٨ ص ١٥١٦) والمعروف أن كرومر في تقاريره السنوية كل حرصاً على أن يذكر أنه يعد جيلاً جديداً من الشباب المصري المنفرد الذي يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطاني وقبول العمل معهم .

ومن هنا كان حملة كرومر بسعد زغلول عن طريق صحبه (مصدق فيهمي)

الذى كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال ، والذى قضى في الحكم ثلاثة عشر عاماً ، ركان أثير الإنجليز محبوا عندهم ، وقد أءبر إليه سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصرى . ولعل من الحقائق العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧ أعلن أنه يترك مصر مستريحاً . لأنه أقام فعلا القاعدة الأساسية لاستثناء الاحتلال وكان فى هذا العام قد أألف حزب الأمة ، وأصبح أطفنى السيد هو حامل لواء (الجريدة) وسعد ناظراً للمعارف ، وقد كرومر سخر فى خطبة الوداع الذى أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء النفوذ الأجنبى من المصريين جميعاً ، ولم يمح فى خطابها إلا رجلا واحداً : هو سعد زغلول .

ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب فى مذكراته أثر استثناء كرومر من منصبه فى ١١/٤/١٩٠٧ وكان يجلس معه كل من حسن باشا عاصم ومحمود شكرى عندهما تلقوا خبر الاستثناء فقال : أما أنا فكنت كن تقع ضربة شديدة على رأسه أو كن وخز بألة حادة فلم يشعر بألمها أشدة هولها (كراس ٦ ص ٢٤٠) . وكتب فى موضع آخر يقول : (قد أمثلأت رأسى أواماما وقابى خنقائنا وصدرى ضيقاً) (كراس ٦/٢٤٦) .

ويقول لورد كرومر فى تقريره السنوى عن تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف : لم يكن السبب الرئيسى فى تعيينه كما يظن أحياناً أنه إستثناء من الحالة التى كانت تسير عليها مصلحة المعارف المصرية فلا زالت قاصرة فى أن توفر أية بادرة لتغير جذرى فى السياسة الخارجية ، إنه يرجع أساساً إلى الرغبة فى ضم رجل قادر ومصرى مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالاصلاح فى مصر .

وقال كرومر : د كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطاق عليهم (جيروند) الحركة الوطنية المصرية ، والذى كان برنامجهم تشجيع اتعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر ، الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد فى قيام الوطنية المصرية .

وكان سعد في مقدمة الداعين لاقامة حفل لتوديع اللورد كرومر وكتب في مذكراته يملن ضيقة بالذين انتقدوا كرومر عقب استغفائه وقال : إن صفاته قد اتفق الكل على كمالها (كراس ٢٤٥/٦) وأشار إلى علاقة غورست خليفة كرومر به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة السريانية .

ثانيا : أخلاقيات سعد .

وتكشف المذكرات أخلاقيات سعد ومواقفه المتعددة من الحياة الاجتماعية : وأبرز هذه الجوانب علاقته بالقرار وقد كتب فيها طويلا يقال في (كراس ٢٦ ص ١٢٩٠) كنت أتردد بعد عودتي من أوروبا على السكوب (أى نادى محمد علي) إلى لعب الورق ، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض فأني لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسي من التردد على النادى ومن اللعب وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود وخسرت فيه مبالغ طائلة .

وقد بدأ ذلك حوالى ١٩٠١ فقد كتب في أبريل ١٩١٣ يقول : كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار واحتقر المقامرين وأرى أن اللهو من سفة الآحلام واللاعنين من المجانين ثم رأيت نفسي لعبت وتهورت في اللعب وأتى على زمان لم أشتغل إلا به ولم أفكر إلا فيه ولم أعمل إلا له ولم أعاشر إلا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالا وثروة (مذكرات سعد - كراس ١٢٩/٣) .

وكتب خلال زيارته لأوروبا صيف ١٩٠٨ (أفطر مع الست والباشا (أى مصطفى فهمى) وحسين (ابن محمود صدقي) في الساعة تسعة وبعد أن تمشى مع الباشا قليلا نمود إلى البيت لنلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة ثمانية وتمشى قليلا ثم نمود لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ مساء وقد أنفعل أثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان يعاكس وكان الزهر حسين سعيد ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر غير أن خسارتي كانت من طريقين : طريقى وطريق الست (كراس ١٣٠٠ - ١٣٠١ ص ٢٤) .

ويتسائل سعد عن الأسباب التي دفعته إلى المقامرة فيكتب ما يلي :

أريد أن أعرف ما أريد حتى أتمكن من معالجة نفسي من هذا الداء ، هل أريد بسطة في الزق ، أنه يقبضه في الكثير الغالب ، هل أريد سمة الجاه ، أنه يضيقه بما يخط من القدر في نفوس الناس هل أريد تنامي آلام تتردد على النفس عند خلوها من الشغل وهو كثير ، لا أشعر بهذه الآلام ، ويقول : ما كنت أصغى لنصائح زرجتى ولا أرق لتألمها من حائى ولا ارعوى عن نفسى ، وأشار إلى توباته المتعددة ، وعردته عنها فيقول : وقد يخيل لى ان كتابة هذه الخواطر ولنسجيل هذه الواردات مما يساعد على الاستمرار فى ارتكاب هذا الإثم ، كأن النفس تجسد فى هذه الاعترافات المكتوبة والأشتمزازات المرسومة ، فضيلة تكفها عن الانصاف بها وعن الإفلاع عن نفس الرذيلة او ان الاعتراف كفارة عن الذنب والجريمة المرتكبة ترجيحاً .

ويقول : لى اوصى كل من يعيش بعدى من لهم شأن فى شأنى انى إذا مت من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنائزى ولا يحذوا على ولا يجلسوا لقبول تعزية ولا يذفنونى بين أهلى وأقاربى وأصهارى ، بل بعيداً عنهم وأن ينشروا على الناس ما كتبتة فى اللعب حتى يروا حالة من تمكنت فى نفسه هذه الرذيلة وبئست العاقبة . الكراسة ٢٨ ص (١٥٧) :

وتفويض مذكرات سعد زغلول بالتفاصيل المسببة التى تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ومحاولة الإفلاع عنها وللتخلص منها وعودته إليها المرة بعد المرة فقد وردت تفاصيل إضافية فى الكراسات ٣ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ فى اثنى عشر موضعاً من هذه الكراسات .

وقد أشارت المذكرات بوضوح إلى أثر القمار فى حياة سعد وخاصة حياته الاقتصادية كما يشير إلى ذلك الدكتور (عبد الحاق لاشين) فقد وقع سعد الذى اتنى الضياع الواسعة تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه عام ١٩١٠ إلى أن يتبع الضيعة التى اشتراها بناحية قرطسا (بحيرة) لقاء اثنى عشرة ألف جنيه يقول : (بت هذه الاطيان وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم أستفد منه فائدة) كما باع الضيعة الأخرى بدسونس ومطونس عام ١٩١٨ بمبلغ ١٦ ألف جنيه وذاخ كل

إيرادات سدى فى مد عامين وكانت ٢٠٠٠ جنيه مرتب الناظر (الوزير) و ١٥٠٠٠ جنيه لإيجارات باقى أطيانه وأصبح دينا بمبلغ ٦٥٥٠ جنيه وبذلك بدد سعدالكثير من ممتلكاته يقول فى مذكراته (٢٥ مارس ١٩١٢) :

أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أتم ليلى بل بت طوله ساهراً تساورنى المصوم والأحزان وأنففس الصعداء على فرط منى من اللهب وضياح الأموال التى جمعتها بك العمل وعرق الجبين وسيرورتى إلى حال سيئة .

وهكذا أجهز القمار على ثروته التى كونها من المحاماة وكانت لا تقل عن ٤٠٠ فدان و ١٨ ألف جنيه فضلاً عما ورثه من صهره مصطفى فهمى : الذى كان يملك ٦٤٨ فداناً و ٨٦٠٠ جنيه وألف أردب قمح وألفى جنيه مواشى وكانت صفية زغلول التى أطلق عليها أم المصريين واحدة من ثلاث بنات خلفها مصطفى فهمى جلاد شعب مصر ثلاثة عشر عاماً .

وبعد فهل هذا وحده ما تكشفه مذكرات سعد زغلول التى تطالب بطبعها وإذاعتها لترسم صورة حقيقية لهذه الزعامة التى اختلف فيها رأى فرفعها بالهوى والصدافة والولاء السياسى إلى مكان آخر ، وما تريد أن نعلم أحداً ولكننا نطالب بالكشف عن الحقائق عن طريق الوثائق وما يمكن أن توجد وثيقة أشد صدقاً من مذكرات كتبها الرجل عن نفسه .

ومن خلال المذكرات سوف تتكشف أشياء كثيرة خطيرة ومثيرة .

(٢)

سعد زغلول

رأس المدرسة الحزبية في مصر

طل الناس وقتا طويلا يظنون أن سعد زغلول زعيم وطني ، وذلك تحت تأثير التبريج السياسي . والأوهام التي صنعتها الصحف الحزبية وأيديها تجار الوطنية منذ عام ١٩٢٠ حتى اليوم . فلما انقسمت الحزبية وأخذت تتصارع ونقدت عند الناس مظهرها وأمطار الزعماء بعضهم البعض وأبلا الاتهامات تكشفت الحقائق .

كان الناس يظنون أن سعد قديسا وقد كذبتهم حقائق التاريخ . فسعد رأس المدرسة التي جاءت بعد ثورة ١٩١٩ ، هو الثمرة الأولى لحزب الأمة الذي صنعه اللورد كرومر عام ١٩٠٨ ليحارب به الحركة الوطنية التي كانت ممثلة أذ ذلك في جهاد الحزب الوطني : مصطفى كامل ومحمد فريد وقد أعلن حزب الأمة منذ اليوم الأول أنه يقبل الالتقاء بالانجليز في منتصف الطريق . .

وليس صحيحا ما يقال من أن سعد وشعراوى وعبد العزيز فهمي هم الذين وضعوا بذور الثورة . فلم يكن من المعقول أن لقاء دؤلاء بالمندوب البريطانى هو العامل الرئيسى فى اندلاع ثورة ضخمة جليلة الخطار كالثورة المصرية عام ١٩١٩ ولا تقوم الثورات نتيجة لمثل هذه المقابلات ، وإنما تقوم نتيجة لتوجيه دائب طويل المدى بتغلغل فى نفوس الأمة زما طويلا حتى يأتى اليوم الذى ينفض فيه هذا الشعور وينفجر بصرف النظر عن الأشخاص .

وقد سمى ذلك اليوم المين الذى قابل فيه الزعماء الثلاثة المندوب البريطانى بعيد الجهاد (١٣ نوفمبر ١٩١٨) ولو أننا قرأنا المخططة الرسمية للحديث الذى دار فى ذلك لحصلنا حتى من مجرد ذكره .

في ذلك اليوم قال سعد للندوب البريطانيين هذه العبارات بالنص : . . متى ساعدتنا أنجأنا على استقلالنا التام فإننا نعطىها ضمانه معقولة على عدم تمكن أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة أنجأنا . فتمطىها ضمانا في طريقها للهند . هي قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عن الاقتضاء . بل نخالفها ونقدم لها ما تستلزمه المحالفه من الجنود .

وفي حديث سعد ثلاث هنات : تسليم قناة السويس . وقبول الاحتلال . والموافقة على الدفاع المشترك .

وأذا كان ما قيل من أن كرومر خلال وجوده في مصر كان يهدف إلى أعداد مصريين ليحكموا مصر باسم بريطانيا فهذا يعنى أن هذا الهدف قد تحقق إلى أبعد مدى في إختيار سعد زغلول .

ونستطيع أن نرجع إلى تاريخ سعد زغلول قبل ثورة ١٩١٩ وقبل الحرب العالمية الأولى فنراه واضحا لا غموض فيه فقد عاصر حركة عرابى وهى أكبر حركة شعبية في عصره فلم يعرف له فيها دور واضح . وعندما قام مصطفى كامل بحركته وقف في صفوف حزب الأمة وحارب الحزب الوطنى الفتى . وعندما صاهر مصطفى فهمى صديق الإنجليز الوحيد في مصر ، والوزير الذى حكم مصر اثني عشر عاما متواليه كان أنما يريد أن يؤهل نفسه لمنصب الوزراء .

تولى مصطفى فهمى وزارة الاستسلام المطلق للإنجليز من نوفمبر ١٩٨٥ أى نوفمبر ١٩٠٨ وفي خلال حكمه باع البواخر المصرية بانحس الاثمان إلى شركة (الن والدرس) وعددها ١١ باخرة قدرت بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه ونصف مائون وقد باعها الوزير الشريف بمبلغ ١٥٠ ألف جنيه .

وقال مصطفى فهمى أننا مدينون لإنجلترا بثروتنا وسعادتنا وهناتنا .

وفي عهده وقعت اتفاقية السودان . وأنشئ حزب الأمة . وأحتفل بوداع كرومر .

وقد عين مصطفى فهمى صهره سعد زغلول وزيرا فإذا فعل سعد زغلول

انسحب من لجنة مشروع الجامعة عقب هذا التعيين وكان نائباً للرئيس وتبين أن انسحابه كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال لكي يحبط المشروع . وقد أصاب المشروع الفتور فعلاً بعد أن تركه سعد .

قال مصطفى كامل : كيف يهتم سعد المستشار بالاستئناف بمشروع على ثم ينسحب منه بعد أن يصبح وزيراً للمعارف .

واتجه سعد إلى إنشاء الكتاتيب بعد أن جمد مشروع الجامعة . وطلبت الجمعية العمومية جعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية فاعترض وزير المعارف على هذا الاقتراح وقال بالنص :

أنا إذا فعلنا ذلك أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا أساءة كبرى .

وقد كانت صدمة زغول أن رفضت الجمعية العمومية اقتراحاته وأقرت المشروع بالأغلبية العظمى ودافع سعد مع الأسف عن سياسته الاحتلال في التعليم . كتب مصطفى كامل يقول : أن الناس قد فهموا الآن بأوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا أختار لورد كرومر لوزارة المعارف صهر رئيس الوزارة الأمين على وحيه ، الخادم لسياسته .

وعندما احتفل بترديع كرومر طعن المصريون ولم يمان تقديره إلا لسعد وقالوا أن سعد زغول قاوم دنلوب وقيل في الرد على ذلك أنه فعل ذلك ليكون أشد على مصر من دنلوب وخلص منه لرغبات الإنجليز .

وأن كان سعد قد اصطدم بدنلوب وهو مالم يحدث - فأنما فعل ذلك لاعتداده بشخصيته وليس لمصلحة مصر . ولم يعرف عنه أنه اختلف معه في أمر من أمور الوطن . وعند ما قام فريد بالدعوة إلى المطالبة بالدستور وأجمعت الأمة عليه ، صرح سعد زغول بأن مصر لا تصلح للحكم النيابي .

وعندما عين وزيراً للعدل سن قانوناً بأحالة تهم الصحافة إلى محاكم الجنايات وفي عهده - ١٩١١ - حوكم محمد فريد بإيعاز منه وحك عليه بالسجن ستة شهور كما حوكم عبد العزيز جاويز ، وأغلقت صحف الحرب لوطنى واحده بعد الأخرى .

وقد اشترك في وزارات مصطفى فهمي وبطرس غالي ومحمد سعيد ووافق على اتفاقية السودان .

ثم جاء الوقت الذي حدده الإنجليز للدور الذي قام به سعد زغلول :

نفى الإنجليز جميع زعماء الحزب الوطني إلى الخارج . وانداهت الحرب وأعلنت الحماية على مصر . فكان سعد زغلول أول من استقبل مندوب الحماية وأدلى إلى « المقطم » الأغر ! بحديث قال فيه أنه استبشر خيرا بمقدمه . وتولى سعد زعامة الأمة اعتباطا ، كان في سن مرتفعة . وكان مريضا معتلا الصحة في الوقت الذي وكلت إليه زعامة الأمة !

ولكن سنده في زعامتها كان شيئا هاما هو رضا الإنجليز عنه وأعجاب الإنجليز بتليذ كرومر وصهره مصطفى فهمي أما ماضيه فلم يكن شيئا يشرف أو يحل على الإعجاب .

ومن صفحات ماضيه غير ماذكرنا موقعة يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٠ عندما وقف وحده في الجمعية التشريعية يدافع عن مطالب شركة قناة السويس لمدة عقد امتياز القنال أربعين عاما بعد موعده نهاية عقدها أى من ١٩٦٨ إلى عام ٢٠٠٨

وكان الوزير متحمسا لذلك . شديد الحماس . قوى المعارضة في تأييد المشروع . يوانقه رئيس الحكومة « بطرس غالي باشا » الذي قتل في ٢١ فبراير ١٩١٠ قبل أن يتم نظر المشروع . وقال التحقيق أن تأييد المشروع هو سر اغتياله .

وفي ٤ أبريل ١٩١٠ عاود هذا الوزير تأييد المشروع . ولكن المجلس لم يأخذ برأيه ورفض أغلب النواب المشروع . وصدقت الشرفات الخاصة بالزترين . وانهمز سعد والمندوب البريطاني .

وبدأت مظاهره لم تتكرر في تاريخ مصر : خمسة عشر ألفا من المصريين كانوا قد تجمعوا خارج القاعة . فما أن عرفوا باتقرار حتى طافوا شوارع القاهرة بموسيقاهم وأعلامهم .

وكانت أول مظاهرة ضد الاحتلال : ثم ماذا ؟

ثم أصبح هذا الوزير بعد ذلك زعيم مصر ذاتية . وأصبحت هذه الألوف الخمسة عشر التي هتفت بسقوط مشروعه ، تهتف له : يا مستعريه اقتدر حين يصبح صنيعة الاستعمار زعيما لوطنه .

يقول جورج لويد في كتابه [مصر منذ عهد كرومر] بصور سعد زغلول بفضل مجرود اللورد كرومر أنشئ في مصر في اكتوبر ١٩٠٧ حزب جديد هو حزب الأمة وصحيفته الجريدة .

كان أكثر أعضاء هذا بعثا للامل رجل أصبح اسمه فيما بعد أمم الاسماء في تاريخ مصر الحديثة . ذلك هو سعد زغلول . ولما كان سعد قد أختار لنفسه مهنة المحاماة فقد وقع عليه اختيار الأميرة نازلي فاضل ليكون محاميا ووكيل قضاياها . وقد أوحى اليه أن يتعلم الفرنسية . وكانت الخطوة الثانية من خطواته اقتراحه بأسم مصطفى فهمي رئيس الوزراء الذي كان صديقا لدولتنا . مواليا لبريطانيا .

وقد كان سعد في تلك الفترة من حياته قد ظفر بعلاقات سياسية من طهة عالية وكان مؤمنا بالصدقات البريطانية . وخصما شديدا قويا لسياسة الخديو ونشاطه السياسي ولذلك كان لامناص لـ كرومر إذا أراد أن يشجع الرأي العام المعمرى السياسى الموالى لبريطانيا ولما أراد في الوقت نفسه أن يقدم عربونا لصديقه مصطفى فهمي أن تخار سعد زغلول لوزارة المعارف المنشأة حديثا .

بقى أن أحدثك عن الدور الذى قام به سعد :

كانت الاحكام العرفية قائمة في ذلك الحين . وكانت الصحف لا تكتب حرفا واحدا إلا بأذن الرقيب . وكان في إمكان السلطات القاضية - اذا شاءت أن تجعل خير القبض على سعد في نطاق حديدى لا ينفذ منه ولبيكها هي التي سمحت للصحف بنشر الخبر والتعليق عليه .

بل طبعت السلطة على نفقتها مئات الألوف من النشرات معلنة أمر القبض على سعد وصحبه . ونشرت على طول البلاد وعرضها . لتلفت نظر الأمة إلى الزعيم

الجديد في الوقت الذي كانت السلطة تخشى فيه أن يستعيد الحزب الوطني سيطرته على الجمهور فيوجه الحركة التوجيه الصحيح الذي تحاول انجلترا تفاديه .

وحدث ما توقعه الانجليز ، فبالرغم من ماضى سعد وموقفه من الحركة الوطنية فإن الشعب الطيب نسي كل ذلك .

وهكذا اشتعلت الثورة وتعالق الاصوات هائفة بالاستقلال .

ووصلت ابناتها الى سعد وصحبه في مفاه فاندحش لها لانهم لم يعمروا لها ولم يكونوا يتوقعونها .

وخدعت مصر أى خدعة وطنية سعد زغلول فادلت قيادها له مغتصة العينين تحت أغراء الألفاظ الرافقة .

أنه زعيم المصادفة البعثة . الذى تسلم آمال شعب في الوقت الذى خلا فيه عزين الأسد . الأسد هنا هو بالطبع : [قديس الوطنية « محمد فريد »] تسلم هذه الآمان التى رباها مصطفى كامل ومحمد فريد وضحيا في سبيلها بحياتهما وما يملكان .. وضعت هذه الآمال الغالية بين يدي الرجل الذى كان خصم الحركة الوطنية وجلادها .

وبفضله حدث الانحراف الذى أصاب الوطنية المصرية فانتقلت من الطريق السليم الثابت الصريح إلى أسلوب اقضايا والمحاميين . الدور الملقوف المضطرب . لم يجر على لسان سعد كلمة « الجلاء » ، كلمة الحزب الوطنى الصريحة الواضحة . ولكن سعد قال كلمة أخرى : « الاستقلال » ، وهى كلمة غامضة مبهمه مطاطة غير واضحة ولا محددة .

وحارب سعد الحزب الوطنى أعنف الحرب وسخر منه وحارب سعد كل خصومه بكل وسيلة ولو كانت غير شريفة .

كانت الفاظه تنطوى على الخداع والتضليل . فيها مظهر براق يثير النفوس ولا كنهه في حقيقته « الماء » الذى وضعه سعد على نار الثورة التى قامت بغير قيادته وفي غيبته .

ولما أسلمت الأمة له قيادها . مزق وجذتها في سبيل الخصومة الشخصية . ولم يستطع أن ينكر ذاته وغروره في سبيل الحفاظ على القوة التي في يده ، فضرب الإنجليز به خصومة وضربوا خصومة به . فكان للخلاف الحاد وألمات الروح الوطنية الفواره .

ونقل معركة الوطنية من ميدانها الأحصيل في الصراع مع الغاصب المحتل إلى الصراع بين أبناء الوطن نفسه . وسلك سبيل التنازع على العظمة التي ألقاها لهم الإنجليز وأطلقوا عليها « الحياة الدستورية » .

ومن يومها أصبحت الحياة السياسية المصرية سلسلة من المؤامرات والمناورات في سبيل سقوط وزير وتولي وزير آخر .

وتحت ضغط شهوة الحكم رفض سعد أن يظل زعيما وطنيا . وكان هذا أول الوهن فقد خدعه ما كدونا لد خدعه كبرى حين قال له أنه يستطيع أن يحل معه « القضية » المصرية وهما يتناولان فنجانا من القهوة .

وسعد زغلول هو أول من قبل بدأ « المعارضة » والجلوس مع الغاصب على مائدة واحدة وأول من أجاز فضل قضية السودان وتجميدها ، ولم يلبك أن صرح هذا التصريح الخطير « الإنجليز إخصوم شرفاء معقولون ، ولم يكن قدوة للشعب في تصرفاته . بل كان متعاليا وأرستقراطيا . ولم يؤثر عنه أنه اتصل بالفلاحين أو العمال على وضع شعبي .

وفي بياناته عن مشروع ملز أظهر روح الرجل اليأس الميئوس الذي يرى أن شيئا خير من لا شيء ، ولم تكن فكرة « الجلاء » يوما من برنامجيه .

وعندما طرد الجيش المصرى من السودان وسئل عن موقفه قال : ليس عندنا تحريرة . وكانت صبيحة سعد الانتخابية « الإخلاص فوق الكفاءة » .

وعندما قتل زعيما حزب الأحرار الدستوريين حسن عبد الرازق وإسماعيل زهدى وماجم الوفديون دار الأخبار التي كان يحمرها أمين الرافعي ولما سئل سعد قال : لا تطلبوا منى حماية أنصارى من خصومى .

زغلولية لحما ودما . . . ، مبررا بذلك تصرفاته في تعيين أهله وأقاربه وبالرغم من ازهريته ، تنسك للذين ودافع عن القوانين الأوروبية ، ولجأ إلى الصلاة لغرض واحد هو كسب الأزهرين إلى صفه .

وقد وصف ملتر الوفد على عهد سعد زغلول ، أن هيئة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسو من الفلاحة المتطرفين . بل أصلهم من حزب الأمة القديم ، الذي كان عرضه التقدم الدستوري تدريجيا بخلاف الحزب الوطني الذي هو حزب الثورة ومعارضة الإنجليز

وقال ملتر ، أن الهيئة المستحقة للاعتراف هي المعروفة بالوفد والتي يرأسها سعد زغلول باشا والتي تتسلط على العقول المصرية تمام التسلط .

ولو في هذا الحين على الأقل — مؤلفه أعضاء أكثرهم ليسو من الفلاحة المتطرفين ، بل أصلهم من حزب الأمة القديم . الذي كان عرضه التقدم الدستوري تدريجيا بخلاف الحزب الوطني الذي هو حزب الثورة ومعارضه البريطانيين .

ومن أدلة غطرسته وطغيانه أن طلب إليه ثروت العودة إلى الوحدة فكتب إليه سعد يقول : «أمامك المنابر العامة فاعلمها أن وجدت سميعا . والجرائد السيارة فاكتب فيها أن وجدت قارئا . والنواذ الخاصة فتحدث فيها أن وجدت نصيرا ما أنت بزعم في هذه الأمة ولا رئيس حزب فيها حتى تكون هناك أهمية لخلافك أو وفائك . . . »

وبالرغم من هذا فإن سعد عندما فرض الإنجليز ثروت رئيسا للوزارة دونه قبل هذا الوضع وصانح ثروت .

ومن آيات «شرفه» أن محمد نريد الزعيم المصري المنفي في برلين أرسل برقية إليه بعد تشكيل الوفد المصري هذا نصها .

«نحيي فيكم الوطن الغائب . ونرجو لكم كمال التوفيق والنجاح» ورفض سعد أن يجيب .

وعندما ذهب الطلاب إلى سعد في باريس يعانونه بأن محمد فريد مريض في برلين وفي حاجة إلى الدواء وطلبوا إليه من مال المصريين الذي أرسل إليه ما يعين الزعيم البطل ، رفض سعد بشدة وقال أنه لا يعطى لمجنون .

وقال : مصطفى الشوربجي أن سعد زغلول كان يريد أن يكون ملكا على مصر قال علوبه باشا (٧ ديسمبر ١٩٢٣) أن سعد بعد وصوله إلى باريس من منفاه للدفاع عن القضية المصرية وعلم أن ولسون رئيس الولايات المتحدة قد اعترف بالحماية على مصر . د بدأ سعد يقول لنا يكرر قوله بألا أمل لنا في شيء وأن واجبنا قد انحصر في تنظيم هزيمتنا . وإن علينا أن نرجع إلى مصر متفرقين حتى لا تقع علينا مسؤولية الفشل . . . ، وقال الشوربجي د أن سعد ألح على عدلي في الضرور إلى باريس فحضر . وسعى سعد حتى مهد لنا طريق المفاوضات مع ملنر . . وكان يطمع في الملك .

وتما سجله عبد العزيز فهمي في مذكراته د أن سعد كان يقول للملنر : شعبي يريد كذا وأنه حين فاتح ملنر في عرش مصر صدمه ملنر صدمه ولحقه اليأس من أول صدمة في الوقت الذي كانت الأمة فيه تنادى باسمه .

وبعد فتل هذه الصورة تعطيك حقيقة المدرسة السياسية التي صنعها سعد زغلول وعاش عليها زملائه وتلاميذه بعد ثورة ١٩١٩ إلى أن تلاشت بعد حركة يولييه ١٩٥٢

سعد زغلول واللغة العربية

كانت الحملة الأولى على اللغة العربية قد بدأت بقيادة ولكوكس ثم انتهت إلى لطفي السيد في جريدة (الجريدة) لسان حال الإنجليز تحت اسم أصحاب المصالح الحقيقية ، غير أن الاستعمار تابع هذه الحملة بحملة أخرى في مجال التعليم نفسه فعمد إلى فرض لغته على تعليم جميع المواد باللغة الإنجليزية في مختلف فروع التعليم .

وكان كرومر قد أشار بتعيين (سعد زغلول) ناظراً للعارف في أكتوبر سنة ١٩٠٦ واستقبل تمييزه بالتحفظ من جانب الوطنيين الذين تمنوا له أن يحقق آمال البلاد في تعليم العلوم باللغة العربية وخفض مصاريف التعليم وتحقيق مشروع الجامعة ، غير أن سعد زغلول لم يثبت أن انسحب من مشروع الجامعة وتبيل أن ذلك تحقيقاً لرغبة الاحتلال في إحباط المشروع ، وكانت بريطانيا قد وضعت مخططاتها منذ اليوم الأول لاحتلالها على أساس القضاء على اللغة العربية فقد أشار مسر دوفرين في تقريره الذي وضعه لتنظيم الاحتلال عام ١٨٨٢ إلى خطر اللغة العربية في مصر وقال :

إن الأمل في نجاح تهذيب العالم في مصر لا يزال ضعيفاً مادام الصبيان لا يتعلمون اللغة العامية بدلا من تعلمهم لغة القرآن الشريف كما يفعلون الآن ، فإن نسبة العامية إلى الفصحى في اللغة العربية هي كنسبة اللغة الإيطالية الحديثة إلى اللغة اللاتينية القديمة .

ثم لم تلبث أن توالى الدعوات إلى العامية والتي وجدت من الرد عليها وتنفيذها ماحل بريطانيا على تأكيدها عملها بوسيتين :

الأول : التعليم باللغة الإنجليزية وجعلها اللغة الأساسية على أن تصبح لغة

ثانوية وقد أيد هذا الاتجاه « سعد زغلول ، وزير المعارف إذ ذاك ودافع عن اللغة الإنجليزية .

الثاني : هو قيام المصريين أنفسهم بالدعوة إلى العامية وقد بدأ لطفى السيد حملته هذه عام ١٩١٣ وتبعه قاسم أمين .

وقد هبت الجمعية العمومية (مارس ١٩٠٧) في مصر بالدعوة إلى التعليم باللغة العربية وطالبت بها وألقى الشيخ على يوسف خطاباً ضافياً في هذا الموضوع أمام الجمعية العمومية .

قال : من القواعد التي لا خلاف فيها أن تعليم العلوم بلغة الأمة أكثر نفعاً وأعظم فائدة ، على نحو لا يقدر من تعلمها بلغة أجنبية ، ذلك لأن التعليم بلغة الأمة ينقل العلوم لطاقتها إليها بخلاف التعليم باللغة الأجنبية فإنه ينقل أفراد الأمة المتعلمين فقط من هذه الأمة لهذه العلوم ، وإذا كان بالعلم حياة الأمم فهو لا تحياً إلا إذا دب في جسمها كالدّم في الشرايين ولا طريق له في حلاله سوى اللغة التي هي إله التفاهم .

لذلك كانت الحكومة المصرية أول ما فكرت في إنشاء المدارس المنظمة على سنن الحكومات الرقمية قد جعلت اللغة العربية أساساً للتعليم حتى كان الأستاذ الأوربي يعلم والمترجم المصري بجانبه حتى وجد من المصريين الأساتذة الأكفاء في جميع العلوم المصرية لأنهم كانوا يترجمون الكتب ويؤلفونها بالعربية في جميع العلوم .

ولم يكن حصل خطأ في طريقة التعليم في المدارس الأميرية من بعض الذين كانوا قابضين على أزمتها منذ بضع عشرة سنة إذ قال باستعمال اللغات الأجنبية أداة للتعليم في المدارس العالية ثم حصل التوسع في هذا الخطأ بمقادير تزيد كلما طال الزمن لأنهم منحصرون في ثلاث علل كما يقولون :

(١) قلة الأساتذة الوطنيين الأكفاء . (٢) كسب العربية المؤلفة في العلوم

المدرسة . (٢) فخر اللغة في الاصطلاحات الفنية التي تزيد كل يوم في العلوم
باللغات الأجنبية .

والمعتقد أن ما يسمونه علالهما في الواقع نتائج معلوله لعله واحد هـ هـ
تعليم العلوم لأن هذا الهجر استدعى جلب الأساتذة من غير المصريين وفي كل عام
منذ تقرر التعليم باللغات الأجنبية يزيد عددهم في مدارس الحكومة وهذا الجلب
أفضى إلى قلة الأساتذة المصريين الأكفاء بالضرورة كما أفضى إلى قلة الكتب
المدرسية بل إلى فقدانها بالمرّة .

ولما كان استمرار طريقه التعليم باللغات الأجنبية مؤدياً ولا ريب إلى حصر
العلم في دائرة ضيقة جداً من الأمم ، ودقلاً بالضرورة للأساتذة الأكفاء من
الوطنيين وملاشياً للكتب العلمية والفنية التي بلغة البلاد وممتاً لهذه اللغة شيئاً فشيئاً
وكل هذه النتائج مضار كبرى تلحق بالأمم المصرية ولا علاج لها إلا تعديل طريقه
التعليم الجارية الآن باللغة الأجنبية ، فأنا أقسم من هيئة الجمعية العمومية الموافقة
على طلب تعليم العلوم في مدارس الحكومة وإمتحان طلبتها باللغة العربية وأن يكون
الشروع في ذلك من السنة المقبلة (المؤيد ٢ مارس ١٩٠٧) .

وكانت هذه هي وجهه نظر جميع الوطنيين الفيوريين ، غير أن سعد زغلول
بوصفه ناظر المعارف ألقى كلمة في الجمعية العمومية ردأ على وجهة نظر أصحاب
هذا الرأي معارضاً إياه معارضة تامة فقال :

أن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبته أو إتباعاً لشبهتها ،
ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمم ، أن مركز الأمم من الأمم الأخرى
وإحتلالها بالأجانب وإشتباك المصالح الأجنبية بالمصالح الوطنية كل ذلك أوجب
تعلم العلوم باللغة الانجليزية لكي يتقوى بها التلاميذ فيها كما ينبغي ، ويمكنهم
أن تستفيدوا من المدنية الأوروبية ويفيدوا بلادهم بها ويقووا على الدخول مع
الأجانب في مترك الحياة : حياة العلم والعمل ، شعرت الأمم بهذه الضرورة

قبل شعور الحكومة بها فأرسلت كثيراً من إنباتهما إلى المدارس الأجنبية كمدارس
الفرير والجزويت والأمريكان التي تلم تعلم فيها بلغات أجنبية .
واضطرت الحكومة أن توجب التعليم باللغة الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية)
وعندما أنشئت مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التي أنا أحد مؤسسيها رأينا أن
لا تدخل اللغة الأجنبية فيها ولكننا لم نثبت أن شعرنا بهذا الخطأ فعدلنا عنه
واضطررنا لإدخالها ، وفي الحقيقة إذا فرضنا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية
فإننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا لمساءة كبرى لأنه لا يمكن الذين
يتعلمون على هذا النحو أن يتوطقوا في الجمارك والبريد والمحكم المختلطة والمصالح
العديدة التابعة للحكومات والشركات والبنوك ، وإذا قلعت النظر عن هذا كله
صادفتنا صعوبة مادية هي قلة المعلمين الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة
باللغة الويد ويستحيل مع وجود هذه الصعوبة الشروع الآن في التعليم باللغة العربية
وإذا كنتم مع ذلك تواقفون على الإقتراح المقدم لكم عن (تعلم العلوم باللغة
العربية) كنتم كن يحاول الصعود إلى السماء بغير سلم ، أ . ه .

هذا هي وجهة نظر زعيم الأمة في اللغة العربية فهو يرفض تعلمها ويصر على
إبقاء اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم في مختلف العلوم (ما عدا اللغة العربية نفسها)
وقد رد الشيخ على يوسف صاحب المؤيد على إقتراءات سيد زغلول فقال :

إن ما فعلته نظارة المعارف من نسخ التعليم باللغة العربية وجعله باللغات
الأجنبية لم يكن لحاجة البلاد وليس سببه إقبال الأمة على المدارس التي كانت تعلم
باللغات الأجنبية كما تقول ناظر المعارف بل الأولى أن نقول إن إقبالها على مثل
مدارس الجزويت والفرير كان منشؤه ضعف التعليم من حيث هو في مدارس
الحكومة ، وقد قل ناظر المعارف إن التعليم في مدارس الحكومة ضعف إلى حد
أننا نلتجئ إلى إرسال أبنائنا إلى المدارس الأجنبية .

هذا وقد وافق المجلس على التعليم باللغة العربية ، غير أن ناظر المعارف وضع
عبارة مألها لأنه لا يمكن تنفيذ المشروع الآن للصعوبات الموجودة ومتى زالت
الصعوبات أمكن تنفيذه .

وبما يذكر أن أحمد حشمت عند تولي وزارة المعارف جعل التعليم في أكثر المدارس باللغة العربية .

هذا وقد هاجمت كبريات الصحف الوطنية سعداً وإتجاهه ولم تدافع عنه إلا جريدة الأخبار لصاحبها يوسف الخارن التي كانت تسير في فلك الإستعمار تحت عنوان اللغة العربية وسعد زغلول في ١٠ مارس ١٩٠٧

ويقتضينا الموقف هنا أن يتحدث عن موقف سعد من دنلوب ، فقد أثار العقاد وبعض أنصاره أنه عارضه دنلوب وكان يتجاهله وتلك أكذوبه لها طابع زائف ، فكيف يمكن أن يعارض سعد دنلوب والذي هو وزير المعارف الحقيقي وقد اختير سعد عن ولائه للإنجليز الذي هو مصدر الثقة فيه ، وإذا كان سعد قد اتخذ موقف مامن دنلوب فإن هذا من المسرحيات الإستعمارية التي تريد أن تعطى أول وزير مصري إختقاره كرومر من تلاميذه صورة البطولة والوطنية الكاذبة وهل من المحقول أنه جاء وزيرا على غير رغبة المستشار الإنجليزي وأصحاب السلطة الفعلية في البلاد .

مواقف سعد

وتستطيع أن تلخص مواقف سعد على النحو التالي :

أولاً : موقفه من المتمد البريطاني في مقابلة ١٣ نوفمبر وعبارته معروفة [متى ساعدتنا إنجلترا على استقلالنا انتم فلا ننا نهطيا ضمانه مقولة على عدم تمكن أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا ، فنهطيا ضمانه في طريقها إلى الهند وهى قناة السويس ونجعل لها دون غيرها حق إحتلالها عند الاقتضاء بل ونحالفها على غيرها ونقدم لها ما تستلزمه من المخالفة من الجنود .

وقال سعد : لا نلتجئ لسواك هنا ولا فى الخارج إلا لرجال الدولة الإنجليزية .

ثانياً : موقفه من اللغة العربية فى التعليم وهى واضحة تماماً حتى بعد أن صدر قرار الجمعية العمومية بالموافقة فقد وضع سعد زغلول المقبات دون تنفيذه ، وقد هدد سعد المصريين فى خاتمة بقوله . أن عدم تعلمهم باللغة الإنجليزية سيحول بينهم وبين التوظيف فى الجمارك والبريد والتحاكم المختلطة وقد أغضب هذا التصريح الوطنيين وحمل عليه الشيخ عبد الميز جاديش حملة قاسية تحت عنوان : (ظلموك يا سعد) .

ثالثاً : موقفه من تجديد امتياز قناة السويس وقد كان معروفاً أنه فى صف الإستعمار وأن الأمة كلها خرجت تهاجم القرار وتأييد سعد له بل أن الجمعية العمومية رفضته أيضاً .

رابعاً : موقفه من زعيم الأمة محمد فريد ، حين رفض معونته وهو فى أزمة مرضية فى برلين وكانت البلاد قد جمعت لسعد زغلول قيل سفره إلى أوروبا بصفة ألوف من الجنحات .

خامسا : القائد الحقيقي لثورة ١٩١٩ هو عبد الرحمن فهمي وهي ثورة جاءت وليدة الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد . وقامت بعد سفر سعد زغلول وقد دهش لها حين علم بها .

سادسا : عين سعد زغلول وزيرا للمعارف ثمنا لموقف شقيقه (فتحى زغلول) الذى كان رئيسا لمحكمة دنشواى ، وما كاد يلى وزارة المعارف حتى إستقال من عضوية لجنة إنشاء الجامعة الأهلية معتذراً بأن أعماله ومشاغله تحول بينه وبين إستمراره فى عضوية اللجنة بينما كانت اللجنة هنا أدخل فى عمله كوزير للأهالى منها فى عمله كمستشار يفصل فى قضايا الناس .

وقد قال مصطفى كامل :

كان سعد زغلول أول وزير رحب المصريون بدخوله الوزارة وكان قد أختير رئيسا للهيئة التي تألفت لإنشاء الجامعة المصرية الأهلية وكان لورد كرومر يرى فى إنشاء هذه الجامعة ما لا يتفق مع سياسته فى أن الغرض من التعليم فى مصر هو تخريج موظفين للحكومة لكنه لم يكن يستطيع التصريح بهذه المعارضة من غير أن يجد مسوغاً لتحويل التيار إلى ناحية أخرى لذلك بدأت أبواقه تذيع أن نشر التعليم الأول بين فئات الشعب أجدى على البلاد من إنشاء الجامعة وأخذت الحكومة تشجع لإنشاء الكتاتيب فلما عين سعد وزيرا للمعارف قيل أن الغرض من تعيينه أن يترك رئاسة مجلس الجامعة أضفانا لهذا المشروع .

وقال عبد الرحمن الرافعى (فى كتابه مصطفى كامل ص ٤٠١) : وقد تبين أن انسحاب (سعد زغلول) من رئاسة اللجنة كان تحقيقا لرغبة الإحتلال لى يحبط المشروع وقد أصابه الركوند فعلا بعد إنسحابه من اللجنة وبخاصة لأن الحكومة خلقت فى هذا الحين بإيعاز من الإحتلال حركة لإنشاء الكتاتيب .

أما ما ذكره العقاد من أن سعد كان مع حركة اللغة العربية وإنشاء الجامعة فهو دفاع غير مؤيد بسناد حقيقى .

سادسا : إتياء سعد إلى الماسونية :

نشرت المصور (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٧) تحت عنوان الأمة والحكومة
تشييعان الفقيه العظيم) : أشارت إلى وفد البنائين الأحرار الماسون في تشييع
جنازة الزعيم فقد كان رحمه الله قطبا من أقطاب الماسونية وقالت جريدة المقطم :
الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ في الصفحة الأولى ما يلي :

حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم :

فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضداً كبيراً وفضلاً كثيراً
وزخراً وفيراً كانت تعتر بفضلله وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيه الأعظم يطن
عن موعدها فيما بعد .

وقالت المقطم : إن درجة سعد زغلول في الماسونية ورواد صالون نازلي فاضل
في التنظيم الماسوني يفسر لنا نوع الصداقة مع قاسم أمين ويوضح الخط الفكري
الذي سار فيه رائد تحرير المرأة وإهدائه كتاب المرأة الجديدة إلى سعد زغلول .
ونشر المحمل الأكبر الوطني المصري (المقطم ٢٥ أغسطس ١٩٢٧) بياناً إلى
الأخوان الماسون جاء فيه .

لقد ريعت البناية الحرة من الفاجعة الاليمة التي أصابت عقيدة البنائين الأحرار
خاصة والأمة المصرية عامة بموت زعيم مصر وواحدها المرحوم المغفور له سعد
باشا زغلول الأستاذ الأعظم الفخري الخ الخ .

وأشارت المقطم إلى تاريخ سعد زغلول فقالت :

كان سعد زغلول من المتأثرين بتأثير الشيخ محمد عبده ، وكان الشيخ أول
من لفت نظر اللورد كرومر إليه وقال أنه يتفاهل بأن يكون من خير دعاة
الإصلاح والتجديد المصريين وأنه مستعد لأن يعمل مع إنجلترا ولما خطب
اللورد كرومر خطبة الوداع في القاهرة ١٩٠٨ قال : أن زغلول رجل نزيه

مقتدر شجاع وأن مجال التقدم أمامه متسع وقد دفع زغلول باشا عن الاقتراح الذى
اقترحه بريطانيا لإطالة مدة إمتياز قناة السويس فلقى معارضة شديدة دبرها
الحديد السابق غير أن زغلول أدى المهمة التى عهد إليه بها بشجاعة وبلاغة .

وقالت المقطم فى ١٨ مايو ١٩٢٤ : تحت عنوان [أول دليل ماسونى] شرح
داود تغمياس أفندى من واضعى الدليل المصرى الكبير بموافقة المحفل الأكبر
الوطنى المصرى بإصدار دليل مفيد يجمع بين دفتيه كل ما يهم الإخوان الماسون
وغيرهم معرفته مصدرا يرسم ذى الرئاستين الأخ الكلى الاحترام صاحب الدولة
سعد باشا زغلول المهدي له الدليل بصفته الرئيس الفخرى الأعظم صلاوة على رسوم
رعاياه العظيمة . . . الخ .

الفصل السادس

قاسم أمين

Journal of Management Education 30(6)p. 789-804
© The Author(s) 2006

$\rho_{\text{max}} = 0.0001$ (1000 iterations) $\rho_{\text{max}} = 0.0001$ (1000 iterations) $\rho_{\text{max}} = 0.0001$ (1000 iterations) $\rho_{\text{max}} = 0.0001$ (1000 iterations)

$\frac{d}{dt} \left(\frac{\partial L}{\partial \dot{x}} \right) = \frac{\partial L}{\partial x}$

كانت حركة تحرير المرأة التي قادها قاسم أمين مؤامرة إستعمارية تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم حتى قال محمد فريد : إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة وأحدثت إنتشاراً مفرعاً لمبدأ العزوبة وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض ومرب الشابات من دور أهلن .

لقد تراجع قاسم أمين بعد قليل من دعوته إلى تحرير المرأة وجاءت [ددى شعراوى] فاحتضنها دوائر الماسونية والتغريب واليهودية العالمية .

في محاولة لتقويم حركة قاسم أمين لتحرير المرأة بعد أن تسربت وثائق عدة تكشف عن خطة أشبه بالمؤامرة وراء هذه الدعوة ، وتطرقث الأسئلة إلى أم المصريين « صفية زغلول » وإلى زعيمة النهضة النسائية في مصر « هدى شعراوى » التي دعت بعض الأقلام التي تجمل الحقيقة أو تمهدع كتبها إلى إقامة تمثال لها والحقيقة أنه لكي تعرف خلفيات هذه القضية يجب أن نذكر شيئاً مهماً هو أن كتاباً ظهر في مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الاحتلال البريطاني بهام واحد لمحام مصرى موال لسكروم وللنفوذ الأجنبي يدعى « مرقص فهمى » تحت عنوان « المرأة في الشرق ، صور فيها خطة الاستعمار في المطالبة بتحقيق أربعة أغراض :

أولاً : انقضاء على الحجاب الإسلامى .

ثانياً : إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثاً : تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

رابعاً : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامساً : إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

وكان هذا المخطط هو النواة الأساسية للنموذ الاجنبى الذى تدرس على ضوءه حركة قاسم أمين وهدى شعراوى . . ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب " تحرير المرأة " فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض وما يزال يظن سلامتها ونفعها وبعدها عن الهوى وتحررها من أى خلفية موحية .

فها هي هذه الخلفيات لذلك الحدث الخطير ؟

أولا : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام بجريدته الصادرة في ٤ مايو

١٩٢٧ مقالا :

فقال فيه : إن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور ، المصريين ، ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند اتهاماته ، فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية ، فقد رفع الكتاب من شأن الجهاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالدعيات إلى السفور وقد رأيت فيه الأميرة نازلى فاضل تعريضا بها . . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاضل ولها خالون يحضرة سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الثامعين إلى تولى السلطة فى مصر تحت قيادة النفوذ البريطانى وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود بركات متابعا :

وقد أشير على جريدة المقطم - وهى لسان الإنجليز فى مصر فى ذلك الوقت أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء باسم فى هذا الاتجاه ودناءه عن العرب ، راستنكاره اختلاط الجنسين . ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى " الرواق العباسى " بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له يد فى مراجعتها وما أورده لطنى السيد أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول

وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تتم
عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا في مجلة الحديث (الحلبيّة)
عام ١٩٢٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

« لأنه ظهر كتاب للدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعنا مرأ ، ويخص
النساء بأكبر قسطن منه .. إذ رهاهن بالجلل وضعف مكانتهن في المجتمع .. فاهتاج
الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه .
ويستطرد فارس نمر يقول :

وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا نادرة في مصر .. هذه الحقيقة أن كتاب
قاسم أمين الذي رد فيه على « دوق داركور » لم يكن في صف النهضة النسائية التي
كانت تمثلها الأميرة نازلي .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف
الفرنسي ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعدّه دليلاً على كمال المرأة ، ويندد
بالدواعيات إل السفور ، وإشتراك المرأة في الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه
هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحي ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول ..
ورأوا فيه تعريضا جارحا للأميرة نازلي ، وتشاوروا فيما بينهم في الرد ، واتفقوا
أخيراً أن أتولى الكتابه عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ما جاء به خاصا
بالمرأة ، وبدأت في الكتابة سلسلة مقالات عنه .

ولكن ذلك التقدم يرق في نظر قضاة محكمة الاستئناف ، ورأوا فيه مسامحا
بهم .. لأن قاسم أفندي كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبدلون بها لكي أعترف
عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلي فاضل لكي تطلب إلى ذلك وتطوع
الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة .. وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة
كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحي .. وبعد قليل تحدث الشيخ
محمد عبده مع الأميرة في هذا الشأن .. فالتفتت إليّ سورها وقالت لي : أنها لا تجد

بأسا في أن أكف عن الكتابة في الموضوع . . . وكانت هي لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعو إليه . . . فلما رأى ذلك محمد المويلحي قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها . . . فبذبت الدهشة عليها ، وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها . . . وعبثا حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف . . . فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . . . لأنه توسط في هذا الموضوع . . . ومرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحي وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة . . . فقبلت لإعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . . . وكلما مرت الأيام إزدادت في عينه ، وإرتفع مقامها لديه . . . وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلي والذي أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب .

(انتهى كلام فارس نمر) :

ثالثا : أشارت هدى شعراوي في محاضرة لها إلى هذا المعنى ، وكشفت هذا السر الذي ظل حائيا زمنا طويلا ولم يكشف إلا بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة : غير أن الذي يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعد ، وتبين له أنه أخطأ الطريق . . . وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين في حديث له إلى صحيفة « الظاهر » ، التي كان يصدرها المحامي محمد أبو شادي حيث أعلن رجوعه عن رأيه وأعلن أنه كان مخطئا في (توقيات) الدعوة إلى تحرير المرأة . . . هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » ، في أكتوبر ١٩٠٦ .

قال قاسم أمين :

« لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى إقتفاء أثر الترك بل الإفرنج في تحرير نسائهم وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب . ولم

لإشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم . . ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس . . فلقد تتبعته خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة إحترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى وأستنفر الناس إلى معارضتى . . رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تناولوا إلهيها بالسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحاما في طريق مرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعا . . أننى أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل . .

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التى جاءت لإستدراجا ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أساسها الصحيح وهى الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تسكن على طريق الحق . . أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تميزت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وإطفاء نفوذ نازلى فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعة . . وربما كان لبعض التجارب أثرها فى نفسه . . وما يروى أن صديقا عزيزا زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم . . كيف يطلب مقابلة زوجته . . فقال له صديقه : ألسنت تدعو إلى ذلك ؟ ! إذن لمساذا لا تقبل التجربة مع نفسك . . فأطرق قاسم أمين صامتا . . وما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح .

وقال محمد فريد وجدى :

أن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهورا مريحا فى الآداب العامة ، وأحدثت انتشارا منزعجا لمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم خاصة بضمائها هتك الأعراس وهرب الشابات من دور أهلها .

ونعت الدكتورة بنت الشاطيء ما تكشف من حركة تحرير المرأة بما أسمته
مهزلة ألمية موجعة .. تقول بنت الشاطيء :

« إن الرجال ساقونا لنمهل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون
معنا لحسابنا . ذلك أن الرجال ربوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم
ولكنهم كذبوا في هذا المزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السامة والضمير في
دنياهم » .

ثم قالت بنت الشاطيء :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمن التطور ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ
الأكبر الذي شوه نهضتنا .. وأعنى به إنحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي
وترفعها عن التفرغ لما تسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد .. ونحن نرى
البيوت أصبحت مقفرة منهن .. أما الأبناء فتركوا للخدم .. وقد نشأ هذا
الإنحراف الضال نتيجة أن نادى مناديات بحذف نون النسوة في اللغة كأنما
الأنوثة نقص ومذلة وعار .. وأهدر الإعراف بالأمومة كعمل من الأعمال
الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمسة برثة معطلة .. يقصد بالرثة
المعطلة هؤلاء الباقيات في بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن
تجمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج .

إنهى كلام الدكتورة بنت الشاطيء .

أما ما هي ملابس زعامة هدى شعراوى للحركة النسوية .. فالواقع أن هناك
عدة ملابس لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية في مصر لرجلين : أحدهما
والدها محمد باشا ن ساطواو الآخر زوجها على باشا شعراوى .

أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعى في كتابه « محطه
سلطان أمام التاريخ » :

لأنه كان من أعلام النورة العرابية ، واسكنه تسكرا لها في أحلك أوقاتها ، ومشي

في ركاب أعدائها : الخديو والإنجليز ، حتى نال حظوته من الخديوى بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير ، وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا في كتابه : « الاستاذ الامام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذي لعبه محمد سلطان في خدمة مخازنات الإنجليز في سبيل الوصول إلى محسكر العربيين في التل الكبير وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العربية ، ونطاف بيهور سعيد والاسماعيليه لمعاونة الجيش الإنجليزى الزاحف والإيقاع بجيش عرابى معلنا الثقة في الجيش الغازى ومعلننا الأمان على حياتهم . وقد أفهمهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد ، بل يستهدفون تأديب العصاة .

وتابع سلطان نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عرابى ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدو الهنادى المقيم في الصالحية ويدعى سعود الطحاوى والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على إستمالة العربان ولم يكتب محمد سلطان بنشاطه في الجاسوسية وبث الدسائس في منطقته القناة وفي ميدان المعركة ، بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضى على كل محاولة شعبية لحركة عرابى ، ووافق « ولسلى » قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان .

كما كانت الأموال التى أعدها الخديوى لرشوة شيوخ البدو في سلطان عبده (راجع بلنت : التاريخ السرى ومذكرة سلطان إلى الخديوى فى الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) .

وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيمة عرابى ، ودخل سلطان القاهرة مزهوا يتطالع لفجر جديد فى حياته بعد أن سجل خيائته ، وكتب تاريخها بنفسه ، وتلقاه الخديو النيشان المجيدى الأول رفيع الشأن ووضع على صدره بيده ، وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضا للأضرار التى لحقت به ثم عينه رئيسا لمجلس شورى القوانين .

ولكن ضربة القدر لم تمهله ليعتصم بها لإشتري من أطيان ندامته مرض

السرطان واشتد به المرض وتوفى في أوروب سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وسان جورج الذي يتول صاحبه لقب « سير » .

هذه هي خلفية الحياة الاجتماعية لقائدة النهضة النسوية والتي تزوجت وهي في الرابعة عشر من رجل غنى موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو على شعراوى باشا أحد الثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطانى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغلول وعبد وعبد العزيز فهمى) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالى للإستعمار ابرية اتى لعرض مطالب البلاد .

ولم يلبث شعراوى باشا أن توفى وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاء البريطانى والتعامل مع الإنجليز والشاخبين لمفاهيم الحزب الوطنى فى المفاوضات قبل الجلاء .

واقدر وجدت السيدة هدى شعراوى الفرصة سانحة للتبريز خاصة وأن السيدة صفية زغلول ابنة مصطفى فهمى الذى حكم مصر بالحديد والنار خلال أول الإستعمار البريطانى ثلاثة عشر عاما وزوج سعد زغلول والمسماء بأسماء الأضداد « أم المصريين » تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالا جديدا تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة وأنها نزعته نقابها فى ثورة ١٩١٩

واقدر تلقفتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنبئة فى أوروبا وخاصة فى باريس وبرلين وبروكسل والتابعة للحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيرا سميئا فدعتها الى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التى كانت الصهيونية العالمية تدبرها من وراء ، واتى كانت تستهدف بأحداث الضجيج حول حقوق المرأة السياسية فى البرلمان والحكم خلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها الى طريق الإنهيار .

والمعروف أن هدى شعراوى لم تنطلق فى دعوتها من أى منطلق إسلامى ، بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة برزة لها صالون ويتعلق حولها عدد من الرجال المجندين لكثابة الخطب والكلمات التى كانت تلقاها فى الاحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان باشا اتى دذعت ثمنها الثورة العربية ، وكان فى

مقدمة هؤلاء. إبراهيم الهلباوى باشا محامى دنشواى والشيخ محمد الأسمر الشاعر . .
وقد استطاعت أن تجند بعض الشباب ، وأن ترسل بهم فى بعثات تعليمية خاصة
على حسابها إلى أوروبا ومنهم من عمل فى الصحافة من بعد ، وحمل لواء الدعوة إلى
تقديس هدى شعراوى ودعا إلى تلك الأفكار التى تخرض المرأة على التحرر من
القيود الاجتماعية ، والإنطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سألته :

« لو كنت بغير أولاد لقلت لك إنركيه ورزقك على الله ، والمعروف أن
السيدة هدى شعراوى لم تكن تعابى فى دعوتها بالمفهوم الإسلامى للمرأة ، أو تعذر
عن فهم حقيق لرسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك فى هذا الإطار . . وإنما
كانت تضع أمامها المرأة الغربية كمثل أعلى . . وذلك فقد شجعت أسباب الزينة
والأزياء والمودات المستحدثة . وكانت أجنحتها من المثقفات ثقافة فرنسية وذات
الولاء الماركسى والصيوانى ، ولم يكن للمفهوم الإسلامى لديهم أى أهمية .

ويقول الأستاذ حسين يوسف :

لأنه لم يكن عجبا أن يعمل الاتحاد النسائى برعاية هدى شعراوى الأهداف التى
يحرص الاحتلال على الوصول إليها ، وأن يردد فى عام ١٩٧٣ نفس المبادئ
التي نادى بها مرقص فهمى من قبل ، وتورط فيها قاسم أمين . ولما كان دعاة تدمير
مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوى
بإقامة تمثال لها . . والهدف هو دعم هذه الأفكار المستعمرة التى تستهدف تدمير
الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

المرأة المسلمة وموقفها من قضية تحرير المرأة

منذ مطلع اليقظ الإسلامية ، وقد استبان حقيقة موقف قاسم أمين وجماعة صالون نازلي هانم فاضل من المرأة ومر الحجاب ومن مختلف قضايا المجتمع الإسلامي في ضوء تيار الغزو الثقافي والتعريف الكاسح الذي كان يشكل وجوده . ومن أجل ذلك كان سعد زغلول هو الرجل الذي أهده قاسم أمين كتابه (المرأة الجديدة) وكان لسعد موقفه من المرأة في المظاهرات حيث انتزع النقاب من وجه إحدى السيدات علامة على الدخول في عصر السفور :

<p>: الصحافة : لطفي السيد</p> <p>: التعاليم : سعد زغلول</p> <p>: تحرير المرأة : قاسم أمين</p>	<p>وهكذا مضت خطة كرومر إلى غايتها</p>
---	---------------------------------------

وتأخر دور عبد العزيز فهمي قليلا حتى انشأ المجمع اللغوي ندعا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية .

وبهنا الآن أن نعرف موقف المرأ المسلمة من قضية تحرير المرأة .

تقول السيدة صافي ناز كاظم :

« في مولد هذا الشمار البراق (تحرير المرأة) انفسخ المجال أمام الرواد العظام من تجار الثقافة القادمين من أوروبا ومن أمريكا أخيرا ليصولوا ويجولوا محلين بأشكال وأنواع بضاعة الثقافة الغربية بموروثاتها الحاخاشية اليونانية الإغريقية ، ومعها نماذج المرأة الأوربية والأمريكية التي كانت قد نالت حريتها حديثا متشكلة من رصيد فكري واجتماعي وديني خاص بها .

كانوا يعرفون الكلمة التي تقال تنهر وتجتذب والبضاعة التي تدمر لتسكت

وتندهش الآن (من صباهه وصليبين وماسون) دعوتهم إلى هجر التأصيل من الذات لحساب التبعية الفكرية لغرب يمتتنا ، ديننا وجنسا وتاريخنا ، ويمارس علينا تفوقا وغطرسة وإحتقاراً وهو يقذف الانشوطه وراء الانشوطه لتلتف حول أعناقنا جاذبه جباهنا عند أقدامه .

جباهنا نحن : المسلمين أصحاب العزة من الله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) كان مطالبهم أن ننظر يا كبار لإنجازات أوربا بسبب ما وصلت إليه من قوة البخار والكهرباء ، ونضجها أمامنا قدوة ومثلاً أعلى نسعى للوصول إليه ونتشكل بشكله ومن ثم يصير كل شيء ينتسب إلينا أو ننسب إليه يتعلق بنا إذ يتعلق به من أصولنا يصير سلفياً جامداً مرفوضاً .

كان المطلوب أن تعتقد معهم بأن أوربا والغرب قلعة للحرية والديمقراطية والقرن وإحترام الإنسان بينما يدوس النعل الأوربي الغربي وجه الوطن الإسلامي إغتصاباً وإرغاماً وسحقاً تاماً للإنسان وحرية وكرامته وإستقلاله .

هؤلاء يكتب عنهم لويس عوض فيهم اليوم يؤيد أبائهم أبناء الثقافة الغربية والوثنية الفرعونية (القومية المصرية) ويضع موضع الاستحسان والإفتخار ، مما يثبت لنا أن عملية الحسائية سليمة حيث نضعهم نحن موضع الاستياء والإدانة .

جعلوا القضية : قضية تحرير المرأة مع إسقاط التعيين (المسلمة) ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة في العالم ، كأنما صارت هناك قومية خاصة لإسمها القومية النسائية تربط المرأة المسلمة بالمرأة المسيحية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقر والأوثان بالمشركة بالمحدة ، كأن قضيتهم واحدة ومطابهن واحدة وأهدافهن واحدة ومعتقداتهن واحدة وكان السعي فعلاً حيثاً لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها وتفریطها حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التي ظلت معتزة بزنها الخاص (السارى) وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينها .

كذلك كان الدأب الأعم لفصل قضية تحرير المرأة المسئلة عن قضية تحرير الوطن المسلم وفصل قضية الظلم الواقع عليها من الرجل المسلم ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن جعلت المرأة المسئلة تقف خصماً أمام لوطن المسلم ، ضد شريعتها تمتلئ رعباً وعلماً .

كما قيل لها هناك من يطالب بتطبيق حكم شريعتك وتتفرح أسارىها فرحة بانتصار إنهمامى كلما خرجت النظم العلمانية بقانون خائب للأحوال الشخصية . سلبهم من قوانين العرب المستعمر لبلادها ، المهين على مقدرات أهلها ، المستنزل لناموسها ، المقيد لحرىاتها .

وكان قاسم أمين من أسهموا بجدارة في إلتواء النهضة المصرية عن إنبيهاثها العربى الإسلامى لتتكون نهضة ثقافيه إجتماعيه صورية مستهلكة لاتباع مصانع الفكر الغربى ونافذة عرض دعائى له تدعو بحماس وتدفق معه الدموع أحياناً لتقليد رجاله ونسائه ونظام معيشتة .

إن دعوة قاسم أمين خدمت أهداف الماسونيه الداعيه إلى إضعاف سيطرة الاسلام الايدولوجيه بإعتباره دنيا ودولة ، إن دعوة قاسم أمين فى حقيقتها هى دعوة لمحاكاة أوربا .

إن قضية السفور حاله طارئه بدأت على إستحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً ولم يكن السفور مسيطراً إلا على شريحة صغيرة من تعداد المرأة المصرية (المسئلة والقطبيه على السواء) فإن المرأة الريفية والصعيدية لم تتحل أبداً عن الحجاب .

كانت المحجبة هى الحرة والسافرة هى الامة (العبدية) ومن هنا فإن هناك علاقة بين الماسونيه والصهيونية فى الاستراتيجيه مع إختلاف التكتيك للقضاء على الاسلام بمقتضاها هذا نعطى السفور بعداً سياسياً .

إن الاستعمار يستهدف الاسلام ويضرب أى صحوة إسلاميه فقد تركّز على اللغة العربيه — لغة القرآن — وعلى المرأة المسئلة وأضرب إليهما أن تمسك المرأة

الجزائرية بحطبها كان سلاحا ضد فرنسة المرأة وصناع سمعتها العربية والإسلامية .

وتكشف السيدة صافي ناز كاظم معوم قاسم أمين في كتابه المرأة الجديدة حيث يهاجم المدنية الإسلامية ويدعو إلى التغريب :

يقول : نحن : لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس غلطوها في ذلك أكبر من خطأها في كثير من الأمور الأخرى .

ثم يقول : الذي أراه أن تمسكنا بالماضي إلى هذا الحد هو من الأهواء التي يجب أن نهض جميعا لمحاربتها لأنه ميل إلى التدني والتقهقر ، وهذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه وليس له من دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يعرفوا شؤون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وأنارها .

فإذا أتى هذا الخين ولزجوا أن لن يكون بعيدا — إن تجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة .

ولا يمكن أن يوصف هذا الكلام إلا أنه (ردة) من مستشار وصف بالعقل والحكمة ولكنه إنزلق مع المنزلقين إلى مطامع المناصب الكبرى والخطوة في صالون نازلي فاضل .

والمعروف أنه بعد أن دافع قاسم أمين عن حجاب المرأة المسلمة في كتابه (المصريون) حدثت مؤثرات من الأميرة نازلي على قاسم أمين مما أدى حدوث متغيرات في فكر قاسم عرفت في كتابه تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة .

وكان كتاب تحرير المرأة نوعا من الاعتذار للأميرة التي أغضبها كتابه الأول ، وقيل أن الشيخ محمد عبده ومحمد الموبلي وسعد زغلول إتفقوا على أن يقدم قاسم الاعتذار للأميرة نازلي (عندما هاجم المرأة غير المتحجبة في كتابه

المصريون) ودفع قاسم أمين الثمن غاليا يتجنى على الحقائق ويحاول أن يلوي عنقها حتى خرج كتابه (تحرير المرأة) .

وجاء في كتابه (المرأة الجديدة) فخرج عن أفكاره الأصلية التي كانت تعلى من شأن المدنية الإسلامية .

ولما توجه إلى حجاب المرأة المسلمة وأخذ يحاول أن يدلل على أن حجاب المرأة ليس من الإسلام وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن مبادئ الإسلام .

ومما عليه الإستشراق إياه : القول بأن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب ، على الطريقة اليهودية ، وإنما هي (عادة) عرضت للمسلمين من مخالطة الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وألبسوها لباس الدين ونسبى قول الله تبارك وتعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وليضربن بخمرهن على جيوبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .

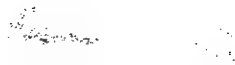
حاشية : وفي رسالة السيدة صفاء ناز كاظم (في مسألة السفور والحجاب) .

تجمعات تماما موقف حالون نازلي فاضل (سعد زغلول ، محمد عبده . إلخ) وموقف الأميرة من كتاب المصريين وموقف جريدة المقطم كما أنها لم تذكر نصوص قاسم أمين في تكريم المرأة المسلمة أولا (يراجع أحمد خاكي في كتابه قاسم أمين) كما لم تذكر تراجع قاسم أمين عن دعوته قبل وفاته .

الفصل السابع

ساطع الحمري

و غروب نعم ، إسلام لا : أنا (لا ييك) ،



CH₃CH₂CH₂CH₃



سقطت نظرية ساطع الحصرى فيلسوف القومية العربية ، لأنها قامت على
على أساس التفسير الغربي للتاريخ ، ففصلت العروبة عن الإسلام وهو أول من
جعل العنصرية والعرق والدم بديلاً لمفهوم الإسلام الذي يقوم على الأخاء الإنساني ،
وهو أول مسئول عن التعليم العالي التركي في الوزارة التي شكلها الاتحاديون بعد
سقوط الخلافة مباشرة وأول من صرح بأن قومية إسرائيل تقوم على الدين وأن
الإسلام دين تعبد وينكر أنه نظام حياة ومجتمع ، والحقيقة أنه ما ذنب العروبة
والإسلام إذا كان ساطع الحصرى غربي الفكر والذوق أجمعى النطق يتجاهل أن
لغتنا لغة فكر وعقيدة وأن ديننا يجمع بين المادة والروح وبين العقل والقلب
وبين الدنيا والآخرة .

حدثني الدكتور مختار الوكيل مدير مكتب الجامعة العربية في جنيف ، وهو
رجل صادق مؤتمن ، أنه في خلال عمله زار الأستاذ ساطع الحصرى سويسرا
ورأى السيد عبد الفتاح حسن السفير المصري دعوته إلى طعام للغداء فلما قدم مع
الدكتور الوكيل حياه السفير المصري فقال :

مرحبا بالمناضل الكبير في خدمة العروبة والإسلام ، وقد عجب الرجلان من
ساطع الحصرى الذي رد في عنف وحدة .

«عرب نعم .. إسلام لا .. أنا لا ييك» .

وكلمة «لا ييك» ، تعني أن صاحبها علماني أو لا ديني .

ما تزال ندوة الاعتصام تركز على تاريخ الإسلام والعرب المعاصر وعلى
الاعلام البارزين : سعد زغلول ، لطفى السيد ، ساطع الحصرى الخ وقد أحرز
ساطع الحصرى شهرة وافرة في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية باعتباره
فيلسوف القومية العربية ، حيث روج لنظرية خطيرة كانت بعيدة الأثر في حجب
العروبة الأصيلة المرتبطة بالإسلام فكراً وعقيدة ، وبالعالم الإسلامى تساملاً
وأخاء .. لقد كان دغاة حركة اليقظة في البلاد العربية يرون أن الجامعة الإسلامية

قائمة بين العرب والمسلمين (فرساً وتركاً) بعد زوال الدولة العثمانية . ولكن ساطع الحصرى كان من أوئل الدعاة إلى فصل العرب عن المسلمين بمفهوم القومية الغربية الوافد الذى طرحه في أفق الفكر السياسى العربى . وهذا يرجع إلى أن ساطع الحصرى كان ثمرة من أنضج ثمار المدرسة الاتحادية التركية ، وأكبر الدعاة الذين نقلوا مفهوم القومية الطورانية التركية إلى أفق العروبة التى كانت ترتبط بمفهوم الإسلام فى العلامة بين الشعوب التى جمعها التوحيد و القرآن ونبوة محمد صلوات الله وسلاماته عليه والفكر الإسلامى الأصيل .

لقد كان ساطع الحصرى مديراً للتعليم فى الدولة الاتحادية التى حكمت تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد بمفهوم العلمانية والطورانية .

وقد تعلم فى مدرسة الاتحاديين ، وآمن بفلسفتهم ، ونقل فكرهم ومضاميتهم إلى العرب ، وذلك فى سبيل تمزيق الوحدة الإسلامية الجامعة عرباً وتركاً وفرساً ، وخلق أسلوب اقمريات والأقليميات التى تقوم على الصراع والاستعلاء بالجنس والعنصر .

وهو أول من حمل لواء العنصرية والعرق والدم بديلاً لمفهوم الإسلام الذى يقوم على الأخاء الإنسانى . وقد كان فلاسفة الفكر القومى التركى من الاتحاديين تلاميذ الفلسفة الوضعية متشبعين بالنزعة الطورانية العدوانية . وقد استمد ساطع الحصرى مفهومه للعروبة من مفهوم القومية الغربية ، والنظرية التى طبقها الاتحاديون فى تركيا . فقد ركز على اللغة والتاريخ وعزلهما عن الفكر الإسلامى الجامع ككل كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن وحدة الفكر الإسلامى .

ونظرية ساطع الحصرى التى روجت لها بعض الأحزاب السياسية الغربية قد أثبتت خلال أكثر من ثلاثين عاماً فشلها الذريع ، وعجزها عن العطاء ، لأنها فرغت مفهوم العروبة من قيمة وتاريخه وعناصره الأخلاقية الروحية وجعلته مفهوماً مادياً خالصاً .

وتند اعتراف ساطع الحصرى بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين ورفض

إعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً (بمفهوم اللاهوت) . ذلك أن مفهوم ساطع الحصري للإسلام ناقص ، فهو يراه ديناً لا هوتياً وليس ديناً ومنهج حياة ونظام مجتمع على النحو الذي يؤمن به دعاة العروبية الإسلامية .

لقد فهم الإسلام على أنه « دين عبادى » ، كما فهم الأوربيون المسيحية ، ولم يفرق بين الدين بهامة والإسلام ، ولم يفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التى يختلف فيها عن مفهوم القومية فى أوربا .

ولقد كان مفهومه للعروبة ناقصاً . فلم يصل إلى مفهوم العروبة المترابط مع الإسلام ، وهذا الترابط الجذرى الذى لا سبيل للانفكاك عنه .

ويذكر كثير الباحثين أن ساطع الحصري لم يعايش المناخ العربى قبل أن يضع مجموعة آرائه ، وأنه استهدى بمناخ البلقان والنظرية الألمانية فى حركته القومية التى رفع فيها شعار اللغة فى مواجهة الدولة العثمانية للتحرر منها ، وأنه كان حاقداً على الترك فقد المحافل الماسونية التى احتضنت الاتحاديين ووجهتهم وجهتها ، ودفعهم إلى الدعوة إلى الذئب الأغبر كرمز لها بديلاً للقرآن .

وقد كان أكبر أساتذته فى مفهوم القوميات « ماكس مولر » ، « ونوردو » ، وهما فيلسوفان يهوديان قصداً من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القومية اليهودية .

وقد أعتبر ساطع الحصري اللغة أساس القومية ، وعارض نظرية الأرض التى دعا إليها أنطون سمعادة دون أن ينتبه إلى أن الفكر لا اللغة هو مصدر الوحدة .

وقد أجرى ساطع الحصري الجدل حول عديد من النظريات الأوربية فى القومية دون أن يواجه جوهر المفهوم العربى الإسلامى المصدر والجذور ؛ هذه الجذور التى تجعل من العسير فصل اللغة عن الفكر وإعتبارها مقوماً منفصلاً ، أو الاعتماد على نظرية بقاء اللغة أو ضياع اللغة مع أن الأساس هو بقاء العقيدة والفكر الذى يحمى وجود الأمة الحقيقية .

والواقع أن ساطع الحصري كان غريب الفكر أساساً بل وغريب اللوق

أعجمى النطق ، وأن تركيبه الثقافي والاجتماعي يحول بينه وبين تبني نظرية عربية إسلامية أصيلة مستمدة من واقع الأمة الإسلامية وكيانها ، وذاتيتها التي لا تنفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه . وفي ذلك مغالطة أو جهل . ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمه فحسب ولكنها في نفس الوقت لغة فكر وعقيدة ، فإذا كان العرب وهم مائه مليون يتحدثون بها فإنها لغة العقيدة والفكر لآلاف مايون من المسلمين يرتبطون بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وذلك التراث الضخم من الفقه والعلم والتاريخ . وأن اللغة لا تنفصل عن الفكر وأن تاريخ العرب لا يتفصل عن تاريخ الإسلام .

ومرجع ذلك إلى أن ساطع الحصرى نشأ — كما ذكرنا — في بيئة الاتحاديين الأتراك الذين كانوا صناع للفكر الغربي ، والذين نشأوا في أحضان المنظمات الماسونية ، وحملوا لواء الإيمان بالفصل من الدين والمجتمع ، وفهموا الإسلام فهما غريباً على أنه دين لا هو قى .

وعلى هذا الفهم الخاطيء القاصر قامت نظريه ساطع الحصرى التي لمعت سنوات تحت تأثير الخداع والاهواء حتى أن بعض دعاة الماسونية في العالم العربي راح يفسر عن طريقها تاريخ الإسلام كله فيرى أنه تاريخ قومي عنصري عربي . ومن ثم وجهت عبارات الحقد والخصومة إلى الأمة الاسلاميه وهذا هو الشره الحقيقه التي تهدف إليها حركة الغزو الثقافي التغريبي من طرح هذه النظرية القومية ، الاقليمية الضيقه العدوانية الوافده . بديلا عن المفهوم الاصيل العروبه في إطار الإسلام كما كان يفهمه شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وحسن البنا ومصطفى السباعي ومحمد المبارك .

هذه النظرية المضطربة التي خدع بها ساطع الحصرى الكثيرين ، التي سايرها كثير من المثقفين قبل أن يعرفوا سمومها العميقه . فلما عرفوها هاجموها وكشفوا زيفها .

والنظرية مضطربة من أساسها . ولو كان ساطع الحصرى حسن النية لصحح

موقفه من فهم الدين فهماً غربياً لا فكياً وفهم الإسلام بمعناه الجامع بين العقيدة ونظام المجتمع . لقد اعتمد أساس نظرية مفهوم الدين اللاهوتي بمفهوم أوربا والغرب للدين ، ولذلك عجزت النظرية عن أن تنجح في إطار الفكر الإسلامى ، بل إن كل العناصر التى عالجها كانت عناصر البيئة الغربية في مواجهة الصدى بين الجامعة المسيحية الأوروبية وبين القوميات الأفريقية والتى كانت وراها اليهودية الصهيونية لتمزيق هذه الوحدة والسيطرة على كل قطر على حدة . وهو نفس ما أراده بالنسبة للجامعة الإسلامية التركية التى وقفت أمام دخول الصهيونيين إلى فلسطين وموقفهم من السلطان عبد الحميد واضح معروف .

إن كل التحديات التى تعالجها نظرية القومية الوافدة لا توجد أساساً في المناخ الإسلامى هذا فضلاً عن اختلاف مفهوم (العروبة) عن مفهوم القومية في الغرب فضلاً عن اختلاف مفهوم الإسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ومصدر خطأ ساطع الحصرى أنه عجز عن فهم أبعاد الفكر الإسلامى وأعماقه ، وعلاقة العرب بالإسلام ، وعاش في مؤلفاته خادماً لنظرية القومية الأوروبية الوافدة التى قدمها النفوذ الأجنبى من بين ما قدم ليحطم الوحدة العربية الإسلامية الجامعة بعد أن عجز عن فرض الأقليات القائمة على التاريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية .

وذلك أنه لما رأى هذه المحاولات تنهوى ورأى أن العرب يتجهون إلى الوحدة أراد أن يفرغ هذه الوحدة من مضمونها العقائدى الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة إلى مفهوم اقتصادى مادى صرف ، وبذلك فشلت نظرية القومية الوافدة كما فشلت مناهج التعليم الغربى ، والقانون الوضعى وأسلوب التنظيمات السياسية الليبرالية وغيرها .

ولقد وقف ساطع الحصرى في وضوح موقف الخصومة والحقد والتعصب على الإسلام كلما عرض له ، وقد تجاهله طويلاً في أبحاثه كأن العرب لم يعرفوه خلال تاريخهم الطويل . وكانت محاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامى

من ناحية . وبين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام محاولة ساذجة . ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين أعترف بالقومية اليهودية القائمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين في فهم القرية العربية وإن كانت كلمة (دين) لا تؤدي معنى الإسلام حين يكون البحث حول العروبة .

وقد ثبت أن ساطع الحصري قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التي كان النفوذ الغربي حريصاً على تلقيها للعالم العربي . وهي ليست إلا صورة من مفهوم الأقلية اللبنانية والمعروف أن ساطع الحصري كان من أعمدة وزارة المعارف في تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين في تركيا العثمانية إلى أن انتهت الحرب الأولى . ولأنه كان من أخطر الموجهين للبرامج التربوية والتعليمية في العراق . حيث عمد إلى فصلها عن الإسلام فصلاً تاماً ، وكان دوره أشبه بدور الدكتور طه حسين في التعليم المصري .

لقد حاول ساطع الحصري أن يقيم (فكرياً عروبياً إقليمياً) منفصلاً عن الإسلام في روحه ومضامينه وشريعته . ولقد تجاهل أعماق الأثر تركه الإسلام في الفكر والثقافة ، واللغة والتاريخ وتجاهل أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وفي العرب ، ومدى ترابط ذلك إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة بالامة الوسطى الخنيفية السمحاء التي جاء بها إبراهيم عليه السلام فربطت هذا العالم الوسط (عالم العرب والإسلام) بروابط تاريخية وثقافية عميقة دعمتها الأديان السماوية التي نزلت في أرض الرافدين ، وختمتها رسالة الإسلام العالمية التي نزلت في الجزيرة العربية .

عجز الحصرى عن فهم الفارق بين الكتلة الإسلامية

والقومية الغربية وبين العروبة والإسلام

أشار وليام ل . كليفلاند فى كتابه [ساطع الحصرى من الفكرة العثمانية إلى العروبة] إلى التربية الحصرى (غير الإسلامية) من أثر فى توجيه القومى فيما بعد مؤيداً فى ذلك فلسفة الحصرى التى نسبت إلى التربية خطراً عظيماً فى تكوين الآراء والأهواء والاتجاهات فالحصرى تعلم فى المدرسة الملكية فى إستانبول ولم يستظهر القرآن مثلاً كان يفعل معظم تلاميذ السلطة العثمانية فى عصره .

ويركز كليفلاند على هذا الفعل فى حياة الحصرى ويرى أنه هو السبب فى أن ظهر فى كتاباته بصورة المعادى للإسلام لا سبب واضح إلا أن النمط القومى الأوروبى معاد للكتلة سبب تاريخى أوروبى خاص .

فالدين فى أوروبا أخفق فعلاً فى منع إتحاد أوائك الذين قددر لهم الارتباط بأسباب تتعدى الدين ، كما يقول كليفلاند : لكن الإسلام استطاع أن يوحد شعوباً لم تكن العوامل الأخرى قادرة على توحيدها .

لقد أشار كليفلاند إلى تأثير الحصرى بموقفه المتناقض الحاد بين القومية والكتلة فى أوروبا وهو ما ليس له مثيل فى المجتمعات الإسلامية بل أن كليفلاند يرى أن موقف الإسلام من القوميات يختلف عن موقف المسيحية فى الغرب .

ويرى أن الإسلام كان قادراً على التوحيد الحضارى الذى يقرى على الزمن ، حيث يزعم الباحثون إلى إتخاذ عروبة القرآن نموذجاً على عوامل التوحيد الحضارى وإن كان الإسلام أحدث نتاجات حضارية أخرى فأنشأ تراثاً غنياً يستوعب أن

يوحد مجتمعات لم تكن جميعها مسالمة بالضرورة فالفتوحات الاسلامية دفعت المسلمين إلى دراسة الجغرافيا والعلوم العسكرية وتدوين الوقائع والتاريخ وتنظيم الادارة وتطوير النظم الضريبية والرياضيات والموسيقى والعمارة ، وهذه جميعها شكلت حضارة اسلامية ذات سمه خاصة وهى سميت الانسان المنتعش إليها أيا كان دينه أو مذهبه .

أما الانتاج الحضارى فى أوروبا فى عصر ظهور القوميات فسلك مسالك مختلفة أهم ما فيها اللغات العامية هى التى عبرت عن هذا الانتاج الحضارى فكأنه لا بد من أن تثور القوميات الناشئة على السلطة الاسمية التى كانت تمثلها الكنيسة ، فى مؤسساتها وسلطانها ، أما الاسلام فلم يكن له يوما تلك المؤسسة الدينية المركزية الكهنوتية ولا احتكرت فيه التشريع جهة من الجهات وكانت له فى المقابل لغة واحدة لجميع المسلمين اه .

هذه هى الفوارق العميقة بين الاسلام والعروبة وبين المسيحية والغرب والقوميات التى عجز ساطع الحضارى عن فهمها حين حاول أن يطبق النموذج الغربى فى العلاقة بين المسيحية والقوميات على الاسلام والعروبة .

ومن هنا كان فشله وسقوط نظريته وعجزها عن الاستجابة الحقيقية ، على هذا النحو الذى كشف عنه وايام كليفلاند فى كتابه عن ساطع الحضارى .

ويقول كليفلاند : أن الاسلام لم ينقض العروبة بل أغناها وأهدمها بكابحات حضارية جعلتها صفه وسمة خاصة بين الأمم وأمكنها من أن تراث مهمه وقارة الغرب التى حملها الفرس على عاتقهم عشرة قرون منذ ما قبل الاسكندر ، وأصبحت هذه الحضارة الاسلامية عند العرب من سمات قوميتهم وملاحمهم المميّزة أيا كانت عقيدتهم الدينية .

وغاية ما يقول كليفلاند : أن التناقض الحاد بين القومية والكنيسة فى أوروبا

لا نجد له مثيلاً في المجتمعات الإسلامية ، وهذا هو سر موقف الحصري الجاف من الإسلام غير أن البعض يرى : أن ساطع الحصري إنتقل من مفهوم الاتحاديين حول القومية الطورانية إلى العروبة أو نقل مفهوم الاتحاديين إلى العروبة أو حاول تقديم المفهوم العلماني الذي تجمع حول فكر الطورانية الذي قدمه أعداء الإسلام وأصحاب الولاء الغربي ، حيث حاول تقديم هذا الفكر في قضية الإسلام والعروبة ومن هنا كانت تجاوزاته ومحاذيره .

الفصل الثامن

سلامة موسى

1849

1849

1849

1849

(١)

محاولة إعادة سلامة إلى الحياة محاولة خاسرة وقد بآت بالفشل الذريع .
سلامة موسى الرجل الذى لم يعرف فى تاريخه الطويل موقف يدعو فيه لتحرير
مصر من الاستعمار البريطانى وقد سقطت جميع آرائه وكشفت حركة اليقظة عن
زيفها وفسادها .

لقد كانت كل كتابات سلامه موسى وأفكاره فى حقيقةها جماع خيوط المخطط
الماسونى التلمودى بباطله وهدمته وأخطاره واقد عرف أن سلامه موسى كان
يلفظ الإسلام والمسيحية معاً وهو الذى أضاف إلى قائمة الرسل والأنبياء: فرويد
وماركس ودارون ولينين .

كان السؤال الهام فى الندوة عن الظاهرة الخطيرة التى حاولت بها بعض الجهات
طرح كتب سلامه موسى فى السوق مرة أخرى بأعداد كبيرة ، ونشرت عديداً
من كتبه ماعدا كتابه (اليوم والغد) الذى قال بعض أصحاب الولاء أنهم لن يعيدوا
طبعه والسّر أن هذا الكتاب يكشف حقيقة سلامه موسى ، ودعوته المسمومة ،
والشعوبية والماركسية جميعاً .

والحق إن كتابات سلامه قد تجاوزها الزمن ، ولم تعد تمثل أى عطاء ثقافى
بعد أن سقطت كل هذه الدعاوى التى روجها الاستشراق والتغريب فى الثلاثينات
والأربعينات . . شأنه فى هذا شأن طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق
ومن تبعهم أمثال حسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض وغيرهم .

والواقع أن النفوذ التغريبى لا يمد ولا يتوقف عن ضاياته وإن بدا أنه يغير
جلده بين حين وآخر ليخدع أجيالاً جديدة بتلك السموم التى قدمها على أيدي
عماله ثم تكشف زيفها .

دعا سلامه موسى إلى استعمال العامية وهدم العربية ، وجدد الدعوة

لويس عوض في مصر ويوسف الخال وانيس فريخه في الشام وكانت النتيجة هي الفشل المحقق .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ووجدد الدعوه بعده كثيرون ولم يصلوا إلى شيء .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ، ووجدد الدعوه إلى إبطال حكم من أحكام الدين وذلك بشأن ميراث المرأة ، وقد لقنه الباحثون درساً قاسياً مريراً .

دعا سلامة موسى إلى الماركسية وقد كشفت الأيام زيف دعوته وفساد وجهته . والحقيقة أن سلامة موسى لم يكن إلا رجلاً يحمل التراب فيذروه في وجه الناس حقداً وكراهية لهذه الأمة أن يتحقق لها أملاك إرادتها وخدمة لكل التيارات الخافدة عليها والكارهة لها . واقد كان السكاتب في هذه الفترة يعترف بأنه ماركسي أو غربي أو داعياً لفرنسا أو إنجلترا ولكن سلامة موسى كان يعمل لكل هذه الجهات عن طريق الماسونية والمخطط الصهيوني الذي كان يحتضن كل فكر هدام . فكان ينثر من كتاباته مقتطفات عن (دارون) ومذهبه ، وعن (فرويد) ومذهبه ، وعن إقليمية مشوبة بالفرعونية ، وعن العامية مشوبة باللاتينية ويحتضن كل كتاب هذه السموم من (ولسكوكس) إلى (ماركس) ويدعى ويناقض دعوته بمدح الخديو إسماعيل ، وموالاة الاستعمار البريطاني ولاريب فقد تخرج سلامة موسى من مدرستين :

من مدرسه تربيته أبناء العرب الذين يقعون في فخاخ القوى العظمى فقد ذهب سلامة إلى بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت الباكر وجند لهذه الغايه أما الأخرى فقد كان تابعاً للمدرسة شلي شميل ، جورجى زيدان ، وفرح أنطون ، وميقوب صروف . هذه المدرسة التي كونها التبشير في بيروت ، ثم قذف بها إلى مصر والبلاد العربيه فتولت مقالات الصحف والثقافه وحملت حقدها الوافر على الإسلام والخلافه الإسلاميه ، واللغه العربيه ، واريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ .

إن هناك وقائع خطيرة كاشفة لحقيقه سلامة موسى بعد أن فضحه أصحاب

دار الهلال الذى كان يعمل عندهم ، ويتصل من ورائهم ببعض الجهات ليشي بهم (أبريل ١٩٣١ — مجلة الدنيا الجديدة) وقد نشرت بالزناكخراف خطاباته التى يقول فيها المسؤول :

« فأننا أكتب لسعادتكم وإدارة الهلال تهىء عددا خاصا من المصور لسعد زغلول تستكتب فيه عباس العقاد وغيره من كتاب الوفد ومثل هذا العمل يتفق مع التجارة ولكنه لا يتفق مع الدعوة للحكومة الحاضرة ومشروع المعاهدة . لأن الاكبار من ذكرى سعد . وتخصيص عدد له هو فى الحقيقة إكبار من شأن الوفد ودعوة إليه — إنى مستعد للدعوة للمعاهدة فهل لى أن أنتظر معاوتكم » .

كتب هذا أبان وزارة اليد الحديدية التى شكلها محمد محمود ، وتاريخ الخطاب ٢٢ أغسطس ١٩٢٩ وهو لا يزال فى دار الهلال ما يزال يتقاضى مرتبه منها ، ويدخلها كل يوم يتسم فى وجه أصحابها ، ويظهر لهم الود والاخلاص وفى الوقت نفسه يدس لهم ، ويتجسس عليهم ، ويرسل التقارير إلى وزارة الداخلية .

ثم عاد يتصيح بالوفد (أبريل ١٩٣١) فكشفت دار الهلال هذه الوثيقة وقالت : « أنت تنصح اليوم بأعتاب الوفد ، وتتعلق بزعماء الوفد . إن لدى دار الهلال البرهان القاطع على تلونك وغدرك » .

ولم تقف الأمر عند هذا الحد . . فقد أرسل خطابا (نشرت صحف دار الهلال) صورته الزناكخرافية موجهها إلى الأستاذ حسين شفيق المصرى فى ٣ نوفمبر ١٩٣٠ هذا نصه :

عزيزى حسين :

بعد التحية : تعرف الخصومة بينى وبين السوريين (أى أصحاب دارالهلال) فأرجوك أن ترسل لى خطابا على لسان سمورى وقح يشتمنى فيه بإمضاء إسكندر مكاهوس أو غيره من الهكسوس . وأنا فى إنتظار الخطاب .

أخوك سلامه موسى

وقد علق الأستاذ حسين شفيق المصرى على هذا يقول :
كان يريدنى أن أزور خطابا ، وأن أقترى على أمة ، وأن أنزل إلى الدرك
الأسفل من النزلة بالكيد لقوم ليس بينى وبينهم غير الصداقة والمودة .

هذا اللعب من لعب الصبيان فعجيب أن يكون منه وهو يتادى بأنه فيلسوف
من علماء النفس ، أغمر له كل شيء إلا أن يظن بى ماظن من الجبل والحق . وهو
يدعونى إلى كتابة ذلك الكتاب الذى أشتمه فيه بتوقيع رجل برىء لا ذنب له
إلا أن فى الدنيا رجالا لا يحاسبون ضمائرهم ، ولا يرون أبعد مما بين أنوفهم
وجباههم .

بل ويذهب سلاسه موسى إلى أبعد من ذلك فيقول :
« وما يدل على أن حركتنا الوطنية بأيدي ناس غير قادرين على الاضطلاع بها
أن الحركة التى قامت فى العام الماضى وكانت غايتها إصطناع القبة قاومها رعاؤها
وقتلوها فى مهدها . فأثبتوا بذلك أنهم لا يزالون آسيويين فى أفكارهم ، لا يرغبون
فى حضارة أوروبا إلا مكرهين . وقد أدرك مصطفى كمال الذى لم تنجب بعد نهضتنا
رجلا مثله ولا ريفه ولا يعرف مقدار ما للقبة من القيمة والإعلان بالإسلاخ
عن آسيا ، والانضمام إلى أوروبا ، ولم يمنع إستعمال السيف فى هنا . »

ويقول :
هذا هو مذهبي الذى أعمل له طول حياتى سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق ،
مؤمن بالغرب وفى كل ما أكتب أحاول أن أغرس فى ذهن القارئ تلك النزاعات
التي إتسمت بها أوروبا فى العصر الحديث ، وأن أجعل قرائى يولون وجوههم
نحو الغرب ، ويتنصلون من الشرق . . . ليس هناك حد يجب أن نقف عنده فى
إقتباسنا من الحضارة الأوروبية .

ويقول :
وليس علينا للعرب أى ولاء ، وإدمان الدرس لثقافتهم مضیعة للشباب ،

وبعثره لقواهم . وكيف يمكننا أن نعلم على جامعة دينية بينما في العالم نظرية تقول:
أن الإنسان لم يكن راقيا فاحط كما تقول الأديان . بل هو كان مخطئا فارتقى
تحتيها نظرية التطور بل كيف يمكن للإنسان مستنيرا قرا تاريخ السحر والعقائد
أن يطلب منه أن يخدم جامعة دينية . إن الجامعة الدينية في القرن العشرين وقاحة
شنيعة .

ويقول :

ولا عبرة بما يقال من أن الاسلام أمر بالشورى فإن خطب جميع الخلفاء
ثبتت أنهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم نظرا بأوروبا بل البابا نفسه إذا قيس إليهم في
بعض الأشياء يعد دستوريا .

ويقول :

وإن أكبر تجربة إجتماعية رآها العالم هي الشيوعية الروسية الحديثة وظهور
الشيوعية هو بمثابة حاجز بين الماضي والمستقبل فهي تفصل الاثنين فصلا واضحا
وهي على ما فيها من نقائص اليوم وعلى ما ينال الناس البعيدين عنها من الرعب فإنها
ستكون بذرة لجملة أنظمة إجتماعية في المستقبل .

وهكذا نحوى كتابات سلامة موسى كل التعموم التي علموه أن يثيرها في أفق
العرب والمسلمين يوما بعد يوم ، علموه أن الاشتراكية هي الهدام الأكبر للمسلمين
وازدراء كل ما هو هربي ، والدعاية الشيوعية ، وكذلك الدعاية للإباحية .

يقول سلامة موسى :

« ليس من مصلحة الإنسان أن يعيش في قفص من الواجبات الأخلاقية و
يقال له هذا حسن فافعله وهذا سيء فاجتنبه »

وعلموه الدعاية إلى التذمة الغربية والإجتماعية

يقول سلامة رضى ايضا :
« أجل يجب أن ترتبط بأوروبا ، وأن يكون رباطنا بها قويا نتزوج من أبنائها
ونبناها ، ونأخذ عنها كل ما يجد فيها من اكتشافات واختراعات وننظر للحياة
نظرها ، وتتطور معها تطورها الصناعى ، ثم تطورها الاشتراكى والاجتماعى ،
ويحمل أدينا يجرى وفق أديها بعيدا عن منهج العرب ، وتجعل فلسفتنا رفق
فلسفتها » .

هذا هو سلامة موسى الذى يريدون أن يحويه مرة أخرى ويجددوا فكره ،
هذا الفكر الذى تجاوزته المسلمون والعرب اليوم وإن كانوا قد خدعوا به هناك
يوم كان دعاة التغريب تعوى كتاباتهم بالسوم !!

إن ما قدمه سلامة موسى عن الماركسية والفرويدية والداروينية هى كلمات
بجدة قد جاوزها البحث العلمى الآن ، وكشف زيفها فقد ظهر الآن فساد مادعا
إليه دارون وتبين أن وراء إذاعة دعواتها ونشرها كانت التلمودية التى تريد أن
تقول أن الإنسان حيوان لتمهد لفرويد اليهودى نظريته فى الجنس وكانت الماركسية
والفرويدية والداروينية من أدوات الفكر الصهيونى ، الذى حاول أن يؤسس
مدرسة فى البلاد العربية والإسلامية . كما دعا إلى البهائية التى عرفها فى لندن
سنة ١٩١٠ عندما اتصل بجماعة الدهريين ولم يدع كتابا من كتبهم لم يقرأه وكانت معظم
مؤلفاتهم فى نقض الأديان السماوية — على حد تعبيره — ولا بد أنه اتصل بمحافل
الماسونية ، وتعلم فيها فأن كل اتجاهه كان ماسونياً تلمودياً ولم تعرف حقيقته
إلا بعد أن ترجمت بروتوكولات صهيون إلى اللغة العربية عام ١٩٤٨ وأن كل
محاولاته وخطاه كان ثمرة هذه التبعية الماسونية التلمودية وقد أشار كثيرون إلى
أنه لم يكن مسيحياً صادقا وإنما كان ولاؤه لفرويد وماركس .

وقالوا الشجرة الفاسدةثمر ثمرا ردينا وكل شجره لا ثمر ثمراً جيداً تقطع
وتلقى فى النار .

ولا ريب أن دعوة سلامة موسى إلى وحدة الأديان هى من مفهوم البهائية ،
وأن اتهامه بالسلطان « أكبر » الهندي الذى أجرى هذه التجربة داخل فى دعوته

كذلك دعوته إلى وحدة الوجود ، ومذهب (سيونزا) في وحدة المادة والقدرة والروح والجسد هي من طريق خطه الواضح وكذلك فهو يرى أن حرق جثمان الميت أظهر وأنظف !!

وقد تمنى سلامه موسى أن يحرق جسمه بعد موته ، وقد عمل على نشر آراءه وتلستوى وغاندى لأنها تحاول مواجهه مفهوم الإسلام الجامع ومفهوم الجهاد وحتى دياناته المسيحية فإنها لم تسلم من هجومه وهو يعتقد أنها ججبت عن عقول الناس نور الثقافة اليونانية وحريتها ، وأن هذا الحجب والحبر ظل ألفاً وخمسمائة سنة حتى بدأت بشائر النهضة الأوربية التي كان أساسها الخروج عن سلطان الكنيسة وأطباقها على النفس والعقل البشريين ، والعودة إلى أسس الثقافة اليونانية وحريتها .

وقد بشر بدين جديد دعا إليه ودخل هذا الدين في عقيدته ، أنه [دين البشرية] كما يسميه وهو مادعا إليه (أوجست كونت) ويرى أن دين البشرية بذره من ديانته بوذا وهو دين لا يدعو إلى الإيمان بالله ، أو الخلود في العالم الثاني ، ولا ريب هذا الاتجاه الذي استكملة بأنبياء آخرين آمن بهم هم ماركس وفرويد ويوحى بماسونية وولائه التلوى الصريح ، كذلك فإن دعوته إلى العالمية هي دعوة الصهيونية العالمية التي تريد هدم الأمم المسلبة في مرحلة ضعفها واحتوائها للسيطرة عليها وتذيقها في أتون الأمية .

ولا ريب أن حمة سلامه موسى على اللغة العربية الفصحى ، والشعر والأدب العربي هي دعوته مبطنة للحملة على الإسلام والقرآن وهي الدعوة التي حمل لواءها لويس عوض من بعد وتؤكد دعوته في مجموعة موالاة الدعوة الشعبية التي ترمي من وراء القضاء على العرب وكيانهم إلى القضاء على الإسلام باعتبار أن تلك هي قاعدته الأساسية .

لقد كانت أصدق كلمة لباحث معاصر أنه لم يعرف لسلامه موسى مقال وطني واحد دعا فيه إلى تحرير مصر من الاستعمار البريطاني .

أن محاولة إعادته سلامه موسى إلى الوجود محاولة باطلة فقد شقت آراؤه جميعاً وكشفت حرمة البقعة عن زيفها وفسادها .

ماهو رأى مصطفى صادق الرافعى فى سلامه موسى ؟

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى :

رأى فى سلامه موسى معروف . لم أغره يوماً . فإن هذا الرجل كالشجرة التى تنبت مرأ . لا تحلو ولو زرعت فى تراب من السكر ، مازال يتعرض لى منذ خمس عشر سنة ، كأنه يلقي على وحدى أنا تبعه حماية اللغة العربية وإظهار محاسنها وبيانها ، فهو عدوها وعدو دينها وقرآنها ونبيها ، كما هو عدو الفضيلة أين وجدت فى إسلام أو نصرانية .

دعا هذا المخدول إلى استعمال الهاميه وهدم العربية ، فأخزاه الله على يدي ، وأريته أنه لا فى غيرها ولا نفيها . وأنه فى الأدب ساقط لا قيمه له . وفى اللغة دعى لا موضع له ، وفى رأى حقير لا شأن له فلما ضرب وجهه عن هذه الناحية واقتضح كيده دار على عقبيه واندس إلى غرضه الدنى من ناحية أخرى ، فقام يدعو إلى (الأدب المكشوف) فأخزاه الله مرة أخرى ولم يزد بعمله على أن انكشف هو ، فلما خاب فى الناحيتين ، اتجه إلى الشارع الثالث فانتحل الغيرة على النساء والإشفاق عليهن ، وقام يدعو المسلمين إلى إبطال حكم من أحكام دينهم وإسقاط نص من نصوص قرآنهم ظناً منه أنهم إذا تجرأوا على واحدة هانت الثانية ، وانفتح الباب المخلق الذى حاول هذا الأخير فتحه طول عمره من نبذ القرآن وترك الإسلام وهجر العربية كأن إبليس لعنه الله قد كتب على نفسه (كميالة) تحت إذن وأمر (سلامه موسى) إذا محيت العربية أو غير المسلمين دينهم أو أبطلوا قرآنهم ، فكانت البدعة الثالثة أن يدعو المسلمين جهرة إلى مساواة الرجل بالمرأة فى الميراث ، فأخزاه الله .

ثم قام هذا المفتون يدعو إلى الفرعونية . ليقطع المسلمين عن أريتهم ، ووطن أنه فى هذه الناحية ينسبهم لغتهم وقرآنهم وآدابهم ، ويشغلهم عنها بالمصطلولوجيا ، الوطنولوجيا ، ثم أتم الله فضحه بما نشره أصحاب دار الهلال .

ويقول الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني تحت عنوان :

سلامه موسى ليس بشيء لمن لم يكن دجالا !!

بضاعته بضاعة الخواة المشعوذين وله حركاتهم وإشاراتهم وأساليبهم . يزعم نفسه أديبا ، وتعالى الأدب عن هذا الدجل ، ويدعى العلم ، وجل العلم أن يكون هذا دعاؤه ، ويحاكي الملاحدة ليقول عنه المفضلون أنه واسع الذهن ، وليتسنى له أن يخمن الإسلام ويبسط لسانه في العرب ، والحقيقة أنه لا أديب ولا عالم ، وإنما هو مشعوذ يقف في السوق ، ويصفق ويصفق ويصخب ، ويجمع الفارغين حوله بما يحدث من الصياح الفارغ والضبطة السكاذبة .

لقد آن لمن تعنيهم كرامة الأدب أن يقتلعوا هذه الطفيليات ، وأن يطهروا من حشراتنا ونباتها رياضه ، وأن يقصوا عن بحاله هؤلاء الوأغلين الذين يتخذون اسمي ما في الدنيا وأجل ما في النفس طيو لا لهم ، ويتذرعون بالتهجم على الدين - على دين واحد في الحقيقة - وعلى العلم والفلسفة والأدب لئيل ما يستحقون ، ويفسدون عقول الناس ، ويبلبلون خواطرهم بما يغالطونهم فيه ويخادعونهم ،

سلامة موسى : دارون ونظرية التطور

حاولت قوى التغريب دفع أفكار سلامه موسى إلى أبعد مدى بعد أن هلك ، ولكن لم يكن ذلك ليحدث أى صدى ، فقد تقادم العهد الذى كانت كتاباته تملأ نفوس الشباب ببريق خاطف ، وتبين فساد النظريات الثلاث التى دافع عنها وسقوطها :

(١) نظرية اللادينية والعلمانية وهذه قد تداعت فى داخل المجتمعات التى دعت إليها وظهرت بها .

(٢) نظرية داروين التى تكشف الأخطاء عن فسادها وزيفها (على النحو الذى يراه القارىء فى الفصل التالى .

(٣) نظرية التحليل النفسى لفرويد وقد اعتورها زيف كبير ونكشف عن أنها نظرية تلودية تستهدف تدمير الإنسان وتحطيم وجوده .

يقول الأستاذ لمعى المطيعى : أن سلامه موسى وجه سهم قلبه مباشرة إلى عقيدة المصريين جميعاً ، حيث ترجم فى وقت باكر كتاب (نشوء فكرة الله) لجرانت إليه ، فهم يؤمنون إيماناً راسخاً بالخالق (خالق السموات والأرض) فلهذا يأتى هذا الكتاب ليعرض عليهم هذه الأفكار وما مدى إقتناعه هو نفسه بها سيما وإن كان قد تبلذ على أفكار شبلى شميل وكتب عن الداروينية ونظرية التطور ودعا إلى العلمانية .

ونال : الانطباع الأول هو الانطباع الأخير .

لقد غفل الكاتب عن حقيقة جوهرية ، وهى أن الأمة العربية تحرص على التطور والتقدم والتحديث من خلال المحافظة على العقيدة وليس عن طريق التناقض معها أو مواجهتها إذ أن الشعوب العربية تؤمن بأن العقيدة لا تتناقض مع العلم بل أنها تدعو إليه .

ومن أعالمه أنه طالب باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في الكتابة على زعم أن الكتابة بالحروف اللاتينية أيسر ، فثار أهل العربية — على حق — ضد هذه الدعوة ووجدوا منها سلفاً جديداً على اتجاه الكاتب : (المعادى لعقائد الناس ولقهم) .

وقد تبلد سلامة موسى على أفكار اطفى السيد وفرح أنطون ويعقوب صروف ، .

ويقول نعمان عاشور الذي كان يحضر مجالسه الخاصة : أن آراءه واتجاهاته كانت تبنح في معظمها للعارف الجارف والخروج عن المألوف ، وكان يخفي نزعه الطائفية وراء ستار رقيق من العلمية ، ولكنه يضطر أن يكشفها في مقالاته في جريدة عصر ، وكان يكشفها لتلاميذه في اجتماعاته الخاصة مع دعواه الدائمة في كتاباته إلى نبذ التعصب وابعاد الدين عن الخلافات السياسية والمذهبية الاجتماعية والتطلعات الوطنية والقومية .

وقد دعا إلى الفرعونية ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وكانت له نظرات محددة في معالجة الجنس فضلاً عن النظرة الاشتراكية .

وقد عمل سلامة موسى في جمعية الشبان المسيحية ، ما وصفه نعمان عاشور بأنه « حذبه على الشباب » وندواته ومحاضراته ومناظراته التي كان يشترك فيها وملاقى كبير من الشباب المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يؤمنون بما يعتقد .

(١) الانحياز إلى المذاهب الاشتراكية .

(٢) الإيمان بالغرب .

(٣) كراهية الإسلام .

وكان يوزع على الجالسين ورقة صغيرة يكتب كل منهم رده على ما سيوجه إليهم من أسئلة شباب ليعطوها له في آخر الجلسة حيث يقوم بعمل حصر ميداني لمشاكل الشباب .

وقال أنه صودر في حمله عام ١٩٤٦ مع زكي عبد القادر وعصام الدين حفيق ناصف

وكان قد أقام في لندن أربع سنوات تأثر فيها بالحركة الاشتراكية الفابية وكان معجباً ببرنارد شو وتيلند على يعقوب صروف وفرح أنطون ، وكان له دورة في مجلة الهلال .

ولا ريب أن كتابة « نعمان عاشور » تكشف الكثير وتلقى الضوء على الخطة التي كانت تقوم عليها جمعية الشبان المسيحية في الثلاثينات بالاشتراك مع الجامعة الأمريكية من ناحية أخرى في التبشير واجتذاب اشباب ، ومع الدور الذي كان يقوم به طه حسين في كلية الآداب ، ومدرسة السياسة (محمود عزمي وعلى عبد الرازق) في حزب الأحرار الدستوريين .

وذلك مخطط مدروس كشفنا عنه في كثير من الدراسات وهو نمو طبيعي لمدرسة سعد زغلول وطفى السيد في التعليم والصحافة والأحزاب الموالية لكرورم والاستعمار .

ولو أفصح الأستاذ نعمان عاشور لقال أن سلامه موسى كان يجتمع بالشباب بعد إختباره والتعرف عليه في غرفة مغلقة في جمعية الشبان المسيحية وكان يتناول أخطر المسائل بالنسبة للإسلام والقرآن بعد التأكد من أن الحاضرين عليه يحتمقرون الاسلام ويسخرون منه وكان ذلك كله مدداً لمعهد شارع المناخ الذي كان يديره (هنرى كوريل) اليهودى الميسور الذى أنشأ في مصر خلايا الشيوعية وأحزابها والذي ينتسب الى التلذه عليه عدد كبير من الاسماء الالامعه الآن في مجال اليسار والشيوعية .

وعندما نطالع مواد العدد الأول من المجلة الجديدة (ديسمبر ١٩٢٩) التي أصدرها سلامه موسى بعد أن فصل من دار الهلال نجد أنه أراد أن يسجل برنامجه التفريبي كاملاً فأورد هذه الموضوعات :

العلم وحده (محمود عزمي)

المجددون يقولون بالتطور (سلامه موسى)

دارون ، الفرعونية ، الإغريق

الصراحة في المسائل الجنسية

البهاينة ، الرجعية ، الوطنية والعالمية

التجديد في تركيا

الشرق شرق والغرب غرب

المصريون أمه غير شرقية

دين البشرية

الآزمة الدينية في العالم

اللغة العربية

المادية

العقل وحده ، غاندى

السفور في العالم الإسلامى

فولتير ، هافلوك إليس ، نيتشه

البشرية دين جديد

التعليم

السافقيون والمجددون

أرأيت أيها القارئ المسلم أهذه الموضوعات : هل غادرت قضية واحدة من قضايا التخريب ، ما أحوجنا إلى بحث جامع في الرد على العدد الأول من المجلة الجديدة ؟

واليوم وبعض أبناء سلامة موسى يحددون تراث أبيهم نراهم يخافون طبع كتابه (اليوم والغد) لأنه يكشف خطئته ومؤامراته على العروبة والإسلام واللغة العربية (وهو كتاب قرأته وأنا في السابعة عشرة) ولكنهم يطبعون كتاب

(الثورات) الذى هو خدمة أساسية للفكرة الماسونية التى تعمل على تحطيم الأنظمة الروحية والاجتماعية والأخلاقية فى العالم الإسلامى ، معلما من شأن الثورة الفرنسية على أساس أنها ثورة الثورات ، وإعلان الإعجاب بها مع عدم تعمق الفهم للدوافع والغايات التى أحاطت بها ، وأنها هى ثورة الماسونية الحقيقية التى أخذت تعد لها منذ عصر فوالتير ، وروسو ، وديدرو والتى غيرت وجه أوروبا كله فى سبيل تمكين اليهود للخروج من الجيتو وإحلال الإلتناء الوطنى بديلا للإلتناء الدينى ، والقضاء على التنظيمات المسيحية التى حاولت وقف خطرهم وسيطرتهم ، وتحطيم وحدة الجامعة المسيحية فى أوروبا ، بل أن البروتستانتين كما يبين من بعد كانوا فى خدمة أهداف الماسونية والعهدونية وأنهم حتى الآن هم المؤيدون لفكرة وجود اليهود فى إسرائيل .

وبعد فإن مفتاح شخصية سلامه موسى هى كراهيته للإسلام والعمل فى كل معسكر معاد له ، ويدنو أن سلامه موسى حين ذهب إلى لندن جندته الماسونية العالمية فى ذكاه خارق وإستغلت نحلته على النحو الذى أستغل شبلى شميل فى مهاجمة الدين بصفه عامة والإسلام بصفه خاصة .

نظرية دارون

كانت نظرية دارون من أولى السعوم التى طرحها الفكر الغربى الوافد فى أفق الفكر الإسلامى ، لقد جاءت مع الرياح الصفراء التى هبّت على بلاد المسلمين بعد الأحتلال البريطانى لمصر ومع مقدم جماعة خريجي الآرساليات التبشيرية : صروف ونمر ومكاريرس أصحاب المقطم والمقطف ، ومهمهم الدكتور شبلى شميل الذى كانت مهمته الدعوة لنظرية دارون والذى ترجم أشد الكتب الغربية تطرفا فى فهم هذا المذهب ككتاب « بنجر » الذى يعد من أشد المتطرفين فى المذهب المادى المالحد .

وهكذا كان شبلى شميل رائد هذه المدرسة التى سار فى طريقها فرح أنطون ، واسماعيل مظهر وسلامه موسى مع اختلاف فى الفرعيات ومحاولة ادمصاص سخط المسلمين ، حتى كان أصحاب المقطف حملة رسالة التغريب وأعداء اللغة العربية والقيم الإسلامية

الاساسية كانوا يظهرن الخلاف معه ، وذلك أنه درس الطب ولم يدرس العلوم الطبيعية ولكنه بعد أن سافر إلى أوروبا وقع الحادث الذي غير حياته كلها فقد التقى هناك بأحد علماء المادية ذلك الذي استهزأ أن يدفعه في عنف نحو ذلك الطريق الذي جرى فيه ليصادم عقائد الأمة بأن كان خلافه في الأساس قائماً مع معتقداته في مجال الفكر النصراني الغربي .

لقد لقي أحد علماء المادية الذي قال له كلمة هدمت معتقداته هدماً ، لقد كانت حملة شبل شميل على النظم الاجتماعية والقيم والدين المنزل أساساً ولم يكن مذهب دارون ودراسته ألا مدخلاً إلى هذه الحملة المادية التي كان يراد بها أن تحتاج الإسلام أساساً ، وقيم فلسفة الاجتماع على القوانين الطبيعية ، ولقد واجه السيد جمال الدين الأفغاني هذا المذهب عندما نشره الإستعمار البريطاني في الهند وفي مصر بكتابه (الرد على الدهريين) وتناول الرد على شميل كثيرون في مصر والبلاد العربية في مقدمتهم العلامة فريد وجدي الذي وهب حياته لمهاجمة الفلسفة المادية وكشف زيفها .

واقعد جادل اسماعيل مظهر أن يقدم منهج النشوء والارتقاء على أنه ليس معارضا للأديان في محاولة أخرى لتقبله بين الجماهير ولكنه فشل ، كذلك فقد عرض سلامه موسى نظرية التطور ولم تلق رواجاً وقابلها الناس بمزيد من العبت وعدم الثقة فقد كانت تخالف مفهوم خلق الإنسان الذي جاء به القرآن الكريم واضحا صريحا حين أعلن أن الإنسان خلق مستقلا تمام الاستقلال عن الأنواع الأخرى .

ولقد عرضت القوى الاستعمارية (نظرية التطور) ومفاهيم دارون على دراسات العلوم الطبيعية في أغلب بلاد العالم الإسلامي ، وأحدثت آثاراً بعيدة من الشكوك والازدواج بينها وبين مفاهيم الإسلام عن قصة الخلق وقد تعالت الصيحات في الغرب تطالب بإسقاط هذه النظرية من مناهج الدراسة وفي الغرب رفعت القضايا في المحاكم للفصل في هذا الأمر .

أولاً : ليس الخطر الحقيقي في نظرية (دارون) ، ذلك أن دارون نفسه أعلن أنه على غير يقين من دعواه عن الصلة بين القرد والإنسان ، وقد قال في صراحة تامة : أن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها ، ولكن الخطر في علماء الفلسفة المادية الذين يصمدون عن مفاهيم التلويح والذين يطعمون في إسقاط صفة الانسانية عن البشرية وإحلال صفة « الحيوانية » عليها ، فهم الذين حملوا هذه الأفكار ووسعوها ودفعوها دفعا وفرضوها على علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والدين والأدب ، كمنطلق للصيرورية اليهودية الراجبة في تدمير المجتمعات الانسانية بنشر دعوى المادية والحيوانية وغيرها ومن هنا اصطنعت فكرة (التطور المطلق) الذي يعارض طبيعته الحياة ومفهوم الفطرة ومقررات الدين الحق ، ومن الجائز أن يكون (دارون) لم يكن يدري مدى الخطورة من وراء قوله بأن الأجناس كلها من أصل واحد ، وأن الإنسان من أصل حيواني فإنه قد فتح بابا خطيرا من الشبه التقطه أعداء الإنسان وساروا به للدعوة إلى « حيوانية الإنسان » الذي كرمه الله تبارك وتعالى وفضله على كثير من خلقه ولم يتنبه دارون إلى مفهوم الدين الحق الذي أعلن كرامته الإنسان وإستخلافه في الأرض واتخذ كان لنظرية التطور وتحولها من نظرية بيولوجية إلى نظرية إجتماعية أبعد الأثر في ضرب القيم الثوابت ومنها العقيدة والشريعة والأخلاق .

ثانيا : أن دارون لم يفهم العلاقة بين الطبيعة والإنسان ولقصور نظريته وقلة أدلته أكبر من شأن التنازع (تنازع البقاء) وقد حال هذا بينه وبين رؤية (التعاون) بين الحيوان والنبات الذي هو أوسع وأكبر من التنازع .

ويرى العلماء أن (دارون) أخطأ خطأ فادحا عندما زعم أن تنازع البقاء هو كل شيء ، أو يكاد يكون كذلك ، فقد تبين للعلماء أن التعاون في الطبيعة أكثر من التنازع بل لا يكاد يكون هناك تنازع في عالم الحيوان بالمعنى البشري الذي تفهمه لهذه الكلة .

ثالثا : فساد نظرية الانتخاب الطبيعي التي جاء بها دارون فقد أعلن العلماء في الأخير : أن هذا التفسير الذي تقدمه نظرية التطور والارتقاء قد اهدرت أساساته من جذورها ، وقد انفتح الباب أمام نظرية جديدة تفسر اختلاف أجناس المخلوقات .

ويقول جين روستند (عضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم وعميد علماء البيولوجيا الفرنسية) أن نظرية التطور التقليدية بمعناها الخرفي قد غدت الآن شيئا ماضيا ، وأنه لا يجوز تفسير التطور بمثل هذه التعبيرات السطحية التافهة كاصطفاء الطبيعة للجنس الأصح لمجرد أن علماء البيولوجيا قد أخفقوا - حتى الوقت الحاضر في إثبات ما إذا كان بالمستطاع التأثير على تغير الأجناس أو التحكم به أو خلقه عن طريق العملية نفسها .

رابعا : راجع العلماء مفهوم التطور المطلق الذي أضفى على نظرية التطور قائمتها أن حقائق الأشياء ثابتة لا تتغير وإنما الذي تغير هو الصور فقط فزعة الطعام لا تزال ثابتة وإنما الذي تغير هو صور الطعام وكذلك فيما يتعلق بنزعة اللباس والقتال واتخاذ السكن ، وبرهنوا على أن التطور ليس قانونا أخلاقيا وليس كل طور أفضل من الطور الذي سبقه فإن التطور قانون اجتماعي يتحرك في إطار الثوابت ولا يقتضي مطلقا تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة والتطور غير متطور ، والتطور ليس كاله تقدم والجديد ليس الأصح دوما ، وهم بذلك قد زيفوا زعم (سبنسر) بأن التطور الاجتماعي تطور حتمي لا شعوري .

خامسا : كشف الباحثون أن الداروينيه قد استغلت في محيط السياسة مما أدى إلى إيجاد جو مضطرب أطلت منه مذاهب العنصرية ، فقد كان قول دارون بأن العناصر الضعيفة يجب أن تموت أو تستأصل مما استغلته حركة الاستعمار العالمي كنظرية لتطبيقها على البلاد المحتلة .

سادسا : اتخذت نظرية التولد الذاتي (التي قال بها دارون ولا مارك وأرنست

هيكل) منطلقا إلى الاتحاد وجعلها البعض سندا في انكار العقيدة الدينية ،
وأنخذت منها فلسفة ضالة لنفى الخالق وإعطاء المادة صفة القادر على كل شيء ومن
ثم دعا هيكل إلى (تألية الطبيعة) وإنكار وجود الله تبارك وتعالى والقول بوحدة
الوجود .

سابعا : اتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على الأديان والقوانين وذاتية
الأمم باعتبار أن كل شيء بدأ ناعضا شيئا يشير السخرية والإحتقار ثم تطور
فلاقداسة إذن لدين ، ولا وطنية ولا قانون ولا لمقدس من المقدسات وبدأ
كأنما أخرجت النظرية لخدمة رجال الاستعمار والسياسة أكثر مما أخرجت لعلماء
الأحياء فقد تركت آثار الصراع من أجل البقاء في أوساط السياسة والحرب ،
وكان لمبدأ بقاء الأصلح أثره في مخبطات الاستعمار وإبادة الأجناس المغلوبة على
أمرها ، وظهرت من خلال نظرية التمييز العنصرى والاستملاء باللون ، وفكرة
الشعوب المحمارة (الألمان واليهود) ، صيغت من خلال ذلك نظرة القدوة عند
(نيتشه) ومن ذهب مذهبه من علماء الجرمان ، وبها انتفع دعاة الارستقراطية
فوجدوا فيها سلاحهم فأعلنوا أنفسهم بأنهم المتأزرون والمختارون الذين ورثوا
مزايا الأمة سادة البشر ومالكى العروش وصانعى التاريخ ، وتلقفها معلنا الحرب
على الأديان فأخذوا يضربون بها جدار الذين ويعلمون من شأن العلم عليه .

ثامنا : أكد العلماء أن التطور قانون إجتماعى وليس قانونا أخلاقيا وإنه
يتحرك فى دائرة الثوابت ولكنه لا يمتنع مطلقا تفضيل تطور الأخير على الطور
السابق له فليس كل طور أفضل من الطور الذى سبقه ، لأن التطور فى الحياة قد
يكون إرتقاء وقد يكون تردىا وإلتكاسا .

تبين من عبارة بروتوكولات صهيون ، أن دارون ليس يهوديا ولكننا عرفنا
كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغياها فى تحطيم الدين ، لقدرةتنا نجاح
دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم يتبين من هذه العبارة الهدف من

هذه العبارة الهدف هو ترويض نظرية دارون ، ولما كان كل باطل لا يستقر ولا بد أن تحترقه عوامل انقساد فقد تكشف اليوم وبعد مائة سنة نساد نظرية دارون ، وقد أعلن العلماء أنها أسطورة قد لإنهارت ، كذلك فقد أثبتت الحفريات التي ظهرت في مختلف البقاع ، إن الانسان خالق خلقا مستقلا وأنه لم ينحدر من فصيلة القرد ، وقد عارض العلماء البيولوجيون لإفترض أن الخليقة كلها من أصل واحد وأن الانسان فرع من فصيلة الحيوان في أرقى درجات وهو القرد، وعرف أن قوى كبرى كانت وراء ترويض ذلك ، وقد جاء العلماء اليوم ليعلموا في صراحة تامة أنه لا علاقة للانسان بالقرد ولا تجانس بينهما .

أولا : البحث العلمي أسقط النظرية :

(١) جال بيفتور رئيس المجمع العلمي الفرنسي : لقد وقف هذا العالم نصف قرن تقريبا على دراسة أصل الانسان واستدعاه أن يؤكد أخيراً أن الانسان ليست له علاقة تجانس بالقرد وأن النظرية التي تقول بذلك مفتقرة إلى البرهان الحاسم ، وأن هذه المشاهدات بين القرد والانسان غير كافية للجزم بوجود أصل مشترك للانسان والقرد .

ثانيا : الحفريات أسقطت النظرية :

(٢) الدكتور رونالد جونسون : أستاذ علم الأجناس البشرية يقول : أن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بنسبة ٩٩ و ٩٩ % من السقة أن الانسان سار متصبا على قدميه منذ بداية تاريخه الانسان منذ ثلاثة ملايين سنة ، أعلن ذلك في مؤتمر صحفي (مارس ١٩٧٤) وهو يمسك في يديه بخصم قطع من العظام يرجع تاريخها إلى ثلاثة ملايين سنة عثر عليها في أواخر عام ١٩٧٣ في أثيوبيا ، وقد ظهر الانسان كائنا فريدا في نوعه وسط دنيا من الوحوش السكامة ، وأن هذه العظام قد سدت الثغرة التي ظل العلماء يتحدثون عنها تحت اسم « الحلقة المفقودة » وأن ما وصل إليه الدكتور رونالد جونسون كان خاتمة حفريات كثيرة تمت خلال سنوات ١٩٦٩ وما بعدها في كينيا ووادي أفا في الحبشة ومن أم ما تجبر أن

الجمجم فريدة في نوعها تتميز بسمة الدماغ مما جعل العلماء يخرجون بانطباع عام وهو أن سلالة مشتركة تطورت مع لأنها كانت له سلالته الخاصة المستقلة .

(٣) الدكتور بير برسون الاختصاصي في علم الوراثة (جامعة اكسفورد) أصدر بالاشتراك مع ثلاثة من زملائه قانونا اشتهر باسم « قانون القرود » حظروا فيه على المدارس والجامعات أن تدرس المذهب الدارويني — مذهب الشوء والارتقاء — وذلك لبطان النظرية التي كانت تقول : أن الانسان هو الحلقة الأخيرة من تطور انطلق من أول أنواع القروء .

وبالجلة فقد أصبح العلماء الآن عن طريق الكشف الانثري وتقريرات العلم التجريبي — لا الفلسفة — متأكدين مما جاء به الدين الحق وجاء به الاسلام من أن الانسان خلق مستقلا وأنه سيد المخلوقات ، وصدق الله العظيم « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ومع ذلك فإن البحث لم يتوقف لتأكيد فساد نظرية دارون ففي السنوات الأخيرة رويت تجربة العالم ليسكي مدير المتحف الوطني في كينيا التي استمرت ثمانية وعشرين عاما قبل أن يصل إلى اكتشافه العام وكان أول اكتشافاته عام ١٩٥٩ عندما عثر على جمجمة وبقايا عظام متحجرة في شمال كينيا لها صفات تختلف كثيرا عن صفات القرود ثم اكتشف بعد ذلك جمجمة لانسان أسماه (هومو هابلي) أي الرجل البدوي ومن عام (٦٠ — ١٩٦٤) اكتشف مجموعة من المخلوقات في جبل كينيا وهي تتميز بأصابع سبابة تشبه أصابع الانسان وحجم مخ أكبر ثم اكتشف ليسكي في أحد جبال كينيا جمجمة وعظاما هزت الأوساط العلمية إذ بعد قياس عمرها الجيولوجي بواسطة أجهزة الاشعاع الذرية وجد أنها ترجع إلى مليون وستة ألاف سنة تقريبا وأهم ما يميزها هو حجم المخ فقد وجد أنه حوالي ٨٠ سنتيمترا أي ضعف حجم مخ القرود الجنوبي ويزيد عليه مليون سنة .

ثم أذاع العلماء بعد ذلك ما يلي :

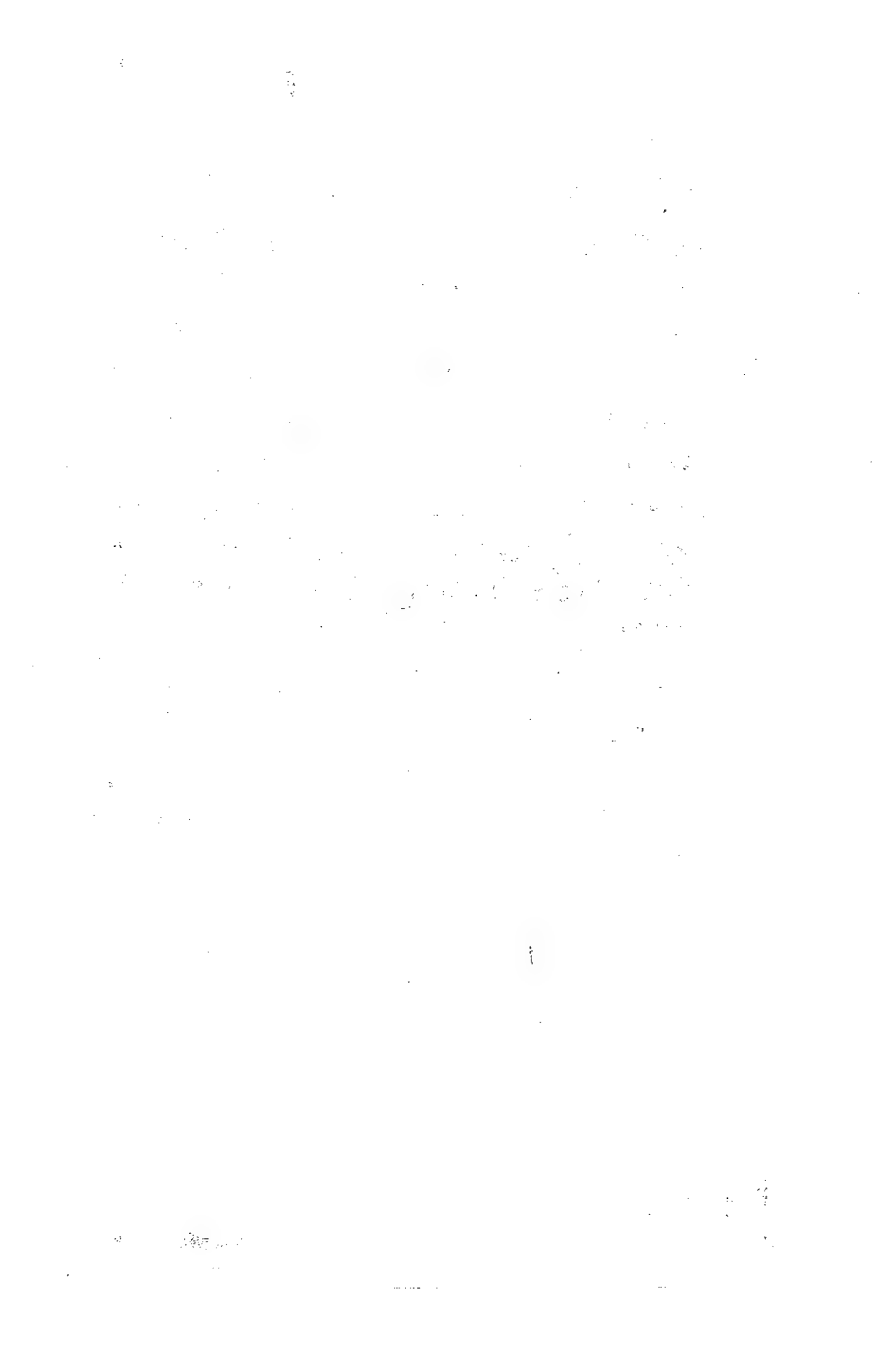
أولاً : أنه لا يوجد دليل على واحد من ألف على أن الانسان من سلالات القردة وأن الانسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً .

ثانياً : الكائنات إنما خلقت مستقلة استقلالاً تاماً فمنها الحيوان الذى يمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطنها .
وصدق الله العظيم إذ يقول (ومنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء) .

ثالثاً : أعلن العلماء ظهور المكشف العلمى الذى هدم نظرية التطور هدماً تاماً وهو اكتشاف وحدات الوراثة التى أثبتت إستحالة تطور الكائن الحى وتحوله من نوع إلى نوع آخر ، فقد ثبت أن هناك عوامل وراثية كامنة فى خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه وتحتم أن يظل فى دائرة النوع الذى نشأ فيه فلا يخرج قط من نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوراثة هو الإرتقاء فى حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر .

هذا المكشف العلمى هو الذى أعدم نظرية دارون وأفبرها وقضى عليها .

وبقى بعد ذلك أن نقول أن كل ما كتبه سلامة موسى فى هذا الموضوع هو من ركام الزيف .



الفصل التاسع

زکی نجیب محمود



كان السؤال في الندوة عن مخططات التغريب والغزو الثقافي في هذه المرحلة لمواجهة حركة اليقظة الإسلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبشير ، واقتضاح كل خبوط المؤامرة التي جند لها عدد كبير من التغريبين بقيادة (المعلم) طه حسين . ثم تحطمت كل هذه المخططات قبل رحيله .

والحقيقة أن النفوذ الأجنبي قد غير جلده بعد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاتاً جديداً بانتقادات جديدة بعد أن هلك هذا التغريبي الكبير ووضع أمر ذلك في عدة خطوات اتخذت بسرعة لتغطية الفراغ . . منها عقد مؤتمر ثقافي مخلق في الكويت ضم مجموعة من اتباع الاستشراق والتغريب ، واليسارين ، واتباع الفلسفة المسادية . وكان على رأسهم (زكي نجيب محمود) و (محمد الزويهي) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذي كان يمر في السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضار .

وكذلك كلف المستشرق (جاك برك) بالطواف في البلاد العربية .

ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين في محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطمت هذه تماماً نتيجة للأبحاث التي كشفت عن دخليته وخاصة ما كتبه محمود محمد شاكر ومحمد نجيب البهيبي وكان هذه السطور .

كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام في عهد ميكل أن تجمع في نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمثال توفيق الحكيم الذي وصف إسرائيل بأنها دولة متحضرة . وحسين فوزي الذي تنسكروا لرويته واعتز بفرعونيته ورضى لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراة من جامعات العدو . ونجيب محفوظ الذي عرف بتلذذه لزعم التغريب سلامة موسى وهي ما تزال تحتفظ بهم إلى اليوم بعد أضياف لاهمهم أنيس منصور ويوسف إدريس .

وقد بدا في السنوات الأخيرة أن الأضواء كلها قد ركزت تماماً على الدكتور زكي نجيب محمود كقائد لهذه السكتية التغريبية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن أنه أعاد النظر في التراث الإسلامي (وأسماء العرب) في محاولة لخداع البسطاء ولتخطية ماص طويل في الفكر المادي كانت قننه كتابه المعروف (خرافة الميتافيزيقا) أي بمعنى صريح إنكار مفهوم الغيب الذي جاء به الإسلام والادعاء بأنه خرافة. وإنكار كل ماسوى المحسوس والمعقول متابعة في ذلك للمذهب الفلسفي الذي أعتنقه طوال حياته مقلداً في ذلك فيلسوفاً أوروبياً مادياً ملجداً يكره الأديان المنزلة ويفاخر بأنه يمثل مدرسته (أوجست كونت) . وفي طريق كسب الانصار والتقرب إلى الشباب الواعي المقف يتحدث الدكتور زكي نجيب محمود عن الايمان بالله وعن الايمان باليوم الآخر، وعن أعلام التراث: الغزالي وغيره، ذلك كله محاولة لالقاء حاجز بين الماضي والحاضر وإحراز الثقة التي تمكنه من بث الفاهيعة وآرائه .

ونحن لا نتهم أحداً في عقيدته ولا نتهقب العورات ولا نلتقط ما تتكشف عنه السرائر من وراء الوعي ولكننا نقرر براءة المنهج الذي يدعو إليه زكي نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة وخاصة بالنسبة لتلك القضية الكبرى التي يثيرها في كل كتاباته وهي مسألة العقل والعقلانية فالإسلام لا يعطى العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . وإنما يرسم للعقل طريقاً كريماً في ضوء الوحي . والعقل في الإسلام مناط التكليف ولكنه ليس حكماً على كل شيء ، ذلك لأن العقل أداة تصالح تكوينها وتفسد إذا تكوّنها . وهي إن اعتدت بالوحي أضاعت وأشرقت عليها أنوار الفهم . أما إذا اهتدت بالفكر البشري فإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل أهواء النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذي يدعو إليه زكي نجيب محمود نظرية مادية صرفة ومرفوضة تماماً . وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والتغريبين يعترفون من التراث بالجانب الخاص بالمتزلة فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا إنحرافاً في مفاهيم الفكر الإسلامي . فالمتزلة خرجوا عن مفهوم الإسلام الجامع المتكامل بين العقل والقلب، والروح

والمادة ، والدنيا الآخرة . وأعلوا مفهوم العقل . فانحرفوا وتحطموا وحكمت عليهم الأمة كلها بأنهم خرجوا عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا الخلفاء على المسلمين والعلماء . وقد هزمهم الله شر هزيمة على يد الإمام أحمد بن حنبل ، وأعاد الإسلام مفهومه الأصيل الجامع .

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعوة إلى التصوف كمنطلق وحيد لفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها واقد كان هوى زكي نجيب محمود في دراساته في التراث مع ذلك المفهوم العقلاني الذي انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذي أستمده مادته من الفلسفات اليونانية الوثنية المادية ، والالحادية الإباحية التي غامت سبحانه على الفكر الإسلامي ثم انقشعت تحت تأثير أضواء المفهوم القرآني الأصيل .

كذلك فإن مفهوم الدكتور زكي نجيب محمود للألوهية مفهوم ناقص وقاصر لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذي أورده في مقاله في الهلال) .

لقد مرت البشرية بمراحل كثيرة في فهم الألوهية ناقصة وسحرقة وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق فلم يعد هناك مجال لإعادة ترديد هذه المفاهيم بعد مرور أربع عشر قرناً على نزول دعوة التوحيد الخالص .

إن الذي يقبله شباب الإسلام اليوم من الباحثين هو مفهوم الله الحق لا مفهوم الآلهة كما فهمه الوثنيون أو المعددن ، أو المشركون الذين كانوا يؤمنون بالله خالقاً ولا يؤمنون به مصرفاً للأموال كلها . . . وقد جاء الإسلام ليكشف هذه النقيصة وحدها ، ويدعو إليها : (إسلام الوجه لله) .

أما مفهوم الإيمان بالله على النحو الذي كتب عنه الدكتور زكي نجيب محمود فهو مفهوم عرّفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام . ولعل من أكبر الخطأ عرض مفهوم أرسطو وأفلاطون في الألوهية ومحاولة تفسيره بمفهوم الإسلام مع أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك بل إن القرآن الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية والوثنية والعنصرية لنفسها وقصورها . وخاصة

ما أدعاه هؤلاء من أن الله تبارك وتعالى يدير ظهره للكون ولا يعلم الجزئيات ، وأن المادة خالدة إلى غير ذلك من تلك التفاهات ، بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون للألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأضنام) فكيف يقدم هذا المفهوم للشباب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحققة ١٩ ولقد كشف علماء المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشري ونقصه . وكيف أنها منحرفة . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس) .

وأن هذا الكون ليس مخلداً ، ولا باقياً ، وأن له نهاية كما كانت له بداية ، وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الكون لحظة ، ويديره ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقوله الفلاسفة هراء .

المسلمون يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيرت مفهوم الألوهية الحققة (الله رب العالمين) فنسبته البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود وربهم وحدهم . وقال الآخرون بأن الله ولدأ وكذبوا ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه .

وليس مفهوم الألوهية صحيحاً ولا كاملاً إلا في الإسلام وحده فهو مفهوم إسلام الوجه لله (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولقد حاول الفكر البشري أن يزيف مفهوم الألوهية الحققة . وأخطأت الماسونية حين قالت « المهندس الأعظم » وهناك انحرافات الباطنية والماديين والوجوديين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على النحو الذي عرف عن كثيرين . وهناك مفهوم الإسلام بوصفه ديناً لاهوتياً . والحققة أن المطلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى ولكن المطلوب معرفة حقيقة هذا الوجود بعيداً عن هذه المفاهيم المنحرفة ويستتبع الإيمان بالله تبارك وتعالى ، الإيمان بشريعته .

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود لا يلبث أن يفتق من شأن هذه الشريعة

ويعصفها بأنها قاصرة ومجافية للمصر ويطالب بتخطيها في سبيل تحقيق المعاصرة ، وهو يقبل بالحضارة الغربية كما كان يقبل بها سلفه طه حسين (حلوها ومزها وما يحمد منها وما يهاب) فما عرف عنه أنه دعا المسلمين إلى أخذ العلوم مثلاً دون أسلوب العيش ولكنه يدعو إلى شيء غريب هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة وهو ادعاء باطل وظالم .

فكيف يمكن أن يقال لأصحاب القرآن الذي وضع منهجاً للحياة والمجتمع غاية في الأحكام جريته الشعوب والأمم أفعام فأقام لها حياة الرحمة والعدل والأخاء البشرية . كيف يمكن أن يقال لهذه الأمة إنها لا تمتلك منهج حياة .

وكيف يقبل وهو العقلاني الحصيف هذا المنهج الذي يعيشه الغرب سواء الغرب اللبدي إلى أم الماركسي في ذلك الحظم العفن الفاسد المتآكل من الشهوات والإباحيات والانحصراف والتحلل والخرابة بشهادة كتاب الغرب والشرق على السواء .

وكيف يغضى وهو الأمين على الكلمة عن أزمة الحضارة وأزمة الإنسان الغربي . وقد قرأ عشرات من الكتابات آخرها ما كتبه (سلاجوستين) ودفع به حضارة الغرب التي يكبرها زكي نجيب محمود وحسين فوزي وتوفيق الحكيم . ويفخرون بها ويغوصون بأقلامهم في تلك الحمى من الدماء والعفن والفساد . وهم يقرلون لا إله إلا الله على الأقل ورائة ، ويرون كيف يقدم الإسلام ذلك المنهج النقي الطاهر الأخلاقي الكريم الذي يرفع من قدر الإنسان . وكيف يحق لأمة تحمل لواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخلى عن رسالتها في تبليغ كلمة الله الحق إلى العالمين وتنصر في بوتقة الأمية والحضارة المنهارة التي تمر بآخر مراحلها .

وعلى من الأمانة أن يدعو هؤلاء أمتهم إلى هذا وهم روادها والرائد لا يكذب أهله ولا يغشها . إن مسئولية القلم وريادة الفكر وهى أضخم المسئوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب . وقد كان أولى بهم جميعاً أن يصدقوا أمتهم

النصح ويدعونها إلى أن تقيم حضارة الإسلام مجددة في إطار (لا إله إلا الله) والأخلاق والرحمة والأخاء الانساني وأن يلتمسوا أسلوب العيش الإسلامي ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً نقياً تتطلع إليه النفوس والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها من جديد . ولن يكون غير الإسلام . وسوف يدمغهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير مؤتمنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم في سجل الذين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوا لأمتهم وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد مناهجه وأساليب حياته ، وعرفوا أن هذه الأمة الإسلامية الكريمة على الله أعز من أن تسحق في أتون الشهوات وأن تدمر بأيدي أبنائها ودعاتها الذين تلمع أسماؤهم ونخدع الناس شهرتهم .

إن الدكتور زكي نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامي ذلك الفهم الذي جعله يسكرهم أفتال (ابن الراوندي) و (مزدك) ، و (ماني) ، و (الحلاج) ، و (الباطنية) ، و (الشيعية) و (الإخوان الصفا) وتلاميذهم .

كذلك فهو مؤمن بمجموعة من المسلمات الخاطئة من عصارة مفاهيم الفكر البشري الوثني المادي فضلاً عن أن إيمانه بالعلم والعقل وحدهما وهو في مفهوم الإسلام قصور شديد عن المفهوم الجامع .

ولاني لأسأل الدكتور زكي نجيب محمود : هل يؤمن بالوحي ؟ هذا هو مقلع المناقضة بيننا وبينه . وإذا كان يؤمن به فلماذا لم يعلن فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) وإذا لا يؤمن بهذا الوحي الذي جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة ؟

وإذا كان الدكتور زكي نجيب محمود قد تراجع عن « خرافة الميتافيزيقا » وغيرها من آرائه . أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفه بعض الناس .

إن محاولة انتعاش مكان طه حسين اليوم هو أمر مضيع . فقد انتهى ذلك العهد ومعهما

الناس وخطط حركة اليقظة الإسلامية خطوات واسعة فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الزائفة التي قدمها الآباء الصغار الذين كانوا يستقبلون أبناءنا في الجامعات الأوروبية وهم من اليهود أمثال مرجليوث ودوركايم وغيره .

أما قول الدكتور زكي نجيب محمود أن الثقافة الإسلامية في العصر العباسي قد اُغترفت ثقافات الدنيا بغير حساب فهو قول باطل . لقد وقفت الثقافة الإسلامية موقف التحليل والعزلة لكل ما ترجم ، وأخذت منه ما وجدته صالحاً ومطابقاً لمفهوم التوحيد الخالص . أما ما عدا ذلك فقد رفضته وشنت عليه حرباً عنيفة ، وأخرجت دعائه من طريق الفكر الإسلامي فأطلقت عليهم اسم (المشاكسون المسلمون) إعلاناً لتبعيةهم للشائين اليونانيين ، ولم تقبل منهم ما جاءوا به .

وأعلن المسلمون أن منهج اليونان أو منهج العنصرية الشرقية كلاهما باطل وأن للإسلام منهج خاص مستقل كما نفعل نحن اليوم إزاء ما يقدمه التفريديون من فكر الشرق والغرب مما هو ليس مقبولا في الإسلام بحال . كذلك فإن نظرية زكي نجيب محمود بالتوفيق بين المترجم الوافد الغربي وبين المجدد من التراث الإسلامي (وهو ما يسميه بالعربي استنكاراً) هذه نظرية ليست مستحدثة بل هي نظرية طه حسين وهيكال والزيات وغيرهم . وهي نظرية اتضح بطلانها . أما ما تعارفنا عليه اليقظة الإسلامية فهو أن يقوم أساس إسلامي أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع) وفي ضوءه يحاكم التراث كله والوافد كله ، ولا يقبل إلا ما يزيد المنهج قوة ودعماً مع الاحتفاظ بأسلوب العيش الإسلامي (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) ودعوى زكي نجيب بالموافاة مرفوضة . فالمسلمون على استعداد التصحية بالتقدم المادي في سبيل الاحتفاظ بالقيم الأساسية التي هي في حقيقتها ليست معوقة للتقدم المادي ولكنها حائلة دون فساد الحضارة الغربية وزيفها وانحلالها الذي يود هؤلاء القوم إغراق هذه الأمة فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

يتابع الدكتور زكي نجيب محمود دعوته إلى « التفرغ » ، في مقالات أسبوعية
محمومة على نفس مفهوم الدكتور طه حسين (أن نأخذ الحضارة حلوها ومرها)
ولكنه لأن الوعي الإسلامى أصبح قويا يتنازل عن فكرته التى ظل يدافع عنها
ويدعى أنه قرأ التراث وأنه يقبل - فضلا منه ومنه - أن نأخذ التراث ونأخذ
حضارة الغرب ، أما الأخذ من الغرب فهو بدون تحفظ ، إما التراث فيمكن أن
نأخذ منه ما يتفق مع العصر ، أن كلمة التراث التى يستعملها عامة زائفة ومغشوشة ،
لأنه يجعلها بديلا للإسلام (القرآن والسنة) .

فهو يضمها جميعا تحت كلمة (التراث) مع أن التراث هو العمل البشرى الذى
قام به المسلمون في تفسير وشرح القرآن والسنة تحت إسم الفقه وتحقيق السنة
وتفسير القرآن وغيره من العلوم .

إن الدكتور زكي نجيب محمود لم يدور نفسه كما ينبغي أن يصبح مقبولا لدى
الشباب المسلم اليوم لأنه مازال يكتب بأسلوبه الجاف الذى أنشأته دراسته للفلسفة
(الوضعية المنطقية) فلا يستطيع أن يخرج منها ويقف الجفاف عثرة أمام دعوته ،
يقول : (المصدر الذى استقيت منه معظم ثقافتى هو الثقافة الأوروبية بصفه عامة
والانجليزية بصفه خاصة) وقد لبثت مع الأسف الشديد طويلا وأنا لا أعرف
من التراث العربى إلا شذرات ، حتى تذهبت له منذ سنوات .

نعم ، لقد كان لابد أن يتحدث عن التراث (ليخضع) لأناسا مثل الذين خدعهم
طه حسين حين كتب (هامش السيرة) إن القيادات التغريبية تريد أن تجعل
الأمور أكثر يسرا ، ولكن زكي نجيب محمود لم يطور نفسه كما ينبغي مع تطور
النقطة الإسلامية من ناحية ومع تطور الفكر الإنسانى نفسه وظهور عوامل كثيرة

تجعل الغرب يعيد النظر في فكره ، إن زكي نجيب محمود لا ينظر إلى الظواهر الخطيرة التي تبدو في كتابات فيلسوف العصر جارودي والطبيب بوكاي .. ويصر على قديعه وبعد الأساليب خدعة مع بقاء المضنون الذي يملأ نفسه في عناد .

إنه يتحدث عن العلم وهو يعني الفلسفة ، إن ما يدعو إليه ويسميه العلم ليس هو العلم ، فالعلم هو ما يجري في المعامل ، أما الفلسفة فهي محاولات الخداع بقرص الفلسفة المادية في ميادين العلوم الانسانية والأخلاق والاجتماع والنفس .

واصراره على [تقديس العقل] يوجد له نفورا شديدا في بيئة الاسلام ، ذلك لأن الاسلام لا يقديس العقل ولكنه يؤمن بأن العقل مناط التكليف ولكن له حدوده وهو يمتد بالشرع ولا يستطيع أن يفرد بتوجيهه لأنه إذا وكل إليه الأمر خطأ وانحرف ، لأنه في الحقيقة إن بيئته التي شكلته وليس له قدرة إستقلالية في الحكم على الأمور ، وهو مدخل كبير للهوى والزيف والانحراف .

إن زكي نجيب محمود يخطئ حين يدعو المسلمين إلى أخذ التكنولوجيا والعلوم الحديثة مفروضة مع فكرها ، والمسلمون لا يأخذون أدوات الحضارة ولهم أسلوب عيش خاص بهم وكذلك فعل الغربيون حين أخذوا أدوات الحضارة من مسلمي الاندلس .

كذلك يخطئ حين يظن أن المسلمين أخذوا ثقافة اليونان وبنوا عليها فكرهم (وقول : أن الثقافة الاسلامية أخذت بغير حساب كل ما عرفته الدنيا من ثقافات وأجرتها في شرايينها) قول باطل فهي حين أخذت غربلت ونقدت وكشفت وجه الخطأ وكل ما أخذته إنما أخذته كمادة خام لها حرية تشكيلها في إطار مفهومها الاسلامي الذي تختلف عن أرجانون اليونان الذي يقوم على العبودية والرق بينما يقوم مفهوم الاسلام على التوحيد والعدل والاخاء البشرى .

وكما يخطئ مفاهيمه للعقل يخطئ مفاهيمه للتقويم (الذي هو عند المسلمين جامع بين المعنوي والمادي ولا يضحى بالمعنوي من أجل المادي) ومفهومه للاصالة

والمعاصرة ناقص من حيث يقول : لا بد من مصدرين هما التراث وحصاد الفكر الأوربي وتلك معادلة فوق أنها ساذجة لم يعديقبلها الآن أحد فنى باطله، فهاهو التراث (هل هو تراث الباطنية والمعتزلة والشعوبية الذى أغرم به زكى نجيب محمود فعاش مثلاً فترة يدرس مسيله الكذاب كما قال فى الجزائر وهل تكفى عبارة (حصاد الفكر الأوربي) لقبوله بكل ما فيه من سموم وفساد وإ انحلال ، إنه لا يتحدث عن أى تحفظ عندما يتحدث عن حضارة العصر فهو يقبلها كاملة ، ونقول للدكتور زكى أن هذه المعادلة لم تعد مطروحة اليوم ، وكان يقول بها البسطاء من المفكرين المسلمين قبل خمسين سنة عندما لم يكونوا قد اكتشفوا المؤامرة اتى تبحث عن العبارات الساذجة ، كذلك لم يمد هناك هذا التقسيم الذى يتحدث عنه جماعة يسدون الأبواب فى وجه الثقافة الأوربية وجماعة يدعون إلى إمتصاص الثقافة الأوربية ، بل أن هناك إجماع على شىء واحد : هو عرض التراث والوافد جميعاً على قاعدة : [بناء الأساس الإسلامية] القائمة على الإسلام منهم حياة ونظام مجتمع وماذا يقصد زكى نجيب محمود حين يقول (الرأى نأخذه من غيرنا ، فمن أنباع لأصحاب آراء مستقلة) من هم غيرنا ، هل هو القرآن والسنة ، أم هم العرب الذين نزل عليهم ، الحقيقة أننا نؤمن بمنهج ربانى له أسسه وقوانينه وحدوده وعروابطه ولا يكون هالك حين أخذ من الاسلام الرأى أى إلتناقص لوجودنا وكياننا لأننا لا نؤمن بأن لا كيان لنا بدونه وهى عبارة يلو كها التغريبيون ليخذعون بها بعض البسطاء الذين يتحمسون للتبعية ، أى تبعية : هل التبعية للإسلام خير أم للغرب الملحد المادى الوثنى الذى يستخدم هذه الأفلام وتلك الصحف المفتوحة أمام ثرثرتهم التى أصبحت غثّة وتافهة - ومن أخطائه : قوله أن المسلمين استخدموا منطق أرسطو فى فهم الإسلام وهذا الخطأ جرى تصحيحه منذ وقت بعيد ، وقد أعلن علماء المسلمين أن للقرآن منطقاً (وليقرأ إن شاء ابن تيمية فى منتهى القرآن لا منطق أرسطو) وهو يغض من شأن إبداع المسلمين وأصالتهم فى تقديم منهج التجريب ومنهج المعرفة ذى الجناحين من أجل أن يربط ولاه كاذبا مع المدرسة اليونانية بولاء متجدد يراد به مع المدرسة الغربية .

وأخطر تمويهاته هي أنه يتكلم عن العلم وهو يقصد الفلسفة كما فعل طه حسين من قبل، إن كل ما يتكلم عنه زكي نجيب محمود لا يدخل في باب العلم، إن العلم لم ينحرف عن الإيمان بالله ولا يطالبنا بالتبعية ودعوته (الوضعية المنطقية) تدور في حلقها الموصدة عليه حياته كلها وقد تجاوزتها الفلسفات والأحداث في الغرب ولكنه ما زال مصرّاً عليها وهي عنده (إنكار الغيب) على نحو ما كتب في (غراهه الميتافيزيقا) ويقوم على الواقع التجريبي المحسوس وإنكار ما سواه، والإيمان بالجبر الذاتي والاحتكام الصارم إلى العقل (صنيع اظن وما تهوى الأنفس).

والوضعية المنطقية منهج مؤداه أن يستخدم العقل وحده وهو مذهب يريد أن يفسر السكون ويفسر الإنسان مع إنكار ما وراء الطبيعة، وإذا شاء أن يتحدث عن الله تبارك وتعالى كان عباراته هي عبارات أصحاب وحدة الوجود والمول.

وهو يتناقض مع نفسه في رأيه في التراث فيقول: أن الصبغة إلى الشريعة الإسلامية رجعية، فالعلمانيين الذين لا يؤمنون بالغيب يجددون، والمؤمنين الذين يصلون الماضي بالحاضر رجعيين، فالعودة إلى المنابع رجعية والتقدمية هي الانسلاخ من القيم الخلقية وهذه مفاهيم معكوسة.

* * *

٦ وفي جملة الأمر نجد العناصر التالية في فكر زكي نجيب محمود:

١ أولاً: التبعية للفكر الغربي ومحاولة إحتواء المسلمين في إطاره لقبول فكر الغرب لا المدنية والصناعة.

٢ ثانياً: إحياء التراث الذي كتبته الباطنية والشعوبية.

ثالثاً: إعتقاد (الوضعية المنطقية) التي هي فلسفة الرأسمالية التي تبرر سيطرتهم على الشعوب

٣ رابعاً: تقديس العقل بما يعارض مفهوم الإسلام الجامع بين العقل والقلب، والروح والمادة.

إن قضية سلطان العقل قضية مضللة وقد رفضها الإسلام من المعتزلة قديماً.

خامساً: الجمع بين التراث والمعاصرة، تراث ينتقي، وفكر غربي يؤخذ كله.

سادساً : السخرية من الشريعة الإسلامية واعتبار عقوبة قطع اليد أمراً وحشياً يهدد كرامة الأديمين مع عدم فهم الحقيقة من وراء ذلك وهى : الحيلولة دون وقوع جريمة السرقة .

سابعاً : مهاجمة حجاب المرأة المسلمة .

ثامناً : الإصرار على فكرة إنكار الغيب (خرافة الميتافيزيقا) .

تاسعاً : تعلقه بأهـداب طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزى وجميع الملاحدة وإعتبار نفسه إمتداداً لهم .

عاشراً : مفهومه الدينى هو مفهوم وحدة الوجود الذى يؤمن به ميخائيل نعيمة .
والذى يختلف عن مفهوم الإسلام الحق .

لم يكن الدكتور زكي نجيب محمود معروفاً في الأوساط الفكرية إلا بأنه
 استاذ فلسفه في الجامعة، يعتنق مذهب [الوضعية المنطقية] وهى النظرية المادية التى
 حمل لوائها فى الفكر العربى اوجست كورنت وكان معروفاً أن كل واحد من أساتذة
 الفلسفة يعتنق مذهباً ما ، فكان عبد الرحمن بدوى يعتنق مذهب الوجودية ،
 وفؤاد زكريا يعتنق مذهب المادة التاريخية وهكذا ولكننا لم نلتك بعد وفاة
 الدكتور طه حسين إلا قليلاً حتى طلع علينا الدكتور زكى بمقولة جديدة :
 أنه كان غافلاً عن التراث (ويسميه العربى ولبس الإسلامى) ولكنه تنبه إليه
 أخيراً فدهش لأنه قضى العمر الطويل دون أن يعرف عنه شيئاً فلما أخذ فى
 مطالعته دهش له . ومن ثم بدأت صلاته بالفكر الإسلامى وهناك أطلق نظريته
 الانتقائية التى يرى فيها أن دعاة الباطنية والحلول والاتحاد وغيرهم هم أصحاب الفكر
 الحر وكان من رأيه أن علينا أن نأخذ من التراث ما نراه مناسباً لعصرنا ونرد
 ما لا نراه مناسباً ، وكان كل مفاهيمه يصدر عن النظرية المادية الغربية التى نشأ
 عليها وتربى فى أحضانها واتى أصدر من خلالها كتابه « خرافة الميتافيزيقا » أى
 خرافة الغيب وهو كتاب لم يرجع عنه ولم يعلن فيما بعد أنه قد غير رأيه فيه .
 ولم تكن نظريته متقبلة فى دوائر الفكر الإسلامى لأنه لم يكن يؤمن أساساً
 بأن الإسلام منهج حياة أو نظام مجتمع وكان موقفه من الألوهية والنبوة والوحى
 هامض ولم يكن مفهوم أهل السنة والجماعة .

وكانت بعض الجهات قد أعلنت أن الدكتور زكى نجيب محمود قد اختار
 ليعتد الدكتور طه حسين فى قيادة حركة التفكير والفكر الفائق ، ولكن كان
 على الدكتور أن يجعل كتاباته متوجهة فى نظر القراء وهذه تلك بعض التبريرات
 التى أخذت يتكلم من الدين وعن عقائد الإسلام من بعض المواقف التاريخية على
 قدر يسير به المنظارة الذين يستلزمون إلى القول بأن الكتاب المذكور قد أصبح

مسلمها وهي نفس الخطة التي اختارها التغريب للدكتور طه حسين بعد موافقه
الواضع ضد القرآن والاسلام حين أعلن عن كتابته (على هامش السيرة) .

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود يختلف اختلافاً واضحاً عن الدكتور طه
فهو لا يملك ذلك الأسلوب الموسيقي الرنان الذي يجذب القراء ، لأنه ليس أدبياً
وليست له حصيلة من القرآن والسنة أو قراءات التراث تؤهله ليكون في مصاف
الدعاة القادرين على اجتذاب الناس بأسلوبهم البليغ ، فضلاً عن ذلك فإن
الدكتور زكي نجيب محمود يحمل طابعاً من والحدة العنف ، والعناد ، لا يليق
بالدعاة إلى شيء ما ، فإن طبيعته الدعاة حتى إلى الغزو الفكري والتغريب أن تكون
لهم مرونة في الحديث وخفة في الخطو ، وإن لا يصدمو مشاعر الأمة ، وخاصة
عندما يجابه الواحد منهم بالرد الكاسح الغاضب لمخالفة الاعراف الاسلامية
أو تجاوزها لما يراه الناس حقاً ، وقد ظل الدكتور زكي نجيب تتمتع ، وقد فتحت
له أكبر الصحف صدرها ، ومنعت نشر أى رأى مخالف أو معارض أو مناقش له ،
وهذا ما لم يكن من طبيعة هذه الصحيفة في تاريخها كله ، لقد أفردت له أكبر
الصحف الصفحات واسعة ، يصول فيها ويجول ، بأسلوب جاف فلسفي ، وحوار مغرب
تضييق به الصدور ، وينصرف عنه الناس بعد سطور قليلة ، فكيف يمكن أن
يكون الدكتور زكي نجيب محمود عميداً للتغريب أو خليفة للدكتور طه حسين ،
ثم هو حين اصطدم به الناس في (قضية الحجاب) كشف عن قصوره التام عن
آداب دوره المرسوم ، وأنه كشف عجزه عن مسايرة الناس أو اقناعهم وسرعان
ما تعرى ذلك (القناع) الذي يلبسه فأذا هو كاتب عنيف جاف لا يصبر على القول
المرفوض والدنيا كلها من حوله تشيخ عنه ، وما هكذا عهدنا الدعاة ، وإننا
لنؤكد أن الدكتور زكي نجيب محمرد قد سقط في الامتحان وأنه عجز عن أن يحمل اواء
زعامة التغريب وعمادة الغزو الثقافي خلفاً للراحل طه حسين وأنه إذا كان يظن
من نفسه أنه زعيم فكر فما هو كذلك ، وما كان ذلك يوماً ، وما هكذا تساق
الأبل يأسعد ، وكيف برجل بهاجم تياراً قوياً كاحما ، سليماً صادقاً ، مرتبطلاً
بالقطر ، متصلاً بالايان ، كيف يمكن أن يصور هذا التيار على أنه تخلف وهل

بلغت المعالطة إلى هذا الحد، وهل يمكن أن ينتصر دعاة التغريب في معركة حاسمة كهذه في مواجهه قيم الأمة ودينها وأخلاقيها، ما هكذا يمكن أن تقاد حركة التغريب وما هكذا يمكن كسب الانصار بأغاطة الناس وإبراز مكنونات النفس الخفية المستلثة كراهيه الاسلام، والحقده على أهله، والرغبة في تدمير قيمه، وما كان صاحبكم كذلك بل كان يستطيع أن يخفي أحقادهم، حين يتحدث وكأنه من المؤمنين أم أن حركة التغريب قد غرت من أساليبها فانتقلت من إقناع الناس إلى إغاثتهم، ومن كسبهم، إلى سبهم، نحن نعلم أن حركة اليقظة الاسلاميه الآن تسير في طريق مختلف وأن أساليب التآمر على عقيدة الأمة لم تعد يخدع أحداً، ويخيل إلى أن دعاة التغريب يلقون بآخر سهامهم في رأس غريب وفي أحساس بالفشل ولكن أما كان يمكن أن يكونوا أكثر تجملاً، هلى كل حال، لقد كشفوا أنفسهم وخلعوا الثوب الخادع الذى كانوا يتسربلون به حتى يظن الناس أنهم من المصلحين ومن الناصحين المخلصين لهذه الأمة وبآن تمامها وبما لا يدع مجالاً للشك أنهم ظالمون لأنفسهم عاشون لأمتهم وأنهم يسرون ضد تيار التاريخ واليقظة والصحوه، وتلك نهايتهم مهما أفسحت لهم الصحف صفحاتها ومهما كان لأسماءهم شهره وللعان خادع لم يعد يخدع أحداً .

8
1
2
3

4
5
6
7

8
9
10
11

12

13

14

15

16

17
18
19
20

21
22
23
24

الفصل العاشر

توفيق الحكيم

[تبعية للفكر الوثني والمادى من الشباب إلى الشيخوخة]

منذ أن بدأ توفيق الحكيم كتاباته الأولى كان واضحاً أنه مغرب وأن أمانته للفكر الغربي أكبر من أمانته للفكر الإسلامي العربي وعندما كتب أكبر أعماله : أهل الكهف وسليمان الحكيم : اعتمد على التوراه مصدراً للقصة وبذلك جار على مفهوم الإسلام الذي قدمه القرآن الكريم وهو في مختلف القضايا الكبرى المنارة يأخذ جانب الغرب [رأيه في العرب ، الفن للفن ، لا يوجد اليوم شرق ، القبة] وهو الذي عاش في كنف النفوذ الاستبدادي مؤيداً ومسانداً حتى إذا تغير الوضع أعلن موقفاً جديداً ثم هو الموالي لكل تيار : الاشتراكية ، الوجودية ، اللامعقول ، الفرعونية ، اليونانية ، وفي القصة انتقل من الواقعية إلى الرمزية ، إلى اللامعقول وفي آخر حديث له قال : إن كل أعمالى التى تعبت العصر فيها لا قيمة لها ، ضيعت حياتى فى كتب كان يخيل لى أن لها قيمة ، ربما كانت لها قيمة فى الثلاثينيات والأربعينيات ولكن بعد الخمسينات لا أظن .

ولم يكن توفيق الحكيم إلا ناقل فكر غربى من مختلف مدارس المسرح والقصة وكان للمسرح والقصة اليونانية والغربية جزءاً فى مطالع المرحلة ولكن ثقافة الأمة وذوقها قد تحول ، وبدأت أشياء جديدة تأسر العواطف والمشاعر .

أما موقفه من العرب ، هذا الموقف الكاره الذى يقوم على إنتقاص الأمة التى أختيرت لحمل رسالة الإسلام ، بعد أن تهاوت أمانة الرسالة لدى أمم أخرى ، فهو موقف مبنى من الأمم الحاقدة التى لها ولاء خلف الإغريق والوثنيات ، يقول توفيق الحكيم : فى مسرحية (شهر زاد) صدى الأفكار الكثيرة التى دوت فى ذهنى أثر إتصالى بالفلسفة الأوربية . كانت الفلسفة الأوربية فى ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا الكون وإن الله (جل وعلا عما يقولون عوا كبيراً) قد مات كما قال نيتشه وأن المتحكم فى مصائر البشرية هو الإنسان وحده بهرته

المطلقة ، ولذلك كانت موجه الاتحاد وإنكار الدين تغمر المحيط الثقافي الأوربي عندما دهمت إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد صدم هذه العقلية الشرقية المتدنية التي أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتضادة متنفساً لها في مسرحية شهر زاد .

وتوفيق الحكيم الذي يعترف بأوليياته ومصادره على هذا النحو هل استطاع أن يتحرر منها بأن يعود إلى أصالته أم أنه مضى منطلقاً في هذا الطريق الذي شقه ومن قبله العلمانيون التغريبيون أمثال طه حسين ، ومحمود عزمي ، ..

الواقع إن توفيق الحكيم لم يغير طريقه وإنما مضى فيه إلى أبعد الحدود حين وصل إلى الحوار مع الله في السنوات الأخيرة والسخرية من ملائكة الله ومن ملك الموت على وجه الخصوص في عديد من كتاباته وأحاديثه .

أما وقائع حياته فهي تكشف عن تبعية واضحة للفكر الغربي فهو من أوائل الدعاة إلى القبحة الأوربية وإتخاذ الحضارة الغربية منطلقاً للعرب والمسلمين وهو الداعي إلى الاقليمية المصرية ذات الطابع الفرعوني الكاره للعرب والمسلمين وهو صاحبة التبعية للنسق الغربي في الأدب والولاء للصهيونية العالمية والتلودية ، وقد تساقطت دعاواه ومذاهبه ومنطقاته على مدى الأيام حتى أعلن ذلك صراحة في السنوات الأخيرة ، ولكن المرحلة الجديدة من أحوال مصر والبلاد العربية جددت فيه الأمل مرة أخرى إلى التشكيك وإثارة البلبلة واقتحام مجالات لا يحسنها ، وعرفت عنه تقلباته المتوالية ، فبعد أن نعم بالعصر الناصري ، عاد فأعلن هجومه عليه ، ثم فعل كذلك مع السادات .

وقد وصف توفيق الحكيم في هذا المجال بالانتهازية ، وقيل له دل نسيت ماقبلته مدحا في عهد الناصر وعهده فلما رلى حاجته هجوما مريراً في كتابه (عودة الوعي) وخلص إلى نتيجة مؤاذاها أن هذا العهد قد جر الخراب على مصر وعمم الأروهاب ولمعتذر لنفسه بأن كان فاقد الوعي لا يدري ما كان يحدث ويجري .

يقول أحد المعاقين : ولعل التربية غير السوية لم تعكست على أفكاره وتصرفاته وأسلوب حياته فقد فشل في تربية ولده الوحيد كما أنه فشل في أن يكون نموذجا للأب الصالح الذي يحتر به الولد ، هذا إلى جانب فشله كأب في أن يتمتع به مع أن الأبناء من متع الحياة الدنيا ، وزينتها ، أقدم مات ولده مخوراً ، قتلتته الخمر تحت سمع بصر والده المفكر الذي تطاول إلى الحديث مع الله ، وقد جاء في ذلك في إعتراقاته التي رواها محررة مجلة صباح الخير .

ويعدون توفيق الحكيم الأب الروحي لمدرسة الأهرام التي أنشأها هيكل : (حسين فوزي ، وزكي نجيب محمود ، ونجيب محفوظ ، وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ، وعبد الرحمن الشراوى) وهي مدرسة موالية للتغريب والمادية والفكر الإباحي المنحرف ، كل على حسب وجهته والتي تمثل ظاهرة "عابانية" التي تروج لها وتجعل من صحيفة الأهرام ميدانها والتي تحتوى فيها بنفوذ خطير ، يجعل من شأن هؤلاء الكتاب طرح تصوراتهم دون أن تسمح بمناقشتهم أو الرد عليهم .

ولقد كانت أكبر خطاياه ذلك الحوار الذي أجراه وأدخل فيه كلاماً على لسان الله تبارك وتعالى يجترأ على هذا الجانب ، فأنحأ الطريق إلى وجهه خطيرة لم يسبق أن جرؤ كاتب مهما بلغت درجته في التغريب إلى الوصول إليها وعندها ذهب له العلماء يناقشونه قال في صلف غريب : إنه مازال مصرًا على ما كل غير مقتنع بأنه أخطأ وقال بالنص : إنى لم أرتكب خطأ لأن كلامى مع الله كان صريحاً وليسكن الأسلوب ما يكون ولكنى لن أغير كلمة واحدة منه وقد جاء في مقالاته تجاوزات خطيرة :

أولاً : الاجترأ على مقام الله تعالى حيث لا يجوز لمسلم أن يتخيل حديث مع الله فهذا إجترأ على مقامه .

ثانياً : التشكيك في عصمة النبي ﷺ .

ثالثاً : قوله إن الأديان نسبية ودعوته إلى التسوية بين الأديان السماوية .

رابعا : الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة .

خامسا : إدعائه أن العلماء التجريبيون غير المسلمين يدخلون الجنة .

سادسا : مهاجمته للغة العربية ودعواه أنه لا تنفع بها وأن عصرها قد انتهى .

كشف توفيق الحكيم عن نفسه في كتاب (زهرة العمر) فقال :

لأنى أعيش فى الظاهر كما يعيش الناس فى هذه البلاد ، أما فى الباطن فما زالت

لى آلهى وعقائدى ومثلى العليا ، كل آلامى مرجعها هذا التناقض فى حياتى الظاهرة
وحياتى الباطنة (١٩٤٣) .

والحقيقة أن مراجعات الحوار مع توفيق الحكيم التى أجراها العلماء عام ١٩٨٣ ،
وبعد أربعين سنة تحتاج إلى هذا النص حتى يمكن تفسيرها وتوضيحها .

وإذا كان توفيق الحكيم يعجزه أن يواجه بأخطائه بما لم يحدث لطفه حسين
وغيره فإن عليه أن يعلم أن هذا ليس نفوذ علماء الإسلام بل هو طبيعة الصحو
الإسلامية فقد مضى العهد الذى كان التجريبيون يخوضون فى الأمور ما ليس من
حقهم ثم لا يجدون من يواجههم ويكسر منطقهم الباطل ، وقولته (إن علماء
الدين يريدون أن يكونوا لهم وحدهم حق تشكيل عقلية الأمة على أساس العلم
الدينى الذى درسوه فى الكتب المعتمدة وطبقا للنصوص التى قرأوها وأقروها
وحدهم دون أن يقبلوا تطورا فى أصولها أو أى شىء من المعارف التى تصل إلى
تفكيرهم بالحياة على النحو الذى يعيش عليه الجزويت) .

إن هذا النص يوحى بأن توفيق الحكيم لم يستطيع خلال أكثر من أربعين
سنة أن ينظر إلى اليقظة الإسلامية وما زال غارقا فى بحيرة الجزويت ومفاهيم
المسيحية الغربية ، ونحن نقول له : أن المواجهة التى يلقاها ليست مواجهة علماء
الدين ولكنها هى تصحيح لمفهوم الإسلام الأصيل الذى هو وحده الذى يشكل
عقلية الأمة وليس هو العلم الدينى بمفهوم اللاهوت الغربى ولكن بمفهوم العلم
الإسلامى الجامع المتكامل الذى يمثل حقيقة المنهج الصحيح للفكر والثقافة والذى

يوجه كل فكر وثني تغريبي مادي علماني يحاول أن يدخل ساحة الفكر الاسلامي متسللا على النحو الذي يقوم به توفيق الحكيم والتطور في الرسائل وليس منهج الاسلام الذي يجمع بين الثواب والمتغيرات والقابل للمتغيرات والتحويلات وليس مفهوم التطور الذي يطبقه توفيق الحكيم على الايدلوجيات والاديان البشرية .

من أخطائه في هذه الاحاديث : أنه ليس من حق أى إنسان أن يقول أنه يفهم الدين كما يشاء ، فقد تفهم الفلسفات والايديولوجيات ، أما الدين السماوى الاى فيجب أن يفهم كما فهمه محمد ﷺ ومن خيانة الامة أن يفسر أحد مبها بلغ من الثقافة العصرية أن يفسر الدين بعقله وأن أمور الدنيا يمكن أن تفكر فيها بالعقل ولكن الدين تفكر منه بعقاية عصر النبوة ، وأن القول بأن كل واحد ما دام قد تعلم وتنور وقرأ كتبها وصحفا فله أن يفهم الدين كما يشاء ، هذا قول مردود ، والدين لا يكون دينا إلا من مدرسه النبوة ، من التبع .

أما مسألة التخييل في الحوار فإن ذلك مخالف للقرآن والسنة والشريعة وكذلك خطأ في القول بنسبية الاديان وخاصة الدين الاسلامي بقوله أنه لا يشترط لدخول الجنة شهادة (إن لا إله إلا الله : محمد رسول الله) أما دعوى الاجتهاد فإنه لا اجتهاد مع النص ، بمعنى أنه إذا وجد الحكم فيها وإلا فإنه لا يصح إلا للعلماء المخصصين في الدين أن يجتهدوا ، وهو ما لا يصح له .

أما دعواه بأنه يعتمد على القرطبي، فإن الكتب فيها مسائل خلافية كذلك لا يؤخذ المعنى من هذه الكتب مبتورا أو يؤخذ من غير سياقه أو يقرأ على غير وجهه فإنه يأخذ ما يأخذ ويدع ما يدع وإذا كان لكل إنسان أن يفكر كما يشاء فإن ما يقدم للناس يجب أن يكون بعيدا عن ما يثير الشكوك والشبهات .

وعندما دعى إلى أن يعتذر إلى الله وأن يخرج من مقام الندبة لله أصر على ما كتب وقال أنه يعبر عن شعوره الداخلى ، إذا كان ما قال يعزى إلى تصوفه

فإن التصوف لا يمكن أن يكون خروجاً على الإسلام، أما حكمه على العلماء غير المسلمين بأنهم يدخلون الجنة لحكم باطل لأنهم ما لم يقولوا لا إله إلا الله فلا يدخلوها .

وقد كشف العلماء له أنه استخدم عبارات ضامضة ومجازات بعيدة من شأنها أن تشكك الناس في أمر دينهم ، وأن المناجاة لا بأس بها ولكن التأليف والتخيل على لسان الله تبارك وتعالى فإنه يدخل في تحت باب قوله تعالى :
(اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) لأن التأليف والتخيل غير حق .

وقال الشيخ الشعراوي : أنه نزع صفة كلام الله الأزلية ، وأعطاهما صفة البشرية الزائلة التي تنقض غداً أو بعد غد ، ولكنه قيد مراد الله تبارك وتعالى في إرادته هو فما يريد عقل توفيق الحكيم يقوله الله سبحانه وتعالى في مقالاته ، ذلك لأنك عندما تنقل كلاماً على لسان الله تبارك وتعالى فكأنك قيدت إرادة الخلق بإرادتك أنت أيها المخلوق .

أما عن دفاع الأدباء عن توفيق الحكيم فهو عن غير حجة تلزم من يقرأها ولكن عن عاطفة ، وعلى الذي تخافون على توفيق الحكيم الحى الآن أن يغاروا على توفيق الحكيم حين يلقى الله فيجنّبوه أهوال هذا اليوم بالنصيحة وبالْحكمة بدلاً من أن يزينوا له طريق لا يرضى الله سبحانه وتعالى .

وقال الشيخ الشعراوي : أما إدعائه بأن اللغة لا ينتفع بها وأن عصرها قد انتهى كيف يمكن أن ينقل العالم نتائج ما يحدث في معمله إلا باستخدام اللغة وكيف أن يمكن أن يقرأ أى إنسان ويستوعب ما ذات إلا باستخدام اللغة وكيف يمكن تراث البشرية كلها حضارة عن حضارة ، إلا باستخدام اللغة .

إن اللغة التي يسخر منها توفيق الحكيم هي الأساس لكل شيء وعلى آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، لتأخذ البشرية حضارتها جيلاً بعد جيل وترتق وتقدم

ومن المستحيل على البشرية كلها أن يرث جيل الجيل الذي قبله في عالم إلا باللغة .
أما نسبية الأديان ويقول الشيخ الشعراوي : لا يمكن لأى إنسان أن يدعى أن الدين الخالص لله له حكم مع واحد وحكم مع آخر فالأحكام على كل خلق الله بلا تفرقة ، فالأديان كلها من الله وكيف تكون الأديان من الله سبحانه وتعالى ثم تنطبق عليها النسبية وهى شىء متغير ، هل النسبة بالنسبة للمصدر أم أن الله سبحانه وتعالى هو وحده مصدر كل هذا ، لا أعتقد أن هناك ديناً قد جاء من السماء يقول لا إله إلا الله وديننا آخر يقول غير ذلك فالدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى لم تتغير من بدأ البشرية وإلى نهايتها فلا يوجد حكاية يتناقض بالنسبة للشىء الواحد حتى يمكن أن نقول أنها نسبية ونسبية الأديان اتى يقول بها توفيق الحكيم مناها إن الله متغير والله سبحانه وتعالى ثابت لا يتغير والعقيدة لم تتغير منذ آدم حتى الآن ولا يوجد أى تناقض أو تقابل والعقيدة فى كل الأديان سواء وكل نبى جاء بدين يؤكد ما قبله ولا يلغى ما قبله بل يضيف إليه .
ويصحح محارفته البشرية أرضاء لاهوائهم .

* * *

ومن يطالع المحاورات التى دارت بين توفيق الحكيم وعلماء الإسلام يحس بأنه مراوغ كبير ، وفيه خبث شديد ، وفيه سذاجة فى الفهم إلا من كلمات ملقته يرددما ، وهو بالطبع قد رحب بنشر هذه الأحاديث عملاً بنصيحة المبشرين ، أن يردد كلمات مسعومة فى وسط الأحاديث من شأنها أن تثير الشبهات فى نفوس الذين يقرأونها وكل الخيوط التى تجمعها هذه الأحاديث توحى بسخرية شديدة بالوقائع فضلاً عن استشهاده بالأحاديث التى لم تثبت ومحاولة القول بأن هذه الأحاديث نشرتها الأهرام من غير إذنه وقد تحدث كثيرون عن الربط بين نشر هذه الأحاديث وبين إسلام جارودى ، وحضوره فى مهرجان الأزهر والأهمور فى نظر توفيق الحكيم محددة بالحدود المادية الصرفة ، وبالعصر الحالى وحده ، فهو ليس بقادر على أن يستشرف الآفاق التاريخية أو المقبلة بالرغم من دعواه بأنه

قصاص متخيل ، وتوحي أحاديثه بأنه يعيش مرحلة اليأس المنسكفي على النفس
وقد ذهب كل ما قدمه ، كحصاد الهشيم ، دون أن يبقى منه شيء ، وأن الفكر
الإسلامي في الصحوة القائمة قد بدد كل نظرياته التي قدمها عن الفن للفن وحرية
الكاتب والقصاص في أنه يقول كل شيء دون تقدير لمفهوم الإسلام بتقديم
الأخلاق على الجمالي ، وبأن للفن في عالم الإسلام وجهة تختلف ، وكأنما يرى
توفيق الحكيم إزاء الصحوة الإسلامية وهو يحش بالكمسند والكرامية .
ولا ريب أن قصوره على الفن في ثقافة يجعله عاجزا عن استيعاب النظرة الشاملة
الكلمية للفاهيم الإسلامية ، ويجعل رأيه ساقطا في مجال التوجيه والتجربة لأنه
عاش حياة المسرح وهو أب المسرح الحديث الفاسد على حد تمييز تلاميذه ،
ولقد كان المسرح في الأفق الإسلامي لقيطا فاسداً أحضره اليهودي « يعقوب
صنوع وغذته الصهيونية والماركسية التي اعتبرته بديلا عن الكنيسة والمعبد
ومن ذلك دعواه إلى معارضة ادخال الدين في المدارس كإداة أساسية بحجة
أن المسؤولين عن التعليم لا يجتارون في المقرر الديني إلا أصعب الآيات
الغثة ومضعونا .

ولا ريب أن نظرة « الإيمان بالفن ، تمثل التبعية الكبرى للفن الغربي
الوثني الأغريق الضال المتجدد في دوائر الاستقوال وغيرها وقصوره على الفن
يجعله محدود الفكر ويجعل رأيه في مجال المجتمع والمقائد والشباب جزئي
غير مكمل .

أما وصف الصحف له بالعلاق والشموخ ، وعمق الفكر والزيادة فهذه
كلها كلمات لا تساوي ثمن الجبر الذي كتمت به ، فهو مغرب ، غريب على
الفكر الإسلامي ، متداخل فيما لا يحسنه ، عاجز عن الإحالة . ولو أن الصحيفة
التي يكتب فيها فتحت الباب أمام الذين يراجعون له لا يكشف زيفه واسمعات
تلك الهالات الكاذبة التي يسيغها عليه دعاة التغريب) .

ولا يزال توفيق الحكيم يكرر علينا أن أوربا هي العقل وبلادنا هي النفس

(في مصر الروح والنفس وفي اليونان المادة والعقل) وهو في هذا لا يمدحنا بقدر ما يهجوننا فنحن في القسم الذي ليس فيه العقل ، وهذه ظلاله كبرى أن نوضع في جانب من لا يملكون العقل والحقيقة أننا نملك العقل والروح معا ، وبذلك تتكامل نظرنا بينما تبقى نظرة الغرب ناقصة لأنها قائمة على المادة التي تتصل بالمحسوس في مفهوم العقلانية عندهم ، وعجيب أن نضل توفيق الحكيم وهو في عقد الثمانين مهوراً بالعقل الأوربي مجداله ، عاجزا عن استيعاب عظمة الفكر الإسلامي وأن أعظم ما يتميز به العقل الأوربي وهو القدرة على التحليل وربط الأسباب بالنتائج ، ومعرفة تتابع الأشياء : هذه الرؤية إسلامية الأساس والمصدر ، منقولة من عالم الإسلام إلى الغرب في الحقيقة .

ومن ذلك قوله [أن مصر لم تنجب بعد جيل الثلاثينات] يقصد نفسه وجماعة العلمانيين طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمي وهم الذين يوصفون بأنهم جيل التنوير باعتبار ما من جيل التنوير الغربي الذي لم يكن إلا من التلموديين أولياء المحافل المساوئية ، وهذا تصوير صحيح ولكن توفيق الحكيم لا يرى جيل اليقظة الإسلامية النامي يتصدى للتخريب والغزو الثقافي والذي صحيح المفاهيم وأعاد الذكره إلى الأصالة والمنابع ، وهو الجيل الذي صنع ما يسمى اليوم (الصحوة الإسلامية) .

وحين يهاجم توفيق الحكيم (العقلية العربية) فإنما يخفي في نفسه المصداق والخصومة للقرآن والإسلام لأنه شيئا لم يكون العقلية العربية غيرهما ، والقرآن هو الذي صاغ هذه العقلية التي هي في الحقيقة عقلية إسلامية أساسا ، أما ما يحاول أن يوجهه إلى هذه العقلية من إتهامات فهي ليست تتعلق بالمنهج الرباني وإنما تتعلق بالتطبيق البشري ، ولقد حاول توفيق الحكيم الغض من شأن الإسلام بالحديث عن بعض عيوب التطبيق الإسلامي وإثارة الشبهات حول بعض الخلفاء

والمجتمعات وهذا كله باطل لأن الإسلام المنهج هو وحده الأساس الصحيح أما الخطأ في التطبيق فهي مسؤولية الأجيال والمجتمعات .

ولقد شهد توفيق الحكيم على نفسه في حديثه عن مسرحية شهر زاد إنه عندما بدأ تأليف قصصه كان وافيا تحت تأثير الفكرة الغربية المألوفة .

يقول « في مسرحية شهر زاد صدى الأفكار الكثيرة التي دوت في ذهني أثر إتصالي بالفلسفة الأوروبية ، كانت الفلسفة الأوروبية في ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا الكون وأن الله (جل وعلا عما يقولون علوا كبيرا) قدمات كما يقول نيتشه وأن المتحكم في مصائر البشرية هو الإنسان وحده بحريته المطلقة ، ولذلك كانت موجة الإلحاد وإنكار الدين تغمر المحيط الثقافي الأوروبي عندما ذهب إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد صدم هذا العقلية الشرقية المتدنية التي أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتضادة متنفسا لها في مسرحية شهر زاد ، فمسرحية شهر زاد ، هي رد فعل ما كانت عليه أوروبا في ذلك الوقت على قلق نفسي من إنكار الدين وإيمان بالعلم الذي يصل إلى الدرجة التي يحل فيها محل الدين » .

ونحن نقول لتوفيق الحكيم : أما كان عليه أن يتطور مع الفكر الأوروبي نفسه ، الذي تحول كثيرا الآن ، وقد كان معه على نفس الخط كثيرون منهم جارودي وبوكاي الذين تحولوا سريعا واكتشفا عظمة الإسلام ، أما كان هو الآخر بذلك وهو المسلم العربي ، أم أن هناك ما حال دون ذلك ، ربما عناد نفسي ، وصل به أخيرا إلى الحديث عن « إسلام العجائز » ، أم أن هناك إصرار على هذا الموقف الذي يجعل الخصومة والكراهية لا شرف دين . . . لقد تبين لتوفيق الحكيم أخيراً أنه لم يكن أكثر من ناقل لكل رماد الفكر الغربي ، وركام الزيف فيه عن تلك الأعمال المسرحية التي وصفت بالخلود والتي عبر عنها هو تعبيراً صحيحاً حين قال :

وإن كل أعمال التي تعبت العمر فيها لا قيمة لها فقد ضيعت حياتي فيما كان
يخيل لي أن له قيمة ، وقد أحسن بإنصراف الناس عنها وغلبة الأصالة عليها ،
الأصالة التي كشفت زيف روائع الفكر الغربي التي طالما أشادوا بها فإذا هي ركم
ورماد ، وقد تبين إنما هي في حقيقةها أهواء النفوس الملية بالشهوات والجنس
والغرور في بحيرة راكدة آسنة غرق فيها توفيق الحكيم وما زال غارقا .

ولستطيع أن أقول أن توفيق الحكيم المعبود من القسم الفواح قد سقط
سقوطا شنيعا في المجالات الآتية :

أولا : اعتماده على الأساطير في جميع قصصه واعتماده على الأحاديث الموضوعة
في أغلب كتاباته .

ثانيا : فكرته المشوشة عن الأديان وخاصة عن الإسلام .

ثالثا : تأثره بالفكر الوثني والفرعوني فقد اعتمد في قصة (أهل الكهف)
على نظرية فرعونية وكان لفكرته المشوشة عن الإسلام أثرا جعله يخطئ بين مصر
القديمة والأديان بصفه عامة ، فالمسلم يؤمن بأن هناك انقطاعا بفصل ما بينه وبين
التصورات الوثنية والوضعية ، كما أنه يؤمن بأن الإسلام هو دين عمدة من لدن
آدم حتى محمد عليه الصلاة والسلام يضع التصور المتكامل لعلاقة الإنسان بربه
ونفسه والآخرين ويرسم له منهاج الحياة ويحدد معالم المستقبل في الآخرة -

وعن أهل الكهف يقول : إنه كان تحت تأثير مصر القديمة (لقد
قرأت كتاب المولى والتوراه والاناجيل الأربعة والقرآن) بينما اسم المسرحية
(أهل الكهف) توحي بأن معالمتها ستكون من خلال منظور إسلامي ولكنها
جاءت مشوشة الفكر والمنهج .

أما (عردة الروح) فهي أيضا تحمل فكرة فرعونية قديمة (الكل في واحد) أي أن الوجدان الجمعي والشعبي ينمحي في زعيم واحد أو فرعون واحد. (طلى القاعود) رابعا : الترويج لنظرية الفكر الصوري المنحرف (نظرية وحدة الوجود) وما في الجبة إلا الله ، كما حاول أن يسقط إسقاطات علانية والحادية روح لها الفكر الوافد منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري إنطلاقا من المفاهيم الكنسية التي لا تتطابق بحال مع فكرنا الاسلامي .

خامسا : ناقش الله تبارك وتعالى في أمر الأديان السماوية ونسب أو تناسي أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل ، وعارض الله تبارك وتعالى في أمر العقل وأجاز تداول الكتب السماوية بعد التعديل والتصحيح وهذا جيل بمحضقة الرسالات السماوية من جهة ومحاولة للدس على نقص كلام الله من جهة ثانية .

سادسا : رأى أن الإيمان الحقيقي إنما هو عند الغلباء الطبيعيين فلا عبرة عنده بالعقيدة ولا التوحيد ولا العمل ، وهذه قضايا خطيرة مؤداها الطعن في معظم التراث الاسلامي ، — أن لم يكن كله — القائم على أعمدة التوحيد والعمل فضلا عن الترويج للفكر العلواني القائم على الاعتراف بالحقائق العلمية وحدها مجردة من كل اتصال بالأديان .

سابعا : أساء الأدب إساءة بالغة عن ما خرج على مقتضى العرف الايماني والأدبي السائد بين المؤمنين وبين خالقهم .

ثامنا : قصر الايمان على المعرفة أو هو ألغى التلفظ بمنطوق الشهادة فهو عنده إيمان تعبدي لفظي لا معنى له ، وهذا ولا شك مذهب طائفة من الفلاسفة والمتكلمين المنحرفين ونسب أن الاقرار باللسان شرط عند أهل الحق .

تاسعا : خدول لنفسه أن يتكلم بإسم الله (قبل على اساني ما تشاء على

مستوليتك ، هذا منتهى العبث والاستهتار مما يشعرون أن الرجل كان في حالة غير طبيعية أثناء كتابته هذه الشطحات إذ كيف يتجرأ أن يروي كلاما مذكوبا على الله .

عاشرا : أنكر رؤية الله يوم القيامة وهي ثابتة وتجاوز حدود البشرية بوصفه كلاما مختزعا منسوباً إلى الذات العلمية هذا فضلا عن إفتراءه وكذبه .

1. The first part of the paper is devoted to a discussion of the

main results of the paper.

2. The second part of the paper

is devoted to a discussion of the

main results of the paper.

1. The first part of the paper is devoted to a discussion of the

main results of the paper.

الفصل الحادي عشر

عبد الرحمن الشرقاوي

(١)

مخططات تكشف أهدافها ولم تعد تخدع أحداً

كانت السكتابات المضللة المماكرة في العقود الماضية تمر دون أن تستوقف النظر أو ربما استطاعت خداع مجموعات من القراء المسلمين الذين لم يصلوا إلى قدر كبير من معرفة أبعاد عقيدتهم ومسئولياتها الواسعة في مجالات الاجتماع والتاريخ والحضارة وهم هنا عدت على عقول الناس وقلوبهم كتابات طه حسين عن هامش الصيرة وعن الفتنة الكبرى بكل ما فيها من سموم ، وظن البعض أن هذا الذي يقرأون من صفحات الإسلام المكتوبة بأسلوب أدبي أو قصصي ، وتوقف أمامها القليلون كاشفين عما وراء ذلك من أهداف وأهواء ورغبات في - تزيف - التفسير الإسلامي للتاريخ .

ولقد تبين من بعد أن هناك مؤتمرات غربية عديدة عقدت في الجامعات الغربية واتخذت عدة قرارات من أجل تزيف تاريخ الصحابة وركزت كثيراً على قضايا معينة ، مثل قضية الخلاف الذي نشأ في أواخر عهد سيدنا عثمان وقضية في الدولة الإسلامية ، وقضية الرنج والقراءة والإدعاء بأنها انتفاضات إسلامية ، كل هذا درس بدقة في مؤتمرات بلتيمور وجامعات بريستون وغيرها وقدمت للباحثين القادمين من بلاد الإسلام المادة جاهزة ليضعوها في أطروحاتهم من أجل إفساد التاريخ الإسلامي وتزييفه وكان لجهات أخرى لها ولاء مع الفكر الماركسي من ناحية والفكر الباطني والنوصي والمجوسي القديم من أولئك الذين يكتبون عن فلسفات وحدة الوجود والحلول والاتحاد وينكرون فضل الأئمة أبي بكر وعمر وسابقتها وأولياتها دور كبير في ظهور هذه الصيحات التي لا تكاد تستعلن حتى تجد مواجهة صادقة تكشف زيفها وتقف لها بالمرصاد .

ولعله من اللافت للنظر أن سبعة عشر مقالا نشرها الدكتور لويس عوض في صحيفة تصدر في فرنسا ووجهت بمائة وخمسين مقالا في الرد عليها وتزييفها

والكشف عن فساد وجهتها في مختلف مجالات العالم الإسلامي من المغرب إلى الهند في حدود ما طالعنا وربما تجاوزتها إلى مناطق أخرى .

جمال الدين الأفغانى المفتى عليه

ذلك أن السيد جمال الدين الأفغانى كان ولا يزال في نظر المؤمنين بمنهضة المسلمين والصحوه الإسلامية اليوم رمزا بارزا من رموزها وقائدا من قادتها ولا يقبلون أن يضحون به إزاء تقارير أوردتها المخابرات البريطانية عنه تاتقصه وتحاول النيل منه ونحن نعرف أن جمال الدين الأفغانى كان له هدف طالما أعلن عنه وكشف مضمونه وردده وهو قوله إن هدفه هو تنكيس علم بريطانيا في الشرق فكيف يمكن أن تكتسب عنه تقارير جواسيسها شيئا في صالحه ، وبالعكس من ذلك فإن كتابات المخابرات البريطانية العدو الشديد في ذلك الوقت - وفي كل وقت - للإسلام ومنهضة هي نباشير لوامع ودرر سواطع على صدر جمال الدين الأفغانى والمجاهدين منه ومهما حاول خصوم الإسلام والعروبة وأصدقاء الفرعونية والعلمانية أن يقللوا من قدره فلن يستطيعوا، ولقد يجيء في تاريخه العظيم هنة أو نقص ما ولكن من الذى لا يعرف النقص عن البشر وكل بنى آدم خطأ ولكن في النظرة العامة وفي الهدف الاكبر فإن الرجل قد أقتحم أفاق العالم الإسلامى وهن المسلمين هزة كبرى جاءت إستمدادا من دعوة محمد بن عبد الوهاب وأصابت المسلمين إلى حركة اليقظة وإلى الصحوه الإسلامية التى يمر بها العالم الإسلامى اليوم في مطالع القرن الخامس عشر ولقد باء لويس عوض بالخسران إزاء أكثر من خمسين كتابا من أعلام الفكر العربى والإسلامى كشفوا زيفه ورفعوا القناع عن هدفه المبيت :

ولكن لويس عوض إسم على جبينه فهو لا يزعم أحدا ولكن المزعج هو هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام وهم من أمته بالوراثه والجغرافيا ولقد رأيت كيف كبا توفيق الحكيم كبوته المكبرى حين ظن أنه يستطيع أن يحطم سندنا مقدسا في الفكر الإسلامى حين أراد أن يجعل من حقه إدارة حوار قصصى

مع الله تبارك وتعالى وهو يعلم أنه يحاول التخلص من ضوابط أساسية في الفكر الإسلامي تماماً كما كثيرون لأنها تتصل بالعقيدة في أعلى ذراها ، وكتاب الدكتور عبد العظيم المطعني (الحكيم في حديثه مع الله ومدرسة المتمردين على التشريعة) هو القول الفصل في هذه القضية فليقرأه من يشاء .

إقتراءات ضد الاسلام :

ولكن الذي يلتفت النظر أن تتوالى الاحداث هكذا في مهاجمة الاسلام فيكتب لويس عوض في (المصور) عن مضر العلمانية وعن مصر الفرعونية فيخوض أوحالا شديدة السواد والقنامة ولا يستطيع أن يصل إلى شيء ثم نجد تلك الصفحات التي وسعت بأسم (الإمام علي) في جريدة الأهرام والتي كتبها عبد الرحمن الشرقاوي وكيف جدد خصومته القديمة للإسلام تحت أسلوب براق من الانتماء للإسلام ، وغفل عن أن تاريخه لا يزال معروفاً ومذكوراً وأن كتابه (محمد رسول الحرية) وتقرير الإمام أبو زهره ما يزال بين أيدي الناس ، والأمانه التاريخية والمسئولية التاريخية فإن تقرير الإمام أبو زهره أول من حصل عليه الأستاذ محمد نعيم ونشرته الاعتصام ١٩٧٥

فإذا تجاوز قليلاً فرواية (الحسين شهيداً) قد دمغت أيضاً من جماعة من العلماء من بينهم الدكتور الطيب النجار بالظلم الشديد للمجتمع الاسلامي ، على الذي إقتري به طه حسين ، على العصر الثاني للهجرة في كتابه (حديث الأربعة) حين وصفه بأنه عصر شك ويجون وفيه جماعة التابعين والأعلام مثال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والحسن البصري ، وهو ما ذهب اليه عبد الرحمن الشرقاوي في رواية (الحسين شهيداً) الذي كشف عن أن كاتب الرواية كان حريصاً على تصوير المجتمع الاسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ بنصف قرن فقط في صورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تدالى وتهاوى و صار مجتمع عزبة ولجور ، ومجتمع شقاق ونفاق ، ومجتمع جبن وضعف ، ومجتمع خيانة ونكث للهود ، مع أن المجتمع كان لا يزال حايلاً بعدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ وفيه عدد ضخم من

التابعين لهم بإحسان ، وقد وسم علماء الأزهر المسرحية بأنها تشهر بجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم قدوة لنا ، وقد ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعن والتعريض والتشنيع بالحرمات كما صورت المسرحية العصر الأموي تصويرا يحاكي الحقيقة في بعض النواحي فوصفته بأنه عهد الانقطاع والاطماع وجردت الأمويين من كل خير وقدمت القصة شخصيات لم يعيشوا في مرحلتها التاريخية أمثال وحشى بن حرب الذى مات سنة ٢٥ هجرية في خلافة عثمان رضى الله عنه وهناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه ضحاي ومن كتاب الرسول ﷺ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلا من القرآن وزيف قاعدة الشوزى وأهدر أحكام السنة وتردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجبارى حيث تناولت لأشخاص عبارات الاتهام باللهو والتمتع بالجواري على سبيل التعريض والتهم كما تناولت في المسرحية عبارات مأخوذة من جوهر إسلامي كقوله (ماجئت لألقى سلاحا ، لأملا كل بيت بالحجة ، جئت لألقى موعظه الخ .

كتابات الشرقاوى:

فإذا أضفنا هذا التقرير إلى تقرير الشيخ أبو زهره حول كتاب (محمد رسول الحرية) أمكن أن تتكون لنا صورة ذات هدف واضح من كتابات عبد الرحمن الشرقاوى الذى قدم صلاح الدين الأيوبي في قصة (النسر الأحمر) في قالب غير كريم ومحاف لحقائق التاريخ فهو يحمل منها دعوة مباشرة وصريحة للاستسلام والصلح مع الغرب وطلب السلام الخادع الكاذب ، وما كان هكذا صلاح الدين يوما في حياته ولكنها محاولة لاستغلال النصوص التاريخية لاهواء النصر ولقد عاش صلاح الدين حتى آخر يوم من حياته مجاهدا مؤمنا يرفع راية الجهاد في سبيل الله ، وهكذا تعرايط أعمال عبد الرحمن الشرقاوى على طريق واحد وهدف واحد وهو يتابع مخطط طه حسين حول بشرية الرسول ﷺ وكان كتابه (محمد رسول الحرية) حلقة رابعة لكتاب (على هامش السيرة) كذلك فقد كان كتابه عن (علي) هو الحلقة الثالثة من كتاب (الفتنة الكبرى) لأنها نفس

الأفكار والدرية والغاية التي رسمها الاستشراق لإعادة كتابة التاريخ الاسلامي بمفاهيمه الباطنية والوثنية أعتادا على مصدر غير مصادر أهل السنة والجماعة ، وللترسيع في الاساطير والخيال القصصى والاعتماد على كتاب الاعانى ومتابعة خصوم الشيخين أبى بكر وعمر ، كل هذا لا يقدم عملا تاريخيا أو أدبيا له قيمة ذاتية .

أن درجة الوعي الاسلامى اليوم في فهم تيارات التخريب في تعريف التاريخ الاسلامى وتفريغها من طوابقه الحقيقية بوصفها مصدرا من مصادر اليقظة الاسلامية قد أصبحت عالية ودليل ذلك ما كتب في الرد على لويس عوض وما حصل الصحف من ردود على توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى ، نعتقد أن هذه الأقلام لا تستطيع أن تكسب ثقة تارىء واحد من الذين عرفوا خلفيات هذه التيارات ، ولعلهم هؤلاء جميعا أن خطط التخريب والفرو اتقافى قد كشفت تماما معها حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلعوا أوراقيهم ، أما الصحف فإن مسؤوليتها التاريخية كبيرة وفي إخفاء كلمة الحق في الرد على الباطل ، وما كانت هكذا تدار المساجلات الفكرية في الماضى حيث يسمح لكل صاحب رأى أن يدلى برأيه حتى تبلور النتائج وينكشف الرأى الصحيح للجماهير التى تحترم صحفها وثق بها ، إما أن تعجب الآراء كلها وويتبنى الرأى الواحد المصر على وجهة نظره فهذا ما لا يتفق مع أذن أصول الحوار الصحفى .

إنها محاولة لتحطيم الصحوة وللقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسعوم على الطريق الذى عبده المصلحون منذ ظهر الدين جمال الأفغانى إلى اليوم ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الاسلامى الذى رسمه لهم القرآن الكريم .

(٢)

كتاب (محمد رسول الحرية)

« تقرير الشيخ أبو زهرة »

أن المناقشة التي قام بها الشيخ أبو زهرة ركزت على السجوم الناقعة في الكتاب
قال :

لم يسلم الكتاب من الخطأ ، أو با بالآخرى كان له إتجاهه غير إسلامي من
البداية ، فهو ما دوس محمدا - ﷺ - على أنه رسول يوحى إليه ، بل على أنه
رجل عظيم له آراء اجتماعية فسررها الكتاب على هوى ما يريد ، مدعيا أنه هصاص
أديب يصوغ التاريخ في قالب قصصى فى

وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ﷺ ، ويهونون
من أمره ، فيزيل عنه ما يتوهمون ، وتبين أن له شأنًا ومقامًا في تفكيره ومنعاه ،
ولإذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه فهي في ذاتها تصوير حسن في الجملة
لغير المسلمين ، وفي هذا الحال فقط ، لكن يفسدها طمس الحقائق الكبرى
أو تجاهلها .

مقام النبي الرسول ﷺ :

أما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبي ﷺ ، عند الله ،
ومقام الرسالة الآلهية التي حملها النبي ﷺ ، والتي هي مصدر عليه ، فإنه لا فائدة
فيها من جهة ، وهي توهين للحقيدة الإسلامية من جهة ثانية ، ثم هي غير صادقة
من جهة ثالثة .

ولذا برر نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئ محمد ﷺ ،
فتشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة ومنفر للقلوب ومضعف للإيمان .

وأن أول ما يلحظه القارىء من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلا :
أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحي ، فكل ما كان من النبي ﷺ :
من مبادئ وجهاد في سبيل الله إنما هي عنده ، لا بوحى من الله تعالى ، وهي
فيه بمقتضى بشريته لا بمقتضى رسالته .

وأهل العنوان الذى اختاره للكتاب مع إردافه بعنوان آخر صغير أراد أن
يشير به إلى بشرية النبي ﷺ بمبتوته عن الوحي ، وهذا العنوان : قوله تعالى
معلمنا نبيه ﷺ ، إنما أنا بشر مثلكم ، فقد اختار هذه الجملة القرآنية ليعلن أن
ما وصل إليه النبي ﷺ من مبادئ جهاد لاجلها ، إنما هو صادر من بشرية
كاملة لا عن نبوة .

ولكى يتم له الاستشهاد ، إقطع الجملة إقطاعا عما قبلها وما بعدها ، فإن هذه
الجملة وردت في قصتين من نصوص القرآن الكريم أولهما : فى آخر سورة الكهف
وهو قول الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد
فمن كان يردو لقاء ربه فيعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وثانيهما : فى سورة فصلت وهو قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى
إلى إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستخفروه وويل للشركين » .

ونرى النص الذى اختاره شعارا لكتابه مقطوعا عما قبله وما بعده ، فما قبله
هو قوله تعالى مخاطبا النبي ﷺ بقوله « قل » وهو يصرح بمخاطب الله تعالى للنبي
ﷺ ، وما بعده هو قوله تعالى « يوحى إلى » ، قد أبعد ولم يأت به لانه
لا يتفق مع غرضه الذى يهدف إليه لانه يريد نفي الوحي عن الحياة المحمدية .

وإن القارىء ليسير قليلا فى الكتاب ، حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب السماوى
للسلطان ﷺ ، فلا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ فى العيان ، فهو يقول
فى أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه .

ولكن في تلك الليلة من رمضان ، أغفى قليلاً ثم نام ، فرأى من يعرض عليه كتاباً ويطلب منه أن يقرأ ، فقال ما أنا بقارىء ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ ، فسأله ماذا أقرأ فقال له : « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خالق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » : وعندما استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه في النوم ويستوضح حله فيما بينه وبين نفسه ، فإذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صموتا بعيدا يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل . (من ٦٨ ، ٦٩) .

وأن تصوير الوحى في هذا المقام أنه بالحلم في النوم ، يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل عليه السلام ، كان يخاطب النبي ﷺ بالبيان لا في المنام .

نعم قبل ذلك الخطاب بقوله - إقرأ - ونزول سورة القلم ، كان إرماص الوحى يحىء إليه فيما يحىء في رؤيا منامية حتى أنه كان يرى الرؤيا يحىء في الصحو مثل فلق الصبح ، كما صرح البخارى ، ولكن لم تكن تعتبر خطابا من السماء ، حتى نزول الوحى ومخاطبة جبريل الأمين الذى تردد ذكره في القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفهم من الانبياء لتبليغ الرسالة الالهية لأهل الارض .

وأنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول ﷺ ، ويقطع الوحى عنه ، ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحيانا منسوبة إلى النبي ﷺ ، على أنها من تفكيره ، ومن قوله ، لا أنها قرآن موحى به وقائله ، هو الله سبحانه وتعالى ، وأن ذلك لم يحدث في الكتاب بكثرة ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة .

(١) إنذار عشيرته الأقربين :

ذكر في صفحة ٨٠ ما نصه (رأى محمد أن يجمع أسرته من بنى عبد المطلب وأن يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشيرته الأقربين) وتراه يذكر ذلك على أنه رأى إراتاه ويغفل الأمر القرآنى الثابت وده وقوله تعالى :

[وأنذر عشيرتك الأفرينين ، وأخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين] ، فتراه في هذا الكلام الذي قاله ينسب كل ما يكون بوحي قدر آتى إلى أنه رأى رآه النبي ﷺ .

(٢) ثبت يدا أبي لهب :

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب - عم النبي ﷺ ، فيذكر الكتاب في ذلك ما نصه فاسمع يا أبا لهب اسمع إذن ، سمعت الرعد ، تبأ لك أنت ، تبأ لك سائر يومك وسائر حياتك ، ثبت يدا أبي لهب وتب (ص ٨٣) فتراه في هذا ينسب إلى النبي ﷺ قوله تعالى : ثبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسبه ، سيصل ناراً ذات لهب وإمرأته حمالة الحطب في جديدها حبل من مسد .

وبهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي ﷺ ، لا إلى الله سبحانه وتعالى ومثل ذلك جاء في (ص ٨٧) من الكتاب ، ففيها ما نصه : تبأ لها (أي لإمرأة أبي لهب) كما ثبت يدا أبي لهب وتب يدا أبي لهب وتب وإمرأته حمالة الحطب .

(٣) القتال في الشهر الحرام :

فيه ذكر استنكار المنكرين لأمر النبي ﷺ بأنه قاتل في الأشهر الحرم فيقول في صفحة ١٨٣ (لأنها لكبيرة أن يقتل عبد الله (أي ابن جحش) أحداً في الشهر الحرام ، ولكن الفتنة أكبر من القتل وصد الناس عن البيت المتيق وإخراج أهله منه أكبر) .

فيذكر هذا الكلام منسوباً إلى النبي ﷺ على أنه من عنده ، مع أنه في القرآن الكريم والله تعالى يقول : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

(٤) أسرى بدر :

إستشار النبي ﷺ بعد غزوة بدر أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم وأشار أبو بكر بالعفو، وتوسط النبي ﷺ فاختار أن يفتدوا من أهلهم، وقد بين الله سبحانه لنبيه الحكم في أخذه أسرى، والمعركة دائمة مستمرة، لانه لا أسرى إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال، وقد نزل في ذلك قوله تعالى: « ما كان لنبي أن يسكون له أسرى حتى يشن في الارض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم ».

هناك في القضية عمل من النبي ﷺ ولوم وتوجيه من الله، لكن الكاتب يقول إن النبي ﷺ بهد تأمل وتدبر قرر خطا القداء، وهذا نص كلامه فقد أطلق كثيرا من الأسرى ولم يعد - أى لم يبق - غير القليل، فانقطع بفكر وخرج على أصحابه يقول: إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعوا النصيحة عمر، فإنا كان له أن يترك لقريش أسراها لتستهين بهم على حربه مرة أخرى « ما كان لنبي أن يسكون له أسرى حتى يشن في الارض » . (صفحة ٢٠٣/٢٠٤) .

وهذا يتبين أنه يرى أن هذا ليس وحيا، ولكنه من تأملات النبي ﷺ، وأن القرآن من عند محمد لا من عند الله .

(٥) إبطال التبنى من النبي ﷺ :

ينسب إبطال التبنى إلى النبي ﷺ، ولا ينسبه إلى الله، مع أن التبنى حرم بأمر الله، فقد قال الله تعالى في سورة الاحزاب (وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، أذعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) .

ويقول سبحانه في نفس الصورة : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، لكن المؤلف يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجة زيد بنت جحش ، وشكواه منها ، وقول النبي ﷺ له أمسك عليك زوجك ، وبين أن الزوجين أصبحا لا يطيقان الاستمرار ، ويذكر اشاعة أن النبي ﷺ طمع في جمالها ، وما كان للنبي أن يتزوج زوجة مثبناه لانه ابنه ، ثم يقول :

ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم خرج يقول أن المتبني ليس كالابن تماماً فالولد شيء آخر ، وأنه إنما تزوج زينب لكي يدركوا هذا ، وكيفا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعائهم ، فلا حاجة له بجمال زينب ، ولديه عائشة وحفصة (ص ٢١٦) .

فهو في هذا يدعى أن التحريم للتبني من محمد - صلى الله عليه وسلم - ويدعى أن محمداً تزوج زينب من تلقاء نفسه ، مع أنه فعل ذلك بأمر من الله تعالى في قوله من سورة الأحزاب : « وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً .

فهو ينسب التحريم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وينسب الزواج لرأى إراته الرسول عليه الصلاة والسلام مع أنه ثابت بالقرآن ، ولمكنه ينسب ما جاء بالقرآن دائماً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وإننا لنحمد له أنه لم يمس وراء المستشرقين في إدعائهم أخذاً بما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فتن بجمال زينب وكان الطلاق لذلك فله منا التقدير لهذا .

ذكر - بعد أن قص أخبار موقعة أحد - العير فيها - على أنها من قول محمد ﷺ : « صلى الله عليه وسلم ، مع أنها من قول الله تعالى : « فهو يقول : (وأنبأ محمد

صلى الله عليه وسلم - على الناس يحذرون عن محبة أحد ويستخلص العبرة من أخطائهم
عني أن تضى التجربة القاسية طريق المستبيل) .

وأن العبرة في أحد كانت بقول الله تعالى في آيات كثيرة من سورة آل عمران
في مثل قوله تعالى : « لقد صدقكم الله وعده إذ تحسبونهم بإذنه حق ، إذا فشلتم
وتنازعتم في الأمر ، وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم واقصد عنا عنكم والله ذو فضل على
المؤمنين ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم
غما بغم لكيلا تخزونوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خير بما تعملون) ولكنه
دائما ينسب ما جاء في القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، مما يدل على أنه يرى
القرآن من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر في الصحيح من السنن أن
النبي صلى الله عليه وسلم بين العبر في أحد بغیر تلاوة القرآن عليهم .

كذلك يذكر الكتاب أن تقسيم أموال بني النضير كان بقول النبي ﷺ
ويقول في ذلك ، قال لهم (. إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال فإن شئتم
قسمت أموال بني النضير وأموالكم بينكم جميعاً وإن شئتم أمسكت أموالكم
وقسمت هذه فيهم خاصة) .

والحق أنه لا يوجد ذلك التخيير وأن النص القرآني في ذلك صريح بين هذا
فأنه سبحانه وتعالى يقول في سورة الحشر [للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
ديارهم وأموالهم يتبعون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم
الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ولكنه كما نحتاج ينسب ما جاء في القرآن دائما إلى رأى النبي صلى الله عليه وسلم
وزاد هنا حالة التخيير التي لا نعلم لها مصدرا تاريخيا (ص ٢٠٠) .

وهكذا نجد أنه ذكر كثيرا من معاني القرآن ، وينسبها للنبي صلى الله عليه وسلم فهو يذكر سورة (الكافرون) « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . » على أنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٠٨) .

وينسب تحريم الخمر على أنه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويشير إلى تسريح التحريم في القرآن الكريم ، ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك .

ويذكر قصص القرآن على أنها نتيجة تجارب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في ذلك . . (وقسم محمد لبياليه بين زوجاته الثلاث : سودة وعائشة وحفصة ، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة في الصباح ليصطن وفي المساء ليسمر معهن ، ويقص عليهن ما رآه في رحلاته ، وكثيرا من الحكايات والأمثال) . وما كان قصص النبي صلى الله عليه وسلم إلا من القرآن ، وما كانت لرحلات في بلاد العرب ، بل أنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين إحداهما وهو في الثانية عشرة والثانية وهو في الخامسة والعشرين الأولى مع عمه والثانية في تجارة بمال خديجة رضي الله عنها .

أخطر ما يقدم الكتاب التشكيك في « القرآن » :

هذه أمثلة سقتها وأنها الكثيرة في الكتاب ، وهي تدل على أنه يرى - أي الكاتب - أن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم « وفي الحقيقة أنه لم يذكر قط أن الله سبحانه وتعالى منزل القرآن وباعث محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، بل إن ذكر الله تعالى يندر في الكتاب بل لا نجد له ذكرا قط (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) .

ولم يذكر القرآن إلا نادرا ، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التي تبلغ مائتين أو أكثر فلا تجد ذكرا لكلمة القرآن الكريم ، بل لكلمة القرآن قط ، وإذا ذكر آية ذكر أنها مهمة نفس النبي صلى الله عليه وسلم ، وانضرب لذلك مثلا :

أقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا ، وكان ذلك في بعض الغزوات ، ثم يقول : فإذا لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود ، فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشتيع الانهزام ، ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر ، والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعاً عما يؤمن به ، وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلو عليهم : [وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ، قل إن ينفعكم القرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلا ، (ص ٢٨٨) .

وأكبر علامات التشكيك في آيات الله ، أنه يذكر المهمة ثم يقرنها بآية على أنها من مهمته ثم يتلو آية أخرى غير ناسبها إلى الله تعالى ولا لأحد فهي بمنطقه من مهمة النبي أيضا .

ثم يشير إلى نوع من التشكيك لأن الآيتين يبدو بينهما تعارض ، مع أن الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما ، فأية سورة التوبة (عفا الله عنك لم أذنت لهم) كانت في غزوة تبوك .

وقوله تعالى من سورة الأحزاب « وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب ، كانت في غزوة الأحزاب وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب لله في مقام يوحى بالتشكيك في صدقه .

وأقرأ قوله في ص ٣٥٤ (بالنسبة المرتدين الذين قتلوا بعض المؤمنين غدرا الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، يقتلون ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، وكان منهم رجل عهد إليه محمد ﷺ « بكتابة القرآن ، ولكن الرجل كان يغير في القرآن على هواه ، يملأه محمد ﷺ ، « وهو السميع العليم ، فيكتب وهو « الخبير الحكيم » ثم يذهب إلى المتأففين في المدينة ، ويتندر بما يصنع ، ظل يصنع

هذا ، حتى اكتشف محمد أمره فهرب الى مكة ، ويظل يهزأ بمحمد ﷺ ، وبالقرآن ويؤكد للناس أنه حرف كثيرا من آياته ولم يكشفها محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد .

واقرا قوله في صفحة ٣٥٦ (أما الرجل الذي حرف في القرآن الكريم فيعلن توبته ويحرق النسخة المحرفة أمام الجميع) ، وأن هذا البيان التاريخي يؤم بل يشير أن القرآن فيه تحريف وتبديل ، بدليل أن أحد كتاب الروحي قال ذلك .

تلفيق الاخبار :

والخبر على هذا الوجه غير صحيح ، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحي أحيانا وليس دائما ، وما كان للنبي ﷺ كاتب واحد ، بل كان يكتب الوحي من يكون بحضرة عند نزوله عن محسنون الكتابة ، وعندما يمل عليه النبي ﷺ ما أوحى إليه ، يقرئه ويحفظه من يكون بحضرته من الصحابة فما كان الرجل ملازما له ، وما كان الاعتماد على ما يكتب بل على ما يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم وحفاظ الصحابة .

وما تكونت في عصر النبي ﷺ نسخة مجموعة جماعاتها ، ولكن كان محفوظا في صدور كثيرين من الصحابة كأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وعلى بن أبي طالب وغيرهم كثير رضى الله عنهم ، فلا يقال : أن هناك نسخة كانت محرفة وحرقت وما جاء ذلك في سياق تاريخي قط وما قاله أحد قط من علماء الإسلام .

وأخيرا فإن الردة التي وقع فيها ذلك الرجل ، ما كانت نتيجة طرد النبي ﷺ له ، بل أنه ارتد من تلقاء نفسه ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب ، فما كانت حقيقة ولكنها إدعاء منه هو كذب فيه .

فالنبي ﷺ ، يحفظ ما ينزل عليه ، وغيره يحفظ ، وما كان من المعقول أن يستمر ذلك التحريف الدقيقة واحدة وأنه عند جمع القرآن في مصحف ،

أى تكوين نسخة كاملة منه ، فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر ، وكان يبحث عن المكتوب غير المجموع ، إذ كانت الكتابة فى قطع متناثرة عند الصحابة وفى بيوت النبى ﷺ ، فيبين أن المكتوب كما حفظوا ، فيثبتونه فى المصحف .

توهين انواتر القرآن :

إن فى السياق الذى ذكره الكاتب توهينا لتواتر القرآن ، لا يصح أن ينشر بين المؤمنين فضلا عن أنه فى أصله كاذب فى ذاته .

ثم أنه ليوهن من شأن النصوص سواء أكانت قرآنا أم أحاديث ، عندما يقرر أن الحكم فى الاسلام بالقرآن والسنة أو الرأى على أنها متساوية والمسلم مخير بينها إلا أنها مرتبة .

ويقول فى ذلك ص ٢٧٥ (وفى رأى كل منهم ترسخ نصيحة محمد ﷺ : أحكم بالقرآن أو السنة أو اجتهد برأىك ، والأمر شورى بينكم لا تختلفوا ولا تطوا فى الأرض مفسدين ، .

موقف الكتاب ومؤلفه من النبى ﷺ :

هذا موقف الكتاب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من الكتاب ، لا نكتب عنه دالم يكتب بل لأننا نستعمل البيانات من كتابته .

فلنتجه بعد ذلك إلى موقفه من النبى ﷺ المبعوث من عند الله تعالى ، فإن الكلام الذى كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة ، بل على ما ينافى كل الحقائق التاريخية تماما .

أولا : إدعاء خروج النبى ﷺ إلى اليمين :

لادعى المؤلف أن النبى ﷺ سافر إلى اليمين مع عمه الزبير بن عبد المطلب فقد جاء فى ص ٤٢ ما نصه :

(وها هو ذا محمد يضطر إلى أن يشتغل أخيراً في هذه القوافل ، ليمش مما كان يملك بالدينارين أو الدينار ، ويخرج إلى اليمن مع عمه الزبير في رحلة الشتاء).

وهذا القول لم يذكر في الصحاح من تاريخ النبي ﷺ ، وقد يذكره المستشرقون من غير سند تاريخي ، بل يفرض يفرضونه ليم لهم ما يبتغون من توهين شأن الدعوة الإسلامية ، بإدعاء أن محمداً ﷺ كان رحالة وأن ما جاء به نتيجة تجاربه لا بوحي من ربه .

ثانياً : يسترسل في إدعاء أن محمداً (ﷺ) كان رحالة معنياً بما عند الرومان والفرس .

فهو يقول في ص ٦٢ (لم تكن الجزيرة العربية وحدها هي التي تعنيه ، فقد طاف بالشمال والجنوب ، وعرف كثيراً مما يحدث في بلاد الفرس والروم ، وفكر في هذا كله ، ففي كل مكان يهدد الإنسان ، ويسيطر الفظ أحياناً حتى لتتد يد المرأة الخنون إلى قلب خصمها بهد أن يقتل ، فتأكل منه القلب وتلحق الدم .

وما زال الملوك الكبار في بلاد الروم يصنعون بالرجال والنساء ما يصنعه المرابون الكبار في مكة ، والرؤساء والدهاقين في بلاد الفرس ، وهنا وهناك يقضى على الإنسان ما يقضى باسم قوى الخفاء التي لا تقاوم ولا ترد ، وهي قوى لا تشبع من دم الضعفاء وتقتات بالهوان) .

ولا يهتني من هذا الكلام إلا ما فيه من إدعاء أن النبي ﷺ ، قد جاب البلاد العربية شمالاً وجنوباً ، وأنه كان معنياً بمعرفة ما عند الرومان والفرس ، مع أن ذلك كله لا يوجد ما يدل عليه في التاريخ الإسلامي والمصادر الصحيحة ، بل لا يوجد شيء من هذا في أي مصدر عربي قديم ، ولكنه خيال المستشرقين الحاجة في نفوسهم .

ثالثاً : ويذكر أن النبي ﷺ تعلم الكتابة من ملاحظته الحروف ، وهذا نص قوله في ص ٣١٣ (فتناول محمد الصحيفة من على ومحا ما كتبه على ، وكتب هو ديوانها ، كما أراد مندوب قريش كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أُملي على كتابة القرآن) . . . وهذا تحريف الروايات ، فإن الثابت أن علياً لما امتنع عن حذف كلمة الرسول أو محوها مد رسول الله ﷺ يده ومحاها بنفسه بعد أن استفسر من علي عن موضعها ، وأنهم على بقية الكتاب ولم يكتب محمد ﷺ بيده شيئاً .

رابعاً : يذكر أن محمداً (ﷺ) قد سحر ، فيقول في ذلك في ص ١٧٩ ورأت اليهود موجة نشاط جديدة تهز القلوب فعاتت تكيد . وكان من رجال يهود ونسائها من يقوم بأعمال السحر . والسحر إذ ذاك سلطان خفيف على بعض العقول ، وضعت امرأة يهودية سحراً يقمعه عند الخروج ويمنعه من النساء ، ولقد ضاق هو بهذا السحر ولكنه تمدهاه . وخرج ينفذ السرايا وعاد إلى المدينة ساخراً بهذا السحر ، غير أنه امتنع عن النساء ، فأما سودة الزوجة السكينة فقد هببت للأمر عدة شهور ، وأما عائشة زوجته الجديدة الشابة فقد احتملت هذه الشهور ، ثم طالبتها أن يصنع شيئاً يبطل به هذا السحر ، وكان هو يدلها ويصطفئها ويتركها تنكح بذقنها على كتفه أمام الناس ، وشعرها يلبس خده ، وهي ترى معه ألعاب الأحاديث في ساحة المسجد .

وهذا الكلام فيه إدعاءات ثلاثة :

(أولها) : أنه سحر (ثانيها) أن ذلك أثر في قوته التناسلية (وثالثها) أنه كان يدل زوجه أمام الناس .

وهذه دعاوى ياطلة ، أما السحر فقد ذكر في بعض الروايات ولكن الثقات والمحققين من العلماء ردوها وثبت بالدليل القاطع بطلانها ، ولو أن بعض

الثقات قد أدخلت عليه ، وأن المستشرقين يطيلون ذكرها توهينا لشأن الدعوة الإسلامية .

أما أنه أثر في قوته التناسلية فهي مبنية على تأثرة بالسحر ، وقد ثبت بطلانها على أن أكثر الرواة لا يذكرونها .

أما تدليله لزوجته أمام الناس فذلك لم يصح وإنما الذي صح أنها كانت تنظر إلى ألعاب الأحبار وتتطلع من فوق منكبه وهو جالس دون أن يراها الناس .

خامساً : أن هناك نوعة نصرانية نجدها في مواضع كثيرة ، نذكر منها أن النبي ﷺ ينادى بياولدى ، ولا يذكر من المنادى ، فقد جاء في ص ٩٤ ما نصه : (غريب أنت في هذا التيه الذي يتنفس باللعنة والأكذوبة والمنكر ، شارد حزين لا تنفك تتأمل في السماوات والأرض ووجوه الرجال والنساء والأطفال .

ما تكاد تضحك مستمتعاً بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة التقية الحكيمة التي اختارتك للحياة) .

ولا تدري من الذى يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك في عدة مواضع فقد جاء في ص ١٣٤ ما نصه :

(طريد أنت يا ولدى ، مسكين معذب كالمبشرين الأوائل) فن ينادى هذا النداء ، إن الذى يمكننا أن نفسر به ذلك هو أن هذه نوعة نصرانية ، كما يجرى على السنة النصرانية (آباءنا الذى في السماء) وأنه يصح أن يكون ذلك صوت الله يناديه في زعم الكاتب ، ولكن لا أحد في الدنيا يصح أن يكون ولداً لله تعالى : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) .

هذا موقف الكتاب من القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى الخيال الروائي الذى يفتقر إلى الصدق التاريخي في بعض الروايات عن حمزة وغيره والكتاب في الحلة يسمى إلى الناس في دينهم .

حاشية : هذا التقرير الذى كتبه الإمام محمد أبو زهرة عام ١٩٦٢ وقد حصل عليه منه قبل وفاته الأستاذ محمد نعيم الصحفى الإسلامى وقد احتفظ به حتى أتيت له فرصة نشره عام ١٩٧٥ م . وهذا الذى قام بتأليفه على هذا النحو المنشور الآن .

• ثبت أن السحر لا يؤثر فى قلب النبى ﷺ ولا فى أسلوب التبليغ والدعوة .

• فى دعوى امتناعه عن النساء أنه ﷺ قد ثبت بعد ذلك إنجابه إبراهيم ابنه من مارية القبطية .

(مسرحية الحسين شهيداً)

الأصابع الحمراء تشوه حقائق المعارك الإسلامية وتشهر بالصحابة الأجلاء (أحمد الشرباصي ، محمد الطيب النجار ، زكي البنهاوي) نشرت الاعتصام - مايو ١٩٧٥ عن هذه الدراسة للمسرحية تحت عنوان : (مسرحية الحسين شهيداً) .

(١) المسرحية تظهر شخصية الحسين وشخصية السيدة زينب رضوان الله عليهما وهما من آل بنت الرسول الأعظم . وقد تكررت الفتوى من العلماء المسؤولين بمنع إظهار هذه الشخصيات الطاهرة .

(٢) تردد في المسرحية التشهير بجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول بمكانة أصحابه في أكثر من حديث شريف ومن واجبتنا أن نبرز مفاخرهم وتركز عليها ونهتجم بها والا فطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أخطاء .

(٣) ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللاعن والتعريض الشنيع بالحرمان وهذا كله بين مجموعة تنتسب إلى الإسلام وجاءت فيها ألفاظ خارجة مثل (أبناء الأمهات الزانيات ، يال ابن الفاعلة ، يال ابن البرصاء ، الدعى بن الدعى) .

(٤) صورت المسرحية العصر الأموي تصويراً يحاكي الحقيقة في بعض النواحي فوصفه بأنه عهد الإقطاع والاطماع وجردت الأمويين من كل خير ونحن لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب ومآخذ ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات إسلامية كثيرة وكان فيه جهاد ونضال فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ في تصوير فساده كل هذه المبالغة .

(٥) المسرحية تعرض شخصية الصحابي (وحشى بن حرب) عرضاً مخالفاً للسيرة والتاريخ فهي تعرض هذه الشخصية المسلمة الثابتة في صورة سكير مخمور ، قد شرب (خمر الأرض) مع أنه من صحابة رسول الله ﷺ وروى عنه الحديث وقد جاءت أحاديث مروية عنه في صحيح الإمام البخاري .

وتصور المسرحية مقابلته للرسول عند إسلامه تصويراً غير كريم وغير سليم لا تتفق مع التاريخ ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التي تحملها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين : رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فالرسول قد قبل إسلام وحشى وقال له (يا وحشى أخرج لحامد في سبيل الله كما كنت بمقاتل لتصد عن سبيل الله) .

(٦) والعجب كل العجب أن يوجد وحشى بن حرب ، بين شخصيات هذه المسرحية لأن أحداثها تدور في سنة ستين للهجرة ووحشى حرب قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه فوحشى إذن لم يدرك شيئاً من أحداث هذه المسرحية فكيف يضاف إلى أشخاصها .

(٧) هناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن كتاب الرسول ﷺ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة التي يختلف في تهديدها المؤرخون والباحثون .

(٨) جاء على لسان الحسين رضي الله عنه وأرضاه أنه ذهب حينما اشتدت المحنة إلى قبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - وقال يخاطب النبي : حدى ، أنا لا أعرف بما أصنع فأعنى ، والحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله تبارك وتعالى ، وجهه الحسين هو نفسه القاتل : إذا استعنت فأعنت بالله فضلاً عن أن الواقعة لا تصعب لها من الصعقة .

(٨) ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بمقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجس شراً من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه ولعننا ندرى المصلحة من يظهر يزيد وهو حاكم المسلمين على أهل التقدير - في مظهر حقير مشير لو كان أمراً واقعاً لما كان من الحكمة إبرازه .

فقد قدمت المسرحية عقب مقتل الحسين شخصاً يبدو مخوراً والجوارى تمتلئين ظهره وينحسنه فيسير بهن كالحمار والتاريخ يذكر فيما يذكر أن يزيد كان متهماً بالإنحراف عن الآداب الدينية قبل المباينة له فيما تولى الحكم إنصرف عن هذا الإنحراف أو على الأقل لم يجاهر بمثل ما كان يجاهر به من قبل .

(٩) أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنصف قرن فقط في صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى ، وصار مجتمع عريضة وفجور ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف ومجتمع خيانة ونكث للعهود مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان .

(١٠) تردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجوارى حيث تناول الأشخاص عبارات الإتهام باللهو والتمتع بالجوارى ، على سبيل التعريض والتهكم مثل هذه العبارات (ما تجيد سوى مصاحبة الجوارى) ، (تمتع بجواريك الأبيكار الخرد) ، (سوق الإمام) .

(١١) تناثرت عبارات مأخوذة من جو غير إسلامي مثل هذه العبارات (ما جئت لألقى سيفاً) (جئت لألقى موعظة) (لأملأ كل بيت بالحبة ، جموع الفقراء) (يا مطفىء نور الحضارة) .

(١٢) اختير لون السواد لطائفة من الممثلين والممثلات وهذا السواد شعار

طائفتي مذهبي خاص فهل من المصلحة أناره مثل هذه الطائفة ، وكذا بدا من
قام بدور الحسين في ثياب تشعير بأنها إحياء بشخصية غير إسلامية وإن كانت
شخصية لها مكانها في نظر المسلم .

وكان هناك في نص المسرحية نواح وندب وتعديد وقد طال هذا وإمتد فما
مدى إتفاق ذلك مع تعاليم الدين .

كذلك جاء على لسان أحد الأشخاص من أتباع الحسين رضى الله عنه ما يفيد ،
أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين فهل يحكم على عقائد الناس
بمثل هذه السهولة .

(٤)

مأخذ على كتابات الشرقاوى: (حول الامام على)

أولا : أن مصادر الكتابة عن الامام على رفاقه ومنهج البحث في سيرة الصحابة تختلف عن المصادر ومنهج البحث في التاريخ العام ، وهو لم يلتزم بهذا المنهج بل عمد لكتب التاريخ وغير كتب التاريخ فاستقى منها مادته وأخباره ، فرجع إلى كتاب (الاعاني) وهو مرجع لمؤرخي الأدب في العصر العباسي يجمع أخبار الشعراء والادباء والمفنيين والمغنيات ومجالس الشراب والطرب ، فإذا وجدت فيه معلومة عن صحابي أو تابعي فيجب الوقوف أمامها طويلا ، للبحث عما إذا كانت قد وردت في مصدر تاريخي أصيل مما تتكفل به أصول البحث العلمي ، ومصطلح علم الحديث وأصول الرواية في معرفة حال الرواة وصحة المتن وطريق التحمل ولكن الشرقاوى سوى بين المصادر القديمة لقدمها ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس .

ومن مصادر الشرقاوى (الطبرى) والطبرى لا يملك أحدا في صدقة أولئك اعترف في كتابه أن الكتاب لا يخلو من الوقائع المكذوبة والاخبار المنحولة فلما هوجم الشرقاوى في هذا دافع عن مصدره وأهمل هذا التحذير الخطير الذى سجله الطبرى في صدر كتابه .

وهكذا فإن المصادر التى رجع اليها الشرقاوى لم تكن كلها كفئا للموضوع فوقع في ورطه لم تستجب لنصح الناصحين فيها .

(بتصرف عن بحث الدكتور المطفي)

ثانيا : تناول أشخاصا لهم بلاء وغناء وسبق إلى الاسلام والجهاد في سبيل الله ووصفهم بما لا يليق بأمنالهم ، فهم تلاميذ محمد ﷺ والنعمان بن المنذر

هاجروا في الله بعد ما قتلوا وهاجروا وصبروا وقد قدم لنا الإمام علي في عمالية
فتنة وأعصار محنة ، وقد يقرر الفقهاء والعلماء والسلف الصالحون من أدركوا
الفتنة وجاءوا بعدها الإمساك عن الخوض فيها فإن الصحابة كلهم عدول بتعديل
الله لهم ولكل منهم وجه نظر واجتهاد والخطي فيه له أجر والمصيب له أجران .

لم يتناول الكاتب دور اليهود في هذه الفتنة التي آثر الخوض فيها وما فعله
عبد الله بن سبأ وأشباعه والخذوعون به فهم أسبابها وما أشبه الليلة بالبارحة ولم
ينسج نهج المحدثين وأهل الأثر من نقده الأخبار على مقتضى قوانين الرواية والجرح
والتعديل الذي ميز الله به أمة محمد ﷺ وراح يسوق الأخبار ومنها الملفقة كأنها
حقائق مسلمية ويبنى عليها اتهامات ويصدر أحكاما قاسية وهي أخبار واهية لا تحمل
روايتها فضلا عن اعتمادها في تقرير حكم أو توجيه لوم خاصة إذا كانت تحمل
في ثناياها دليل بطلانها ولم يشر إلى مرجع واحد من مراجع التي اعتمد عليها فإن
كثيرا من أئمة المورخين قد يتناولون الشائعات والأخبار التي لا تصدق ولكن
بأسانيدها اعتماداً على أن الناس سيبحثون الأسانيد فتقبلونها أو يرفضونها .
(عن بحث الأستاذ عبد المحرز عبد الستار يتصرف)

ثالثاً : الحاحه في قوله : [ليس لبني اسماعيل فضل على بني اسحق ولا لبني
اسحق فضل على بني اسماعيل) والحق أنني ألمح منها كيدا خفيا من عمل اليهود
وإفكاً افتروه ، بعد أن عزلهم الله عن قيادة البشر وجعلها في العرب من بني اسماعيل
فاليهود من يريدون أن يتساووا مع العرب والمسلمين ويسخروا المبدأ ويقرروا
أنهم يرتقون إلى مستوى المسلمين على ما بهم من بغى وكفر وقساوة قلب وعلى
أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وقولهم [ليس علينا في
الأميين سبيل] ونحن نقول : [بل لبني اسماعيل اليوم فضل على بني اسحق] وللعرب
فضل على اليهود بعد ما أثبت اليهود ببغيتهم وعداوتهم أنهم على مد ، التاريخ وراء
كل فتنة وسبب كل محنة وأنهم كالمشركين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة .

رابعاً : غرق عبد الرحمن الشرقاوى في أباطيل الرواة وفي الروايات الضالة

فاجرى على لسان (الإمام على) عبارات ما كان يمكن أن تجرى على لسانه ونقول عليه أخباراً كاذبة كمثل ما نسب إليه من أنه قال أنه كان أولى من أى بكر وعمر بالخلافة .

خامساً : إنزلق عبد الرحمن الشرقاوى فى أعراض الصحابة واندفع بهدف ونية ميتة وليس من باب الخطأ أو عدم الإحاطة بالمصادر ، ولما كانت هذه الفترة من تاريخ الإسلام شائكة ، وكان هو غير متخصص فى التاريخ وقليل الدراية ، والصحابة بحيث أن يتناول تاريخهم بأسلوب مختلف ، يقوم على احترامهم ومعرفة قدرهم وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا حين قال : [أصحابى كالنجم بأهم اقتديتهم اهتديتهم] ويقول [لاتسيوا أصحابى ، من سب أصحابى فقد سبى] .

وتعد بدا القصد من سياق الشرد وهو النيل من الآخرين ومن سبقته بالذات وهى نقطة مهمة كان لابد من أثارها ، وكانت عبارات الكتاب تستهدف التنقيص عن قبله من الخلفاء رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قصد الكاتب إلى إثارة خلاف فى هذه الآونة بين طائفتين أو أكثر من المذاهب الإسلامية وإيجاد بلبلة وتباعض بين تلك الأمم والمذاهب ومن هنا دخل فى الخطر الكبير الذى جاء عنه التحذير فى بعض الآثار : (اقتنته قائمة لعن الله من يقظها) .

الاطعاء كثيرة وكان بالرجل يرمى إلى شئ من وراء هذه المغالطات غير العلم فابتعد عن الحقائق ، وماذا يقصد بأوصافه التى أتى بها خياله عن ليلة زواج ذى النورين عثمان رضى الله عنه من نائله ، وهو الذى كانت تستحى منه ملائكة الرحمن ، ومن أين له هذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التاريخ وأقرب ما يكون إلى روايات الجنس ثم كتاباته عن أم المؤمنين عائشة وعن الصحابة طليعة والزور وغيرهم عند ما وصفهم بغير أوصاف المؤمنين وهم المؤمنون حقاً .

عن (عبد الله الأنصارى) رحمه الله

سابعاً : بدا الشرقاوى خطته بأن ألف كتابه محمد رسول الحرية على أساس أن الإسلام مظهر للصراع بين الطبقات وأن الأصنام تم صلبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية ومضى في طريقه يفسر الوقائع بما يثير الفكر اليسارى ويقرأ كتب التاريخ غير مميزين حقيقة وشائعة ، وبين صحيح وموضوع وغير مدرك لمكانة الرجال الذين يتحدث عنهم فجاءت كتاباته بعيدة كل البعد عن المنطق العلمى ، كما جاءه يعيد الأثر في الإساءة إلى الإسلام والصحابة وإلى الآمال المرجوة في الصحوة الإسلامية وجمع الشمل وقد ردد الشبهات والنقط النقاط المشكوك فيها التى تعينه على باطله ومنها الخطبة المنسوبة إليه بأنه أولى بالخلافة من أبى بكر وعمر وهى خطبة تعنى أن الخلفاء الثلاثة كانوا مغتصبين حقاً ليس لهم وأنهم طلاب دنيا وعشاق رياسة وأن جمهور الصحابة جبن عن مظاهرة صاحب الحق المقرر ، وهذا النسيق يرمى إلى فتح الباب للظن فى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

ودعواه أن بنى النضر اسلموا باطل فى اسلم بنو النضر يوماً ، وأنهم حاولوا قتل النبی علیه الصلاة والسلام عندما كان بينهم فى بعض الشئون وهناك قضية وهب لها الشرقاوى فكره ونشاطه ويريد أن يجر الإسلام إليها جراً دون هوادة ، هل للمسلم أن يدخر أو يكذب بعد أن يؤدى الحق المقرر عليه فى ماله ، أم يجب ألا يمسك عنده شيئاً فوق حاجته وهو يؤكد أنه لا يجوز استيقاء شيء لصاحبه فوق نفقته العادية ، أن هذا هو ميل إلى نظرية كارل ماركس (لكل حسب حاجته) ولكنه يصور الرأى الذى ارتآه على أنه من الكتاب والسنة ، وهو يحاول أن يجعل على ابن أبى طالب ضد رأس المال مهما أدى ماعليه من حقوق وهو يحاول أن يجعل عثمان كأحد الباشوات أو اللوردات الذين يشبهون شهباتهم وورهبون المجتمع بفضول أموالهم ومن المقرر أن كتابات عبد الرحمن الشرقاوى لا تحكى تاريخاً إسلامياً ، فهو يسارى يريد أن يجعل الإسلام وتاريخه مصبوغين بالملون الآخر والتفكير المادى ويسوق الحوادث سوقاً لخدمة هذا الغرض .

فهل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان صراعاً طبقياً كما يقول

الأغنياء يدافعون عن وجودهم والفقراء عن حقهم في الحياة الكريمة وعن أحلامهم في عالم أفضل ، أى أحلام هذه وهل صحيح أن موسم الحج كان « يستمر هؤلاء الأغنياء أموالهم في البيع والشراء والربا فيربحون ويربحون ، وهذه الأصنام هي التي تمنحهم كل سلطاتهم على الإجراء والمعدومين والعميد وأبناء السبيل وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، هكذا يقول الشرقاوى في تصوير الرسالة الإسلامية : صراع بين الغنى والفقر لا وجود له إلا في دماغ المؤلف .

وآية عدم إكتناز الذهب والفضة نزلت بعد اثنين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام أو الحرب التي شنها الإسلام على الوثنية من أول يوم . حتى الهجرة إلى المدينة جعل لها الشرقاوى أسبابا اقتصادية فإن المرائين في المدينة كان ضغطهم أقل ، والهوان الذي يتعرض له المدينون كان أخف ، تأمل قوله : هنا مجتمع آخر أكثر تقدما من مجتمع مكة ، هنا علاقات اجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد ، فالمرابي اليهودي لم يكن قادراً على استعباد المدين العربي إذا عجز الوفاء كما كان يحدث في مكة ، ولم يكن له الحق في أخذ امرأة المدين أو ابنته لإكراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش وأجير الأرض في المدينة أعلى درجة من عبيد مكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف الخ .

ليس في هذا الكلام كله ذرة من صدق والقول بأن العرب كانوا يسترقون المدين المعسر ، ويستوفون ديونهم من استرقاق امرأته وابنته وأرغافهما على الزنى ، كلام مكذوب ، ما كان شائعا لا في مكة ولا في المدينة وبالتالي فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلفة .

أن هذا الكلام ليس تشويه تاريخ ، بل هو تزوير تاريخ ، أو كما يقال في مصر (سمك ، ابن ، تمر هندي) وليس في القرآن ولا في السنة المطهرة ولا في السير المؤلفة عن صاحب الرسالة ما يترك مثل هذا الانطباع الغريب عن الجو الذي بدأت منه تعاليم محمد (١) . كما يصف عبد الرحمن الشرقاوى الإسلام وثيقه وما نزل عليه من وحى وما تمحض عنه من حضارة .

عن الشيخ (محمد الغزالي بتصرف)

أخطاء عبد الرحمن البزق

في كتابه السيرة والتاريخ

في كل كتاباته الإسلامية يظهر الغرض المبيت المدفون واضحاً :

(محمد رسول الحرية - مسرحية الحسين نائراً - كتاباته عن الإمام علي)

إن درجة الوعي الإسلامي الآن في فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية وما نعتقد أنها يمكن أن تتدع وهذه الأسماء معروفة الهوية ولذلك فهي لا تستطيع أن تكسب ثقة قارئ واحد من المؤمنين باليقظة الإسلامية ولعل هذا هو ما يزعج هؤلاء ومن ورائهم ، أن خطط التغريب والغزو الثقافي قد كشفت تماماً فهما حادوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم ومهما نشرت لهم الصحف الكبرى ومهما حالت بين مقترباتهم وبين تصحيحها ، فليدس هؤلاء تماماً وسيرتد السكيد إلى محور أهله .

لأنها محاولة لتعطيم الصحوة وللفضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والمسموم على الطريق الذي أصبح صالحاً ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الرباني ، أنها محاولات يائسة لإفساد الفكر ولتزييف التاريخ ولهدم القيم تحت أسماء إسلامية ، ومن خلال صحف محتواه للتغريب والغزو الفكري - فروايتهم الحسين شهيداً كان حريصاً على أن يصور المجتمع الإسلامي بعد أن اختار الرسول الرفيق الأعلى بنصف قرن في صمورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى وصار مجتمعة عر بدة وفجور ، ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جن رضعف ومجتمع خيانة وتكسب للعهود ، مع أن المجتمع كان لا يزال يدخر بعدد كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان (وهذه متابعة لخطه حسين) التي جرى عليها في الهجوم على الصحابة وأتباعهم أما في دراسة عن الإمام

على فقد اعتمد على مراجع معنية أغلبها مشكوك في صحتها وفي مقدمتها الأغانى، وفي هذا تابع أهواء الدكتور طه وخلفائه حتى ليخيل إلى أنه إمتداد حقيقى وتجديد لإستشراقى تغريبى لأفكار طه حسين المسعومة التى بثها فى كتابه الفتنه الكبرى وعلى بنوه فى الأربعينات يحدد ما الشرتاوى فى الثمانينات .

فقد جرى وراء القصص البراق ، واعتمد على المصادر المضلة وسائر خصوم الباطنية للشيخين أبى بكر وعمر وحاول أن يلحق الإساءة بالسيدة عائشه على هوى بعض الفرق .

ويمكن أن نقول بوضوح أن عبد الرحمن الشرفاوى اقصااص الذى يغلبه الخيال والبريق والرواية المشيرة لا يصلح مؤرخاً ولا يمكن أن يقبل منه كل ما كتب على أنه تاريخ ربهـو يمضى فى سلك واحد مع جورجى زيدان أولاً وطه حسين أخيراً ومن العجيب أن أحداً ممن نقدوه لم يشر إلى متابعتهم لخطأ طه حسين فى هذا المجال .

وفى الوقت الذى باتى كتاب غريون يشيدون بعظمة الإسلام ورسوله ورجاله ينحرف كتاب عرب لهم أسماء إسلامية عن هذا الخط ويجرضون إلى ماتحت ركبهم فى الأعراض والقبائح .

ولقد تأكد ما قاله الشيخ الشعراوى من أن الأهرام أصبحت وكرا لاعداء الإسلام وأن موقف الأهرام من إغلاق الصقيقة على كتابها دون أن تسمح بوجهة النظر الأخرى هو من الأثام التى سوف تحاسب عليها الأهرام عندما يكتب تاريخ الصحابة وما كانت هكذا تجرى المعارك الأدبية فى القديم حيث كان يسمح لكل طرف أن يعرض آرائه ، وما هى الأهرام تستخدم من قبل توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ، والشرفاوى لخدمة أعداد الإعلام .

ولقد صدق الشيخ محمد الفزالى حين وصف الشرفاوى بأنه يجمع اتقمامات

من كتب التاريخ ويصدق أيضاً ما وصف بأنها مؤامرة لضرب الإسلام لحساب
المسيحية ولضرب الصلوة التي أدخلت في الإسلام أعلاماً كباراً أمثال جارودي
وبوكاي .

ولعل أسوأ صفحات الشقاق هي أسلوبه في الحوار وإدخاله الاقتراع
والسخرية فهو كاتب يمكن أن يوضع في صف الشعراء القدامى الذين تخصصوا في
الهجاء المقذع الذي يرفضه الإسلام أسلوباً للحوار فما بالك وصاحب الحق في الرد
لا يمكن من أن يقول كلمته في نفس المكان ، أي ظلم هذا .

الفصل الثاني عشر

محمد التابعي

منشئ صحافة الآثار :

الرجل الذى أنشأ صحافة البحث وراء أسرار البيوت والذى نقب عن خفايا الأسر والاعراض ، وهو الذى دعا إلى ديكتاتورية الحزب الواحد وحرص على الدعاة لله بالقتل والإبادة . وهو استاذ مدرسة الآثار فى الصحافة المصرية والعربية والذى كون هذا الخيل الذى ظهرت آثاره بوضوح فى صحافة (أخبار اليوم) .

* * *

انتهت حياة الرجل الذى كان له أكبر الأثر فى إنشاء الصحافة الزلية : الكاريكاتير الساخر ، والبحث خلف أسرار الناس والتطلع إلى ما وراء الأبواب المغلقة . ذلك هو الأستاذ محمد التابعى الذى تصدر هذا الفن فى الصحافة المصرية الحديثة منذ عام ١٩٢٦ حينما تولى إصدار مجلة « روز اليوسف » مع السيدة فاطمة اليوسف هذه المجلة ، ثم انفرد بهذا الفن حين أصدر مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٤ وكانت فنون الكاريكاتير السياسى والسخرية قد بدأها « سليمان فوزى » صاحب الكشكول التى كانت تحمل على حزب الوفد حملات قاسية مما دعا مكرم عبيد إلى اقتناص محمد التابعى ليحمل لواء هذا الفن للدفاع عن الوفد بنفس أسلوب الصحافة الزلية والكاريكاتير والسخرية من كل القيم والأفكار فى مهاجمة كل الأخلاقيات واقتحام أسوار الأسر والبيوت لابتداع فن الخبر الاجتماعى المثير الذى كان سلاحاً قاسياً فى ضرب السياسيين القدامى ورجال الأحزاب بعضهم بعض .

وقد باع الأستاذ محمد التابعى بإشرافه على مجلة روز اليوسف قبة التعريض والمجاهرة والنقد اللاذع عن طريق الخبر والكلمة والصورة .

وقد بدأ التابعى عمله فى الصحافة ناقداً مسرحياً ثم تحول إلى التعليق السياسى

وعندما حوكم وصدر الحكم عليه بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ لم يكن ذلك في سبيل الدفاع عن حقوق وطنية وإنما كان من أجل مقالات عن مغامراته في أوروبا عنوان (ملوك وملكات أوروبا تحت جناح الظلام) . يقول الصحفي المعاصر محمد علي غريب : لأنه لما كانت توجد مجلة الكشكشكول وقد تخصصت في مهاجمة سعد زغلول ولقيت الرواج العجيب، لذلك صح الرأي في أن تصبح روز اليوسف مجلة سياسية واستطاع التابعي أن يجهز على مجلة الكشكشكول وقد عرف أسلوب التابعي بالسخرية القاسية والدعابة الغنيمة .

ويعد محمد التابعي صاحب هذه المدرسة التي سارت عليها من بعد كل صحفي الكاريكاتير في مقدمتها روز اليوسف ، وأخبار اليوم . . . ويعد مصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل وإحسان عبد القدوس من تلاميذ هذه المدرسة العتيقة . وقد تعود التابعي كما كتب على أمين في آخر ساعة ألا يعود من الخارج إلا ليحزم حقيبته لرحلة جارية حتى إنه لم يكن يستقر في مصر أكثر من شهرين في السنة فيقتضي الشتاء في سان موريتز والربيع في باريس ومونت كارلو ، والصيف بين رأس البر والاسكندرية وإيطاليا ، والخريف في القاهرة ليستريح من عناء رحلات الشتاء والربيع والصيف . . . ولأنه يوماً في جزيرة كايرو ويوماً في مونت كارلو ولأنه يسافر معه أكثر من عشرين حقيبة تحوى ملابس للصيف والشتاء والربيع والخريف وملابس الصبح والضحى وبعد الظهر والمساءم والليل ولأنه ينزل في الجناح الملكي لفندق سوفرنيا .

وقد دمع القضاء المصري صحافة الكاريكاتير الهزلية هذه في كثير من المحاكمات التي قدم لها التابعي بأنها تنشر فاحش القول وسقطه وإنها غالت في اقتداع في الناس ، والبحث وراء أسرارها في تعريض وتليبج ، وإن أصحابها يغمسون أفلامهم في السموم القاتلة والتصاوير الخلاعية التي كان لها أسوأ الأثر في قرائها من الشبان المراهقين . وكان التابعي حريصاً على فضح أسرار الأسر والبيوت وكشف خفاياها وأعراسها لحساب الخصومة الحزبية .

هذا هو الأثر الأول والضعف في حياة محمد التابعى الذى نماه من بعده وطوره أتباعه وتلاميذه وحواريوه بكل الدور الصحفية تقريباً والذى كان ولا يزال بعيد الأثر في الصحافة المصرية الحديثة . وما كتابات إحسان عبد القدوس التى ينشرها بالأمم هذه الأيام عنا بعيد .

أما الأثر الثانى في حياة محمد التابعى فهى موقفه الخطير في التحريض على الدعاة في سبيل الله ورجال الدعوة الإسلامية كراهية في تطبيق الشريعة الإسلامية ، وعملاً على تدمير القوى المؤمنة التى تحمل لواء الدعوة إلى تحرير الحياة الفكرية الاجتماعية من التحريض على الفساد والشهوات والصور العارية والقصص الماجنة وغيرها من الأساليب التى كان يعمل لها أصحاب التابعى وتلاميذه وهم ييثون في ثنائيا كتاباتهم ذلك اللون الخطير الذى أريد به إفساد شباب الأجيال وتدميرهم وإلحلالهم .

وقد وقف محمد التابعى مرتين موقف التحريض على « جماعة الإخوان المسلمين في محاولات الحل الذى تعرضت له مرتين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٤ . وفى كل مرة كان قاسماً على أهل القرآن ، متهما إياهم بكل نقیصة ، محرصاً عليهم بالقتل والسحق والإبادة حتى لا يجد قلباً أو لساناً ينقد تصرفه الفاسد ودعوته الضالة .

أما الأثر الثالث الذى يوضع في ميزان أعماله عند الحساب فهو دعوته الحادة المسنونة إلى ديكتاتورية « الحزب الواحد » وتنكرة لكل أساليب الديمقراطية والنظم التى تسمح بالرأى الآخر أو وجهة النظر الأخرى . وقد غالى التابعى في الدعوة إلى الحزب الواحد وأغرى به حكام مصر في فترة من أدق فترات التاريخ السياسى كان المصريون يتطلعون فيها إلى نظام دستورى يحقق الشورى والعدل ، فإذا به يظهر دعوة الديكتاتورية القابضة على الرقاب والعقول والنقوس فكانت تلك هى آخر كلماته التى عارضه فيها أقرب الناس إليه وتلاميذه الأثر « مصطفى أمين » . ثم أصابت التابعى على إثر ذلك ضربة القدر التى لا تتخلف إزاء كل ظالم ومدمر لقيم هذه الأمة وأخلاقها .

ومع أن محمد التابعي قد أنطوت صفحته ، فإن أصحاب المدرسة لابد
أن يعددوه في كتبهم عنه تحت عنوان خطر : (أخبار اليوم ١٢/٢٤ / ١٩٨٣) .

(صاحب الجلالة الذي نسناه) :

حيث يكتب عنه تلميذه الأثير مصطفى أمين وأبنا منصور موسى صبري
وهو يوصف بالعلاق ، ومؤسس الصحافة المصرية ومخبرها من سيطرة
الأجانب ونسى هؤلاء أنه إذا كانت المدرسة المارونية (الأهرام ودار الهلال)
قد وحمت الصحافة المصرية خلال أكثر من خمسين عاما وجهة التسليم للاحتلال
وللغزو العسكري والتفريب فإن مدرسة محمد التابعي هي التي مصرت هذه المؤامرة
وكانت مرحلة المصريين أخطر من المرحلة السابقة ، ولكن كيف يمكن أن يقال
هذا وهناك أقلام تصور السى . والقبيح والفاضح بصورة البطولة ، على النحو
الذى وجدناه في طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمد التابعي وما كان محمد التابعي
ألا ترجسيا مغرورا يتطلع إلى اقتناذ قلبه سلاحا لاذلال خصومه ، ويتخذ من
الكلمات المدسوسة المضنية سبيلا لتهديدهم والسيطرة عليهم ، وما كانت رحلاته
إلى أوروبا إلا غزوات في سبيل الجنس والمتاع ومتابعة العورات واللذات المحرمة
وما كانت غزواته ألا في سبيل هذا الاتجاه ، وتلك السهرات التي كان يقضيها
ويدعو إليها أم كلثوم وأسمهان وغيرهما ، وما هذا البذخ والاسراف إلا على
حساب الكلفة وسلطة القلم الذى كان يخيف البذخ به خصومه والاسلوب الماكر
الحيث الملئ بالسخرية والتهكم الذى كان يجيده وأعله هو الذى جعله صاحب
جلالة في بلاط صاحبه الجلالة ! ومن بعد ذلك معارضة لكل تطلعات الأمة إلى
الضياء والنور ، وسخرية بالأزهر وعلائه ، ودعائه ، وتبعية واضحة للتيارات
السياسية الغربية ، ونفاق مع حركة يوليو والحاح على تمكين الحاكم من
الدكتاتورية والاستبداد ودعوه صريحه إلى الحرب الواحد لقد دخل الصحافة
من باب الممرح وتحول إلى فن السخرية بالناس والبيوتات . لقد كان من الباحثين
عن عورات الناس وعن أسرار البيوت وعن قفشات السهرات ونهت أن يتخذها سلاحا

في وجه خصومه وكان الناس يقبلون على روز اليوسف أو آخر ساعة من أجل التطلع إلى هذه العقوبات وحياته الصحفية كلها حياة المغامرة في سبيل نواته وفي سبيل تطلعاته ، هذه هي الريادة للصحافة الحديثة التي ورثها منه مصطفى أمين ، هي التجارة وهي تدمير الشباب وتحويلهم إلى الأرواء والمطامع ، وصرفهم عن القيم والعقائد .

ولقد أكد الكتاب في هذا الاحتفاء بالتابعي على حقيقة أساسية هي متابعة هذا التيار ودعه وتمييقه وهذا هو ما قام به مصطفى أمين ومدرسته .

وقد أشار عبد الله عبد الباري : أن اتابعي ترك بصماته قوية و ظاهرة على حيل بأسره هم مصطفى أمين ، إسماعيل عبد القدوس ، إبراهيم الورداني محمد حسنين هيكل ، كامل النواوي وغيرهم .

...
...
...
...
...

...
...
...

...
...
...

الفصل الثالث عشر

لويس عوض

the 1990s, the number of people in the world who are undernourished has declined from 1.1 billion to 800 million. The number of people who are malnourished has declined from 1.5 billion to 1 billion. The number of people who are obese has increased from 100 million to 300 million. The number of people who are overweight has increased from 100 million to 300 million. The number of people who are obese and overweight has increased from 100 million to 300 million. The number of people who are obese and overweight has increased from 100 million to 300 million.

Leaves

مؤامرة توفيق الحكيم ولويس عوض :

• توفيق الحكيم يرى عزل مصر عن البلاد العربية وتحولها إلى فندق سياحي عالمي للوافدين العرب تقدم لهم كرم الضيافة من المتعة والراحة .

• لويس عوض يحاول تحطيم دور مصر الرائد في مواجهة الفكر العربي وموقفها التاريخي من الإغصار التتري والحروب الصليبية .

• كراهيتهم للإسلام ثابتة في الأعماق لا تظهر على السطح ولكن تبدو في التصرفات وطريقة معالجة القضايا والمسا كل .

• طه حسين يقول في تمجيد الفرعونية وإعلاء شأنها على الإسلام : إذا كان الإسلام سيقف حجر عثرة في طريق مصرينا الفرعونية لنبتذله .

• كان الإسلام وما يزال روح المجتمعات ومهد الحضارات الإنسانية ووقود الحركات الوطنية والتحررية .

• لا غزو فالإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربع عشر قرناً والإسلام اعتنقه المسلمون واعتقه غير المسلمون حضارة وثقافة وعادات .

دارت الدواول حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أثاره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بتاريخ العربي والإسلامي ، وبالدولة العثمانية والغرب ، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غارقة في الوثنية أو منجزة إلى الغرب . وتتجاهل هذه الدراسات أن الإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن التاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح ... سواء منهم الغربيون أو العرب عن أنه قد حدث إنقطاع حضارى جب كل ما كان قبل دخول مصر في الإسلام ، وأن تاريخنا متخماً طويلاً استمر أكثر من ألف سنة من تاريخ

اليونان والرومان في هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى أفريقيا كل هذا التاريخ بقرائه ولغاته ومفاهيمه وقيمه قد أصبح في خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنقت المنطقة كلها الإسلام . . . اعتنقه المسلمون ديناً واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات . . . وقد أشار كرومر إلى هذا المعنى حين قال : إن المسلمين والمسيحيين يصدرون عن أساس أخلاقي واجتماعي واحد مع طول التأثر .

ولسلك إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحة ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية منزهة لم يصنعها القرآن أو الثقافة الإسلامية أو الفكر الإسلامي أو اللغة العربية ، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لغاتها القديمة بعد قرنين من دخول الإسلام إليها ، كذلك فقد كان الإسلام ولا يزال روح المجتمعات وشارة الحضارة ووقوداً لحركات الوطنية والتحررية ، ولقد كانت الدعوات إلى الإقليمية والقوميات واحدة الفكرة والمنهج . . . ولذلك سرعان ما عجزت عن تحقيق أشواقي النفس العربية الإسلامية . وستظل هذه الظاهرة الإسلامية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصناً حصيناً الشخصية المصرية ما عاشت . لأنها عميقة الجذور من ناحية ولأنها منصهرة فيها أنصهاراً عضوياً يهجز خصوم الإسلام عن القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفرعوني الوثني الذي سار عليه في كل كتاباته وعرف به ومن ثم فقد أصبح في تقدير الباحثين غير منصف ولا راغب في معرفة الحقيقة الخالصة لوجه الحق وحده .

ولقد جاءت تساؤلات عن محاولات ترفيق الحكيم في تهديد مصر عن البلاد العربية وعزلها ، والدعوة إلى جعلها فندقاً عالمياً سياحياً يقدم للوافدين من كل مكان المتعة والترفيه ، وكان في ذلك مشاركا للدكتور لويس عوض في تحطيم دواء مصر العالمي الذي عاشت تقزم به في مواجهة التيارات الغازية والغزوات الطامعة

التي واجهت عالم الاسلام ، وكان لها دورها الخطير في رد هذه الغزوات وحماية علم الاسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث في الاعصار اترى وفي الحروب الصليبية وفي الاستعمار الغربي الحديث ، وسوف يكون لها دورها الخطير في دفع الغزوة الصهيونية ووقاية المسلمين والعرب منها . .

ولاريب أن دعوة توفيق الحكيم تصدر عن مفهوم بعيد أشد البعد عن الانتماء العربي الاسلامي . ولقد كان توفيق الحكيم طوال حياته يفخر بذلك معلياً شأن العنصرية في حديثه عن مصر ، كارها لطابع مصر العربي الاسلامي . وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية على الاسلام حتى قال قولته المشهورة : « إذا كان الاسلام يقف حجر عثرة أمام مصريتنا وفرعونيتنا لنبيذناه ، بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين يرى أن رأى توفيق الحكيم في العرب أشد تحاملاً وتعصباً من رأى كثيرين من متعصبه المستشرقين أمثال رينان ودرزى . ولعل التقارب في هذا الرأى بين توفيق الحكيم ولويس عوض يرجع إلى مصادر الثقافة الغربية الواحدة التي تأثر بها كلاهما في فترة كانت البعثات الأجنبية سواء إلى فرنسا أو إلى إنجلترا تستهدف سحق دقومات هذه الأمة وإلقائها في أنون الألفية ففى كراهية مشتركة للعروبة والاسلام ، وهى ممتدة إلى اللغة العربية وإلى القرآن وهى مبنوثة في الأعماق لا تظهر على السطح ولكنها تبدو في التصرف وفي تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم قد لخص تفسير القرطبي وظن بعض الذين يأخذون بطواير الأمور أنه في الطريق للتعرف إلى الاسلام إلا أنه لم يلبث أن كشف عن تلك المحاولة المسمرة التي ترددها طائفة معروفة الآن بإسم طائفة الخادعين المسلمين بالحدث عن الشريعة الاسلامية وذلك حين ردد ما كان يقوله منذ سنوات عن تطوير الشريعة الاسلامية وهى دعوة يحمل لواها من وقت بعيد : محمد النويهي وعبد الحميد متولى ومحمد أحمد خلف الله وآخرون يهدف

تفليل الشريعة لتبريد أوضاع المجتمعات الحديثة وفي مقدمتها الربا وعلاقات المرأة والرجل خارج نطاق الزواج ، وإحتواء الشريعة الإسلامية ونصوصها في داخل القانون الوضعي على النحو المسموم الذي دعا إليه عبد الرازق المنحرف منذ سنوات وهي دعوى ممتدة يغذيها النفوذ الأجنبي ليحول بها دون قيام المجتمعات الإسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ، ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالقرعيات) ويعتمد في ذلك على نص الشيخ محمد عبده الذي يوظفه الماركسيون وأعداء الشريعة وهو لا يمثل الإمام المجتهد ولا المتخصص في هذا الأمر ، وإنما هي إجتهاادات كان لها وضعها وظروفها في وقت كانت الشريعة الإسلامية تضرب بالسياط على أيدي كرومر في مصر وليوتي في المغرب وهي لا تمثل إجتهاداً يمكن الأخذ به ، كذلك الخطأ الذي وقع فيه على عبد الرازق حين أراد أن يصف الإسلام بأنه دين روحاني ويلغى نظامه الاجتماعي إلغاء تاماً وقد تلفق بعض المستشرقين هذه النصوص الزائفة التي لم يعتمد فيها على كتاب أو سنة لضرب الإسلام . كذلك هناك ما يثار من شبهة الثبات والتغيير ومحاولة وضع العقيدة في مكان الثبات والشريعة في مكان المتغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه . وأن الشريعة الإسلامية إما جامات خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إن أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم النمر شبهة توفيق الحكيم هذه التي ما زال يرددتها منذ سنوات حين قال له : كان الحكيم يريد أن يجعل كل ما شرعه الله لتنظيم حياة الإنسان خاضعاً للتفسير والتغيير بالمجتمع ورائة ، ومن هنا تهب ريح الخطأ في التفكير ، بل والخطر أيضاً على شريعة الله إذ مضى ذلك ومؤداة لو قبلناه أن لنسا نبيح الزنا والخمر والرقص متى قبل المجتمع ذلك وتتحلل من عقوبات السرقة والحراقة والزنا ومن كل شيء حرمه الله ورسوله أو قبل المجتمع ذلك !! وهذا اتجاه خطير يهدم الشريعة ويزلزل كيانها لأنه يجعلها كلها ثابتة وخالصة

لهوى الناس وما يتجهون إليه في حياتهم في أى مكان وفى أى عصر وإنه تبارك وتعالى يقول لرسوله: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

وقول أن الجماعة يتدبون أحدهم فترة بعد فترة ليثير القضية ثم ينتظرون ثم يعود آخر إلى إثارتها وكل همهم أن يخرج المجتمع الإسلامى العربى والمصرى من شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والنساهل فى أمر العرض وإستعراض المرأة لمفاتيح جسدها ومراقبة الأجانب . وهكذا . . .

الحقيقة أن قضية المرأة تأتى فى المقام الأول من عملية تهذيب المجتمع ، وهى تهدف إلى تدمير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كثيرة منها القصة والمسرحية والأغنية والصورة العارية وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون السيارات التى تدم المجتمع مثلة فى بعض الروايات الجنسية والسكره والرقص .

وتجسرى الصحف لاهثة وراء تفاهات يسهونها نصراً للمرأة سواء فى مجال الرقص أو الضياء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تستهدف لإخراج المرأة من مكانها الحق ووضعها الصحيح . وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها بالروتارى والليونز ومخططات الهمم والتدمير .

* * *

جملت صفحات الدكتور لويس حوض أحقاداً وميموماً باللغة الخطار عميقة
الامر :

(أولاً) من أخطرها حملته على اللغة العربية الفصحى ودعاواه الكاذبة فى مواجهتها كراهية للإسلام والقرآن ، وقد كان من أخطرها كتابه "مدخل إلى فقه اللغة العربية" التى حاول فيه الادعاء بأن العرب جاءت من القوقاز ، وأن اللغة العربية لغة آرية ليس لها أى تميز خاص وقد خاض فى شبهات حول الإعجاز القرآنى وغيره على نحو مضال .

(ثانياً) موقفه من الشعر العربى وهجومه على الأصالة واحتضانه لشعراء

الفعيلة من أمثال : صلاح عبد الصبور وأدونيس والسياب وغيرهم ودعوتهم إلى
تخطيم عامود الشعر وكسر بلاغة اللغة العربية وهي دعوى قديمة ما زال يرميها
ويجدها .

(ثالثاً) مواقف المتعددة من التراث الإسلامى والفكر الإسلامى وهي
مواقف توحى بالشبهة في سلامه البحث وعلميته ، والاتجاه إلى أفكار المستشرقين
ومتابعهم وكراهية أمة العرب والإسلام ، واتى تكشف عن أحقاد دينية .

وقد واجهه كثير من المفكرين وكشفوا زيفه ، وفي مقدمتهم الأستاذ محمود
عبد شاكر في كتابه « أسرار وأباطيل » .

(٢)

(التشكيك في القرآن)

مقدمه في اللغة العربية :

التشكيك بما يحفل في طياته من جهل وتجهيل باللغة العربية وأقتراف على التأخير وتهجم على الفكر الاسلامي وقلب للحقائق بأسم العلم بتناول القيم الاسلامية صراحة ومن خلف ستار بالتشويه ، وهو يتخفى ثم يهجم على عرضه في جراءة ولقد أبرز المخطئ الذي ملئت به صفحات الكتاب (٦٠٠ صفحة) ذلك الكشف الجديد في نطاق البحث عن كلمة (صمد) حيث قرر الدكتور أن العدد (٢) العربية مأخوذ من جذر هندي أوربي وهو في المصرية القديمة من جذر غير هندي وأن ثلاثة المصرية القديمة هي نخت ، ونخت المصرية و صمد العربية وإذا كان الأمر كذلك - في نظره - كان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق ورفض مساواة المسيح لله في الجوهر .

ثم يصل إلى القول بأن كلمة (صمد) في العربية وهي من الاسماء الحسنى كلمة محيرة لأنها مادة جامده لم تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل وهي غامضة المعنى ، لاخترة الاستعمال ، وأشهر استعمال لها في الصمدية ولهذا ربط المفسرون معناها دائماً بتوكيد التوحيد وأنكار التشييت في مفهوم الصمدانية .

وهكذا حكم الدكتور على كلمة صمد بأنها تساوى كلمة (نخت) المصرية التي تعنى (٢) ثم يتساءل كيف يصف القرآن الكريم بها الله سبحانه وتعالى (قل هو الله أحد الله الصمد) إذ كيف تكون الكلمة تعنى ثلاثة أو ثلوث ويقول الله سبحانه أنها تعنى التوحيد المؤكد .

وخطأ الدكتور في الربط بين كلمة (نخت) المصرية وكلمة (صمد) حيث

لا يوجد بينها أى تشابه وهو وسيلة من وسائل المستشرقين فى الاستنتاج يخالف
الأسس العلمية من أجل الأهواء والاجتهاد والظن فى القرآن الكريم وما يتضمن
والقضاء على بقره كل دارس للعربية من أن القرآن دستور العربية الحافظ لها ،
هذا لى ما ينشئه استنتاجه ذلك من تشكيك فى وحدانية الله الخالصة من شوائب
التشريك ، ولم يقدم لوبس عوض أى دليل مقنع للارتباط بين كلمة (نحت)
المصرية وكلمة (صمد) العربية يقدم على سند صحيح ، وإنما سنده تحت الكلمات
والنحوية خلف غريب المصطلحات ليفرق القارىء فى متاهات ، إذا كان التاريخ
لا يوافق الدكتور فيما قال فإن علم اللغة يبرأ من كل ما حاوله باسمه فليس التشابه
بين الكلمتين داعياً لأن يكون مدلولهما واحد ولو كان بين مخارج حروف الكلمتين
تشابهاً أو تقارباً لقلنا توهم أو خطأ ، أما يربط بين حرف الخاء الحلقى وحرف
الصاد الصفيرى فهذا لا يعنى ألا العبث والافساد المقصود .

ومن تضايله تسده إلى قطع الكلمة عن اللغة العربية ، بعد أن جعل اللغة
العربية فرعاً ضئيلاً من اللغات الأخرى فقرر أن الكلمة محيرة لأنها عادة جامدة
تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل ، فعزل الكلمة عن الكلمات المتشابهة وجدها
ليقول فيها ما شاء له الافتراء والهوى كأنها شاة أفترسها ذئب بعد أن تحايل فعزلها
عن زميلاتها وهو فى سبيل ذلك يضرب بمعاجم اللغة العربية عرض الحائط ،
ويتجاهل الشعر الذى تضمن الكلمة فى هيئاتها المختلفة .

أن الدكتور لو نظر فى معاجم اللغة لما قامت لقريته قائمة ، فكيف يقرر
أن الكلمة جامدة ، ومعجم متوسط من معاجم اللغة العربية مثل (لسان العرب)
يصرح بأن (صمده ويصمده صمداً وصمد إليه كلاهما قصده وصمد صمداً لأمر قصده
قصده وأعتد وتصد له بالعصا قصده وصمد رأسه تصميذاً إذا لف رأسه بخرقه
أو ثوب أو منديل وأصمد إليه الأمر اسنده ، والصمد (بالتجريك) السيد المطاع
الذى لا يقضى دونه أمر ، أو الذى يصمد إليه فى الحوائج أى يقصد والصمد من
صماته (تعالى وتقدس) لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقضى فيها غيره .

والدكتور تجاهل سياق ورة الاختلاص فلا يعرف أن السياق يؤكد هذا المعنى

إذ تقول السورة (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فوصف الله تعالى بالأحادية يعنى أنه غير متجزى . وليس كما يتوهم عدم التعدد والوصف بالأحادية يعنى عدم التجزؤ .

أما إذا كان الدكتور يعلم ذلك فأتنا نكون في صراحة أمام طاعن في القرآن الكريم وأحكامه لأنه والحال هكذا يعنى أن الآية الأولى من السورة تناقض الآية الثانية منها .

عن (دكتور إبراهيم عريضة) يتصرف

(٣)

(الهجوم على لغة القرآن)

في مواجهة اللغة العربية : (لغة القرآن) رأينا الحملات الشرسة توجه دون كل لتبيل من إصالة هذه اللغة وصمودها .

وقد اتخذ الهجوم ثلاثة محاور :

(الأول) : قاده سلامة موسى وأمثاله من التفريريين وقد دعوا إلى طرح الحروف العربية جانبا واتخاذ الحروف اللاتينية بديلا وروج أصحاب هذا الاتجاه للزعم القائل بأن اللغة العربية جامده وخمودها سبب من أسباب تخلف العرب ونسوا أن أصحاب الحروف اللاتينية لم تشفع لهم حروفهم اللاتينية يوم إن كانوا متخلفين .

(الثاني) : أما المحور الثاني فقد جعل ألوته بعض تلامذة الغرب الذين رباهم على فكرة وسول لهم الباطل فراوه حسنا ولهذا فقد شجعوا العامة لغة : خطاب ولغة كتابه وساعدهم على ذلك تقدم وسائل الإعلام التي تبنت هذه القضية .

(الثالث) : المحور الثالث الشرس نجده يظهر في حملة التشكيك في أصل اللغة العربية وفي القرآن ثم في أصل العرب ذاتهم وهذا ما نجده في كتاب الدكتور لويس عوض (مقدمة في فقه اللغة العربية) .

وأهم أباطيله اثنان :

(١) إن العرب بصفة خاصة والساميين بصفة عامة منذ نشر التاريخ كانوا يقطنون مكانا آخر غير الجزيرة العربية وأن الجزيرة العربية لم يكن مهدم الأول بل قدموا لها من مكان آخر - وغير مكان مشترك نزل فيه السامعون والأولون جميعا وأنه لا يوجد جنس يسمى بالساميين إلا في إطار أشجرة العائلة الهندية الأوروبية .

(٢) لم يهاجر السكان العرب من داخل شبه الجزيرة بل على العكس كانت الهجرة من خارج الجزيرة إلى داخلها .

ويتجاهل الدكتور لويس البراهين التاريخية وما يؤكد التاريخ من أن الهجرات السامية خرجت من الجزيرة العربية لأسباب اقتصادية ومناخية ، ودلائل التاريخ كلها تشير إلى أن بابل داسور وكنعان ومصر والحبيشة كانت كلها هدفا لغارات من أقوام قدموا إليها من الجزيرة العربية ومع هذه الأدلة القاطعة نجد لويس عوض يصير على تجاهل الحقيقة ليحمل من العرب ولغتهم كما مبطلا في عرف التاريخ .

كذلك فقد ساق الدكتور عبد الغفار حامد تسعة أدلة علمية يثبت بها أن اللغات السامية ذات طريقة خاصة تختلف في جوهرها عن اللغات الهندية الأوروبية التي يزعم لويس أن العربية جزءاً منها أو نتاج للتعامل بها وتتلخص الأدلة التي سبقها في بيان طريقة التعبير في الساميات (ومنها العربية) فثلاً الجملة في الساميات نوعان : اسمية وفعلية ففي الاسمية يوضع المسند إليه (المبتدأ) في الصدر وتكون فعلية الجملة مسنداً يتخزننا بشيء من ذلك المسند إليه - المبتدأ أو الخبر - ولا توجد رابطة بينهما من فعل مساعد أو غيره (Tobe) كما هو الحال في مجموعة اللغات الهندية الأوربية ، هذا الاختلاف الجوهري يهدد دليلاً على ثبات رأى الدكتور لويس .

كذلك يحاول أن يتخذ من القول يقدم القرآن سلماً يصل منه إلى تأثر المسايين بالنصارى الذين قالوا - يقدم الكلمة - في زعمهم ، والدكتور لويس يلجأ في هذا إلى طريقة المشبهة والمحسنة للذين تناسوا قول الله تعالى (ليس كمثل شيء) ولهذا وقع الدكتور في خطأ يسره له وسببه في نظره إيمانه بالثناوث المزعوم وبأن الله ولداً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وفي الإسلام كلام الله النفسى قديم ليس بمخلوق أما حروف القرآن وكلماته المنطوقة فهي حادثه .

ويزعم الدكتور لويس عوض أن الخوارج والشيعة والمعتزلة كلها كانت ثورات مضادة لشرف قریش وسيادتها وكان الهدف منها إنسقاط قریش من هذه المنزلة وبالتالي ينسحب هذا على العرب من وراء ذلك كله على لغتهم وهذا كلام ساقط فالأمر ليس ، كما زعم ويكفي أن ننظر إلى الشيعة لنرى تهاون مزاعم الدكتور لويس فالشيعة هم أنصار آل البيت وليسوا ضد قریش ولا يتورع الدكتور عن اتهام العلماء العرب بالتعصب بل والتطرف في العصبية وهو ما لم يقم عليه دليل اللهم إلا إذا كان الحقد قد أضيف إلى قوائم الأدلة العلمية .

ويكشف دكتور لويس عن حقيقة نواياه فيقول :

إن نظرية التعصب للغة العربية يجعلها لا تقبل الألفاظ الدخيلة وهو السبب في دخول العربية في مأزق شطرها إلى لغتين : لغة الكتاب المقدسة ولغة الكلام الدارجة ، ولو أننا أخذنا بمبدأ التعريب والامتصاص والتشيل للغوى السائدة في جميع اللغات لتغيرت حال معاجمتنا ولجرت قوانين الصيرورة على النحو العربي والصرف العربي بما يقرب اللغة الفصحى من اللغة العامية .

نعم هذا ما يريده لويس عوض للعربية لغة القرآن : يريد لها القضاء بالانصهار مع الزمن في غيرها ليصير القرآن أبعد عن التأثير في حياة المؤمن ، وهذا شبيه بما عرف من أن اليارجي كان قد شرع في تصحيح لغة الإنجيل مما يشوبها من ركاكة إلا أنهم أشاروا عليه بالكف عن ذلك حتى لا يكون فيه تدعيم للعبارة القرآنية أو لغة القرآن ، وبأتى لويس عوض هنا ليهدم العبارة القرآنية بالمكر والدهاء فهو يتمنى أن يزي اللغة العملاقة التي صرعت غيرها صريعاً قلبه الواهي ولكن إنى له ولأمثاله ذلك .

وفي الحقيقة أن علماء العرب لم يكونوا متعصبين وكانوا في دراستهم موضوعيين إلى أبعد الحدود فلا مجال لما يقوله لويس عوض وغيره مما لا يقوم عليه دليل صحيح وبرهان ناضج .

وتشير وجهه الدكتور لويس إلى هدف خفي يرمى إليه هو هدم التوحيد في الإسلام وإن أمر الربط بين الألفاظ العربية وأنماط اللغات الأخرى لا يمكن أن يتم على تلك الصورة التي حاولها لويس عوض بين (جبت) (وصمد) لا ينبغي أن تتم على تلك الصورة التي تخرج عن نطاق المقارنات السديدة المبينة على ما أصله علم الأصوات الحديث وهي محاولة عرجاء بل عمياء إذ لم يحاول صاحبها أن يرجع إلى الأصول اللغوية والشرعية بل ساق الشبهة بلا دليل .

عن (محمد عبد الرحمن عوض) يتصرف

(٤)

أن لويس عوض يرى أن اللغة اللاتينية نوعت إلى لهجات هي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية وقد تحولت هذه اللهجات إلى لغات وأن اللغة العربية مثل اللغة اللاتينية ، وإن لهجاتها العامية يمكن أن تتحول إلى لغات منفصلة تماما عن الأصل . قال لويس عوض نهيز الرأي وما يزال يصبر عليه ويعمل له ، وقد نادى به في مقدمة ديوانه بلوتولاند سنة ١٩٤٧ وعاد إلى هذا إلى الرأي عام ١٩٧٨ في مقال بجريدة الأهرام (١١ مايو ١٩٧٨) حتى يكرر في هذا المقال بكل تحديد ووضوح . أن اللهجات العامية تشبه اللهجات اللاتينية التي كانت منتشرة في أوروبا قبل خمسمائة سنة ، وهو يدعو إلى أن تتحول اللهجات العامية إلى لغات مستقلة ، وهو رأى مصر عليه ينادى به في كل مناسبة ، وقد عاد إلى هذا الرأي في كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية - الصادر ١٩٨٠ فالفكرة التي تسرى في الكتاب هي فكرة التشابه بين اللاتينية والعربية واستقلال اللهجات العربية الأخرى عن أصلها ، وفي محاولة واسعة للتشكيك في مكانة اللغة العربية العلمية ، وهو يحاول من أن يفصل من اللغة العربية والإسلام وبين اللغة العربية والعروبة وأنه من الممكن أن يكون هناك متعلمون بالعربية لعدة أجيال مثل المصريين ولا يكون لهم شأن بالعرب والإسلام ، ويرى لويس عوض أن كتابته باللغة العربية العلمية هو خيانة لهده الذي أخذه على نفسه بين أشجار الدردار عند الشلال في كبردج .

وينكر الدكتور لويس عروبة مصر ويصر على تجريد الثقافة العربية من أصلاتها ويفعل الأدلة التي تثبت أنها منقولة عن الثقافة الغربية ، وأن نقده للثقافة العربية نقد لامتهم ، أو هو ثورة ضد هذه الثقافة من داخلها وأنه يعامل الحضارة الإسلامية على أنها ديانة فقط فضلا عن إنكاره لإصالة ابن خلدون ، والمعري وابتكارتهما وادعائه أن اللغة العربية نفسها متأثرة باللاتينية أو تابعة لها ،

ودعوته إلى إحلال الغامية محل الفصحى ودفاعه عن المعلم يعقوب وهو من
أقباط مضر تعاون مع الفرنسيين أثناء احتلالهم لوطنه وحارب إلى جانبهم ،
وقد اعتبره الدكتور لويس عوض داعية إلى الاستقلال بينما يحاول التشكيك
في أخلاص زعيم إسلامي كبير هو جمال الدين الأفغاني مشيراً من الشبهات حول
علاقته بالإنجليز وإن الدكتور لويس عوض تتحكم في كتاباته عقدتان : هما
الإفريقية والطائفية وإن كان لويس عوض لم يقل في قوميته مصر إلا ما كان يقوله
أحمد لطفى السيد والعقاد وطه حسين وسواهم من كبار الكتّاب الذين كانوا في
السياسة مصريين غير عروبيين .

(من حوار بين أحمد عبد المعطي حجازي ورجاء النقاش)

ما هو الحجم الحقيقي للدكتور لويس عوض ، وهل أصبح حقاً من الأساتذة الكبار بالرغم من مرور الأعوام الطوال ، لا أظن أنه أبدع شيئاً مهماً أو حصل علماً نافعاً أو اكتسب خبرة أو صقلته الأيام .

وإذا كانت نبرة لويس عوض هادئة باردة فليس لأنه لا يتفعل أو لا يتعصب ولكن لأنه تمرس على القتل العمد فالهدوء ليس إترافاً وإنما هو احترام للظلمة وما درج عليه من براعة في صناعة السموم ولم يفس محاوروه أن يسخروا منه في إصدار الأحكام العامة دون معرفة أو علم أو شك أن يسدد إلى قلبه سهماً نافذاً لولا أنه اكتفى بأن يسكب على وجهه وثيابه زجاجة من الخبر الأسود وقد أفحم نفسه في أشياء كثيرة لا يحيدها :

(١) حاول الشعر في مطالع حياته وبشر بموت الشعر العربي وطالب بكمبر عمود البلاغة العربية ولم يمت الشعر العربي ولم تنحطم أعمدة البلاغة العربية ولكن شعر الدكتور لويس عوض هو الذي مات وبادت نظريته في أحياء البلاغة العامة وتشم عمودها .

(٢) وحاول أن يكون مؤرخاً مع أنه لم يتخصص في التاريخ ففشل فشلاً ذريعاً وكثرت سقطاته وتضاعف عثراته ويكفي أنه أشاد ببعض الخونة والجواسيس الذين تعاونوا مع الحملة الفرنسية ضد أبناء وطنهم من أمثال المعلم يعقوب ورفهم إلى مضاف الأبطال .

(٣) حاول دراسة الأدب العربي فما استقام له منهج وما حقق شيئاً في هذا المجال ودليل فشله تحقق بشكل واضح في دراسته (على هامش الغفران) - الأهرام في الستينات - وقد حركت هذه المقالات قلم الأستاذ محمود محمد شاكر فعلق على

الموضوع في مقالات متعددة صارت فيما بعد كتاباً في جزئين بعنوان (أباطيل وأسمار) وهو من أهم الكتب التي صدرت في تاريخنا الحديث تحقيقاً وتأصيلاً لمنهج العلمي في الدراسة الأدبية إلى جانب ما فيه من متعة فنية وجمال في العرض ودفاع عن تاريخنا ومقومات حضارتنا وسيظل هذا الكتاب العظيم دليلاً عميقاً على أن الدكتور لويس عوض في حيزه البعوضة وأن الهالة التي منحتها له ظروف الحياة في عقد الستينات : عقد الهزيمة اللعين ، لا تساوى جناح تلك البعوضة بل سيظل هذا الكتاب صحيفة سوابق أدبية للدكتور لويس تحمل بين طياتها سطوراً كثيرة تدر كل قيمة علمية أو أدبية له ويكفي أن نخود محمد شاكر قد ضبط لويس عوض متلبساً بعدم معرفة قراءه الشعر العربي فبيت شيخ المعرفة المشهور :

صليت بحرة الحجر نهاراً - ثم بانث نخس بالصليان .

الصليان بالباب المنقوطة ومن تحتها نقطتين تعني نباتاً صحراويًا كانت الأبل تأكله نهاراً في القبط والهجرة قرأها لويس عوض (الصليان) بالباب المنقوطة من تحتها نقطة واحدة فتحولت إلى الصليان جمع صليب وبذلك تغير معنى البيت تماماً كما فهمه الدكتور عوض ومن العجيب أن لويس عوض فهم البيت على هواه بعد أن حرقه ثم رتب عليه مجموعة من الأحكام تصديدها تصديداً من نقول مبتسرة لم يحسن نقلها كاملاً ، وبالتالي لم يفهمها .

ومن ذلك أنه حدثنا أن أبا العلاء تعلم في اللاذقية كما تعلم في إنطاكية وأنه في إحدى رحلاته نزل بدير ولقي راهباً درس على يديه الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان وأدبهم فشك في دينه وحصل له انحلال .

وقد زعم الدكتور عوض أنه نقل ذلك عن طه حسين : تلك هي القضية التي سجلها الأستاذ شاكر على الدكتور لويس والتي تدل على عدم بصره بالتحقيق التاريخي والدرس الأدبي وفعل مثل ذلك بقصة راهب دير الفاروس التي وهم فيها الدكتور عوض .

والذي يقرأ كتاب (أباطيل وأسمار) يعرف الدكتور لويس عوض تماماً ويحدد بدون عناء إمكاناته العلمية وقبضته الأدبية .

أن أى كلام يكتبه الدكتور عوض لا تأثير له وليست له أية قيمة وأنه قد سقط من غرايل المعرى منذ ارتكب تأليف كتابه (على هامش القرآن) .

(عبد العزيز الدسوقي)

ترى ما رأى لو جاء باحث بعد قرن من الزمان فنظر في التقارير الأمنية عن الدكتور لويس عوض فوجد أنها خليط شيوعى أمريكى فاتهمه بالذبذبة ، والتلون ، ونظرا في تراثه الفسكرى فوجد فيه ريح الطائفية فرماه بالباطنية والنفاق وفى تراثه السياسى فوجده متمصلا بأمريكا وإنجلترا فدمغته بالمهالة وكتب عنه فتحدث عن أسطورة لويس عوض وأن له دورا كان يؤديه لحساب مجرل وإن له ماضيا مرييا وتعاوننا كاملا مع جهة ما وأنه مزدوج الشخصية أو مثائها أو مربعا حسب الظروف وأن موافقه وتحركاته جملة من المتناقضات كل ذلك بوثائق أمريكية وإنجليزية وفرنسية .

(شاكر مصطفى)

١ - في أغلب ما يكتب يبدأ بإصدار أحكام مسبقة يكون مصدرها أو هام في عقله أو متاهات في وجدانه أو أغراض شخصية بحته ثم يتبع هذه الأحكام ببراهن وأدلة بعمدة عن الحقيقة كل البعد .

٢ - أنه يخاطب القارئ في شيء كثير من التعالي فيحشو كلامه بعبارات مبهمة .

٣ - يعمل في أبحاثه على أن مصر تتسول الثقافة على كل باب تطرقه أو في محاولة لإثبات أن في مصر فراغا ثقافيا .

٤ - الاصرار على أن الثقافة المصرية الحديثة مستوردة من أوروبا جملة وتفصيلا ومحاولة إلغاء عروبة مصر وتأكيدها إنتيائها إلى الغرب ، الاقلال من شأن الثقافة العربية .

٥ - في الوقت الذي يتمسك بدينه فهو يحاول ترديد كلمة العلمانية وهي عكس كلمة الذنينة .

٦ - يحاول في جميع دراساته عن التاريخ أو الثقافة أو الفن أن يزيغ الأثر الإسلامي الواضح في ثورة ١٩١٩ أو نظام الحكم أو المجتمع ويحاول أن يردد ذلك كله إلى الفرعونية في محاولة باطلة خادعة لا تقنع أحدا فالأثر الإسلامي واضح في جميع حركات التحرر والمقاومة وقد شهد بذلك مؤرخون أجنب منصفون .

1. The first part of the paper is devoted to a general discussion of the problem of the existence of solutions of the system of equations

which are satisfied by the functions $u_i(x, y, z)$ and $v_i(x, y, z)$ in the domain D of the space E_3 bounded by the surface S .

It is shown that the necessary conditions for the existence of solutions of the system of equations are satisfied in the case of the boundary value problem of the theory of elasticity.

2. The second part of the paper is devoted to a detailed analysis of the problem of the existence of solutions of the system of equations in the case of the boundary value problem of the theory of elasticity.

It is shown that the necessary conditions for the existence of solutions of the system of equations are satisfied in the case of the boundary value problem of the theory of elasticity.

الفصل الرابع عشر

مدحت وأتاتورك
(الرد على عبد الحميد الكاتب)

1

the first of the

the first of the

(١)

المؤامرة على تركيا الخلافة مؤامرة على الإسلام بدقها مدحت . ووسطها
الاتحاديون . وختامها أناؤورك .

لماذا هذا الحقد الشديد البالغ من أقلام عربية لكتاب مسلمين جغرافيا على
الخلافة الإسلامية والجامعة الإسلامية . والوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي
الذي تشرق في هذه الأيام شمس وتبدو علاماته وتعلو راياته بعد أن تعددت كتابات
الكتاب عن الصحو الإسلامية بأنه « ضربة موفقة » أو قبول أحد المؤرخين
الشعوبيين : « وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية إلى الأبد » !

وقد نسي هؤلاء وأولئك حديث رسول الله ﷺ : « إن أول دينكم نبوة
ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله ثم تكون
خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم يكون
ملكا عاصيا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله . ثم يكون
ملكا جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون
خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقى الإسلام بحجراته على
الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض . لا تدع السماء من قطر إلا
صبته مدرارا ، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئا إلا أخرجته ، وما ينطق
عن الهوى . وهذا الحديث الصحيح يؤكد عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى على
نحو أوثق صلة بحكم الله ونظامه الذي جاء به القرآن الكريم . وقد كان سقوط
الخلافة الإسلامية حدثا ، خطيرا لم يكتب عنه بعد ، وكان له أثره في نفوس
العاملين في حقل البقعة الإسلامية . وقد كان مصدرا لقيام المفهوم الصحيح للإسلام
بوصفه منهج حياة أو نظام مجتمع . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت على

أهلها العهد بالعمل لعودة الخلافة الإسلامية متى شاء أوامها ، وما تزال الحركات الإسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة في هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الإسلامية العالمية هي بشائر الخير في هذا الطريق . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية أصبح اليوم عملاً ضرورياً بعد أن فسدت الدعوات الاقليمية والقومية ، وفي مقدمتها الجامعة العربية . ولا بد للمسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقيقى لمواجهة تأمر الغرب والصهيونية والشيوعية عليهم وهو إحياء جامعتهم وإقامة خلافتهم .

معلومات مسمومة :

ولست أدري لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسمومة كاذبة مضللة انتشرت زمنا وكانت أشبه بالمسلات ، روجها اليهود والمأزون ثم تبين زيفها وتكشفت الحقائق التى تدحضها ؟

لماذا العودة إلى الزيف بعد أن ظهرت الحقائق ؟

ولماذا الادعاء بأن مدحت مصالح . وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ؟

والحقيقة أن للرجلين ومن بينهما من رجال « الاتحاد والترقى » هم عملاء النفوذ الأجنبي والصهيونية . لقد تكشفت هذه الحقائق فى العالم الإسلامى كله ولم يعد فى إمكان كاتب ما أن يضل الناس بإعادة هذه الأكاذيب ورفضها ، وخداع الناس فى أمر رجل كان « الده حاخاما يهوديا مثل « مدحت » أو رجل هو من الدولة أصلا مثل « أتاتورك - إن دعاوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلا بتزييف « صفحة الدولة العثمانية » والسلطان عبد الحميد من أجل هدف معروف وواضح هو إسقاط هذا السلطان ، وإزالة الدولة العثمانية وهدم الخلافة الإسلامية لتمكين الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستيلاء على القدس !!

لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تجربة جديدة فاشدة أريد بها القضاء

على النظام الاسلامى وهدم الشريعة الاسلامية وإفسار نظام العثمانية والمادية والوثنية في المجتمع والتربية والسياسة في البلاد الاسلامية ، ومحاولة لجعله مثلاً أعلى للتقدم والتجديد . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاماً لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هذا الغزو التغريبي الذي جاءت ثورة إيران اليوم بمثابة الدليل الاكيد على فساد هذه التجربة وعلى سقوط هذا المنهج ومؤكده بأن المجتمع الاسلامى الاصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً يرفض العضو الغريب ، ويتأكد له بمدى التجربة المتصلة مع الديمقراطية الغربية والاشتركية الماركسية وفشلها أن السبيل الوحيد أمامه هو المنهج الربانى الاصيل، وإن الذين حرضوه طوال هذه السنين بالتماس المنهج الغربى (شرقية وغربية) سبباً للنهضة في العالم الاسلامى لم يكونوا صادقين في دعواهم فإن هذا الأسلوب في الاحتواء والعمل على صهر المسلمين في بوتقة الاممية الغربية كان من نتائجه سقوط الخلافة الاسلامية ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والقدس في أيدي الصهيونية ، والخيولة دون إمتلاك المسلمين لارادتهم وتطبيق شريعتهم الاسلامية والعمل على منعهم من أداء فريضة الجهاد ، أو إمتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الاسلامية القائمة على العدل والرحمة والأخاء الانسانى .

مدحت باشا :

إن الصورة التي رسمتها تلك الكتابات المسمومة لمدحت باشا كاذبة ومضللة . فلم يكن مدحت بطلاً قومياً ولكنه كان واحداً من قوى المؤامرة التي أعدت بإحكام للقضاء على الخلافة الاسلامية والدولة العثمانية ، وقد كان أمره مكشوفاً لدى السلطان عبد الحميد الذى كان قد وضع يده على مخطط الدوامة بالاشتراك مع أحرار الترك الذين كانوا قد جندوا لخطوة إزالة الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية من طريق الصهيونية بعد أن حققت قبل ذلك إزالة الجيتو بالثورة الفرنسية وما كان مدحت شهيداً في الحقيقة ، لأن الشهادة لا تكون للخونة ، وما قتلوه في

الحقيقة ولكنه قتل نفسه بخيائته لوطنه وللإسلام ، والعمل على تمكين اليهود من النفوذ ، وهو من الدونمة الذين دخلوا في الإسلام تقية لإخفاء هويتهم ، ولتدمير الدولة العثمانية من الداخل . وكان يعمل بتوجيه من المتآمرين المقيمين في باريس ، والمتآمرين المقيمين في سالونيك . ولم يكن الدستور الذي دعا إليه مدحت إلا محاولة لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامي والشرعية الإسلامية وتغليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتمكينها من الانقضاض على الدولة .

وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ما تهدف إليه المخططات الصهيونية . ولقد شهد المؤرخون المنصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تساحت إلى أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، ومكنتهم من أداء عباداتهم وإقامة شعائهم ، وفتح المدارس وإقامة الجماعات إلى الحد الذي كان عاملاً من عوامل تمسكهم من التآمر على الدولة وإسقاطها . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة في الحقيقة لأنه وقف أمام مظالمهم وأهوائهم ، ورد (هرتزل) عن محاولاته ومؤامراته بالرد الحاسم وسمع من ممثل اليهود أن ذلك سيكلفه عرشه أو حياته فلم يتردد في تضحيته وقد كشف السلطان عبد الحميد في مذكراته دور الدونمة ورجال الاتحاد والترقي .

الانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية :

وإذا كانت هناك محاولة للانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية ، واتهامها بالتقصير . فإن هناك ما يؤكد كذب ذلك ، وما أورده جمال الدين في حديثه إلى الخزومي باشا في كتابه (خاطرات جمال الدين) يكشف عن مدى قدرة السلطان عبد الحميد على فهم تيارات الغربيين ، وقدرته على ضرب مخططاتهم وضرب بعضهم ببعض . ولقد قام السلطان عبد الحميد بإعلان تلك الصيحة المفزعة التي عجبت به . وهي قوله : (يا مسلمي العالم اتحدوا) وكان هدفه أن يجمع المسلمين من هم خارج الدولة العثمانية (العرب والترك) تحت لواء الخلافة والوحدة . ووزع الغربيون واليهود من ذلك نوعاً شديداً ، فقد مضى إليه بخطى حاسمة وحقق نتائج هامة .

واقعد كان عقلاء المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن المحافظة على الدولة العثمانية إحدى العقائد الإسلامية بعد التوحيد والنبوة . ومن ذلك محمد عبده وشكيب أرسلان ورشيد رضا وغيرهم . وقد كانت الدعوة الحقيقية هي محاولة إصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتهديل تنظيمات الحكم دون إسقاط الدولة وكان ذلك فهم أحرار العثمانيين والعرب جميعاً ، وقد كان هذا ممكناً لولا ذلك الدور الذي قامت به الماسونية واليهودية العالمية في سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإحلال نفوذ الاتحاديين أعوانهم الذين تربوا في محافلهم . والذين سلموا لهم فلسطين ، وسلموا للإيطاليين في طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يحدهمودا ويقضوا عليها .

وحدة إسلامية وليست عنصرية :

كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن علاقة استثمار بل إن كلمة استثمار لا تطلق إلا على النظام الغربي الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لواء الأخوة الإسلامية ، واستعانة البلاد المستضعفة بالدولة القوية ، والمصريون والجزائريون وغيرهم هم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها خوفاً من تجدد مؤامرات الحروب الصليبية .

زيف ما في كتب الموارنة وأتباعهم :

ولا شك إنه من أكبر أخطاء الباحثين هو إعادة نشر ما جاء في الكتب المدرسية ودراسات التاريخية السابقة لظهور بروتوكولات حكماء صهيون ، عن السلطان عبد الحميد وركيا العثمانية . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعوانهم من الموارنة . أما اليوم فإن الرؤية التاريخية المنصفة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف الباحثون عند الحملات الكاذبة المضللة وتجاهل الرؤية الصحيحة لإبعاد الواقع التاريخي ، لقد حملت كتب جورجى زيدان وأحمد أمين وغيره صورة

مضلة رائفة للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية الاتحاديين الذين علقوا العرب على المشاق ومكنوا للصهيونية وحطموا الدولة العثمانية ، وهم الذين تربوا في أحضان المحافل الماسونية . وعلى الباحث المنصف أن يرجع إلى الإضافات الجديدة التي ظهرت بعد الخمسينات والتي تكشف فساد ما كتبه جورجى زيدان وفارس نمر وسليم سرريس .

والجديد يخلو الحقيقة ، فما كتبه جواد رفعت ومحمد جميل بهم ، وعبد الله التل والعقاد وخليفه التونسي وعجاج توبعض ونوفيق بزو فإن هذه الكتابات قد غيرت تلك الصورة الزائفة التي ما زال يعتمد عليها خصوم الاسلام .

والقضية : أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف في طريقهم نهائيا عملوا على تصفيتة ، ومهدوا لذلك باتهامه بالاستبداد والفساد ، وأذاعوا ذلك في صحف الموارنة في مصر مثل المقطم واللال والمقطف وغيرها .

ثم جاء أحد أمين وأمهاله فنقلوا منهم . لأن الحقائق لم تكن قد كشفت بعد ، ولم تكن البروتوكولات قد ترجمت إلى العربية ، فلماذا هذا التزييف بحجب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلاء شأن مديحت وأتاتورك ، وهما من هما في الخيانة والتبعية .

حقيقة أتاتورك :

إن أتاتورك في الحقيقة لم يكن مجاداً ولا مصلحاً ، وإنما كان تلمة الاتحاديين لقد أخرجوا دوره في المرحلة الأولى قبل الحرب ليمتلى الدور الثاني . فالاتحاديون أسقطوا الدولة العثمانية بأن أدخلوها الحرب لتصفى مايتها ووجودها . وجاء أتاتورك ليفرض عليها اللون الغربي ، وينقلها نقله واسمها عن دولة الخلافة الاسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية ، ويقضى على الاسلام تماما ، ومعامدته السرية المعروفة التي عرفت بمعامدة لوزان تكشف ذلك في وضوح .

وقد استطاع أتاتورك إخفاء وجهه الحقيقي حتى يؤدي دوره كاملاً بخدع المسلمين في المرحلة الأولى بالصلاة وإمساك المصحف ، وطلب الدماء منهم . أما دوره في الجهاد في أزمير فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفاً ، وأن غيره هو الذي قام بدور البطولة ، وأنه استلب منهم هذا الجهد وحطمهم ونسبه إلى نفسه .

ولقد كان أتاتورك عميلاً غربياً كاملاً ، وعميلاً صهيونياً أصيلاً ، وقد أدى دوره تماماً ، وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التي تركت آثارها من بعد على العالم الإسلامي كله ، والتي كشفت الأحداث في الأخير فسادها ، وتبرأ الأتراك المسلمون من تبعها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصاله مرة أخرى دليل على أنها كانت تجربته زائفة مضادة للفطرة ولطباع الأشياء ، والدليل إن المسلمين لم يتقبلوها بل رفضوها ، وقد كشف أكثر من مستشرق وفي مقدمتهم (هاميلتون جب) إن العرب لن يقبلوا في برائن هذه التجربة التي خرجت بهم عن الأصاله وعن الذاتية الإسلامية .

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال أتاتورك أنه عندما أحس بدنو أجله أن دعا السفير البريطاني ليتولى بدلاً منه رئاسة الدولة التركية . وكان كعلامة من علامات الخسة والنذالة والخيانة !!

وقد صفع المؤرخ العالمي أرنولد تويني التجربة السكالية التي يفخرون بها ويعدونها الآن بعد أزرفضها أهلها وحكموا بفسادها . يقول تويني : إن الأتراك كانوا عالمة عن الحضارة الغربية وأنهم تغربوا ولم يقدموا أى شيء إلى هذه الحضارة ، فكانوا عاجزين عن الابداع في أى مجال من مجالات الإنتاج .

والواقع أن مضعفنى كمال أتاتورك لم يكن كما يدعى المدعون شيئاً جديداً ولكنه كان حلقة في المؤامرة التي بدأها مدحت وكان وسطها رجال الاتحاد والترقي للقضاء على السلطان والدولة العثمانية . ثم ختمها أتاتورك بالقضاء على الخلافة الإسلامية ، ولا ريب أن انتفاص قدر الدولة العثمانية وحكمها بجاف لواقع

التاريخ ، وهو من عمل أتباع التغريب والشعوبية ، وقد جرى ضمن مخطط يرمى إلى إثارة الخلافات والخصومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، وكان دعة للوقعة بين العرب والترك والفرس ، وهم عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن وقادها محمد ﷺ وآمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك خلافات فرعية فإنهم جميعاً أمة واحدة ، ولو كان هناك قليل من الانصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا المزيين لراجع الكاتب ما كتبه أستيدورت وهو غيبي في كتابه (حاضر العالم الإسلامي قبل أربعين عاماً) وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ودورها الذي قامت به في وجه الصليبية الغربية .

أما صيحة العناصر والأجناس التي حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية فإنها لم تكن كذلك في ذلك الوقت ، وإنما هي المؤامرة التي عمد النفوذ الأجنبي بها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية ، أما المسلمون فلم يكونوا يعرفون مصيرية وسورية وجزائرية وغيرها ولا كلمة العروبة نفسها ، ولكنهم كانوا مسلمين فحسب وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الإفليسيات والقوميات بتحريض عناصر غير مخلصين لتفكيك عرى الوحدة ، وهم هذه الجامعة الإسلامية التي كان الغرب يخشاها ، ولإقامة قومية زائفة هي القومية الصهيونية .

ولا ريب أن الأسلوب الذي اتخذ في إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الإسلامي في تاريخه كله وهو من صنع المؤامرة الصهيونية التلودية التي استطاعت أن تحمي وتحرك هذا الخداع عن طريق قوة عسكرية تتحرك هاتفة بإسم السلطان خدعة ثم تكون في نفس الوقت متأمرة عليه لخدمة هدف ضامض على كل الذين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل وهو إعانة اليهود إلى فلسطين .

كذلك فإن ما قام به أتاتورك لم يكن نصراً عسكرياً أو سياسياً وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربي : وتوقيع ملحق معاهدة لوزان وهو الذي فتح الطريق إلى كل شيء ، وبه حلت جميع المشاكل ، وانسحبت كل الجيوش ، وتحقق ما يسمى النصر والاستقلال ، وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب في

تمجيد البطل الذي لم يكن إلا عميلا من عملاء الخيانة لحساب الصهيونية العالمية ،
والنفوذ الغربي ، والشيوخية أيضا فإن الشيوعيين هم أول من عارته لقاء موقفه
من عداء الاسلام .

ولا شك أن الضربة الذي وجهها أنا نورك إلى الخلافة الاسلامية قد فتحت
صفحة خطيرة في تاريخ الاسلام الحديث ، وأن الذي فرحوا لذلك من كتاب
يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدى النظر في فهم الأمور
وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حافلة بالحق والكرامية للإسلام ، وأن
الخلافة الاسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هي العنوان الحقيقي للجامعة الاسلامية
وللتضامن الاسلامي ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الاسلامية
(وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وغتدها ستنتكس رؤوس الظالمين .

المعاهدة السرية

التي عقدها أتاأتورك والتي سميت بشروط كرزن الأربعة

ينص بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣
المعروفة بشروط كرزن الأربعة على ما يلي :

- أولاً - قطع كل صلة بالإسلام .
- ثانياً - إلغاء الخلافة الإسلامية .
- ثالثاً - إخراج أنصار الإسلام من البلاد .
- رابعاً - اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام

الفصل الخامس عشر

كيف سرق غاندى الحركة الوطنية من المسلمين

غاندى

غاندى سرق الحركة الوطنية من المسلمين

الهندوسى المتعصب الذى أخفى هندوسية البغيضة وراء المفزل والشاة .
 وكان أول سياسى طالب بتأجيل الاستقلال متادياً بمهادنة السلطة وعدم
 مناوأة حكومة الاستعمار .

وكانت فلسفة غاندى التى استقاها من تولستوى ولقنوها لنا فى الشرق هى
 التغاضى عن تصرفات المستعمر والاستسلام له .

والحقيقة أن الزعماء المسلمين هم الذين أعلنوا استقلال الهند الحقيقى وعينوا
 قضاة المحاكم وحكام المقاطعات وتجاهلوا جميع كل السلطات وقد ظهرت آثار
 المسلمين واضحة فى الحركة الوطنية وضعفت وطنية الهندوك لمحاربوا المسلمين بكل
 سلاح حتى سلاح الفتنة الوطنية والفساد الرخيص .

* * *

كان السؤال : حول غاندى وتكريمه ، والأحاديث التى تنشر عنه
 فى الصحف ، وتصويره بصورة البطل : ومحاولة القول بأنه كان رمزاً
 للمصريين إبان الحركة الوطنية المصرية بعد ثورة ١٩١٩ وكانت الإجابة
 كالآتى :

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند فى أحضان الحركة الإسلامية . وقد
 ازدهرت الاستعمار البريطانى هذه الخطوة فعمدوا إلى القضاء عليها بأسلوب غاية
 فى المكر والبرائة فقد نعى المسلمون عن قيادة الحركة الوطنية وأسلبها إلى
 الهندوس ، وأجراها على الأسلوب الذى سيطر على الهند بعد ثورة ١٨٥٧

التي قادها المسلمون وكان الاستعمار البريطاني حرصاً على ألا تتحقق للمسلمين السيادة
على الهند بعد أن ظل الإسلام يحكم الهند أكثر من خمسمائة عام إلى أن أزاله
الإنجليز .

والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح
لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد
الإسلامية ، انتشرت في دلهي ، و « لكتو » ولم تلبث أن حققت تقدماً واضحاً
و النجاة . ثم اتجه العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة في
لكتو (بومباي) وكان يشرف عليها كبار المسلمين في الهند مطالبين بحقوق
المسلمين في كوطنيين وكان الهندوك قد أعلنوا لإنشاء المؤتمر الوطني العام وسموه
المجلس الملي الوطني الهندي العام . وكان غايته أن ينالوا حقوقاً سياسية تحولهم
السيادة على الأقليات (وهم لا يريدون من كلة الأقليات غير المسلمين) وفي
عام ١٩١٦ نهبت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود
الحسني أن يغادر الهند وقبض على أعوانه : أبو الكلام آزاد ، حسرت مهاني ،
ظفر الله خان ، محمد علي ، شوكت علي . ولما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨
أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات في قانون الهند . فاتفق
الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمر في لكتو يجتمع فيه زعماء
الفريقين .

وفي عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة سراح المسجونين السياسيين المسلمين ،
فاجتمع زعمائهم في لكتو بدعوة مولاي عبد الباري رئيس علماء أفرنجي محل
فتداولوا في تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال وكان له ظهر في هذا
الوقت تأمر الدول الكبرى على تمزيق شمل الدولة العثمانية . فأطلق هذه الجماعة
(جمعية لإنقاذ الخلافة من مخالب الأعداء الطامعين) وتأسست جمعية الخلافة في
بومباي (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميان حاجي خان .
ودخل في عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون في الهند ، ودعت اللجنة المسلمين
إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوزة الخلافة ، فأقبل المسلمون بمسجدهم وجمع ما لا يقدر
عن سبعة عشر مليون روبية إلى أصحاب ذلك كما يقول السيد عبد العزيز النظار

الرغم التونسي الأنهر في تقريره الذي قدمه للأزهر الشريف في يونيو ١٩٣٧ .
بعد زيارته للهند ودراسته لأحوال المسلمين هناك .

كان (غاندى) إلى تلك الآونة غير معروف في الهيئات السياسية في الهند ،
وكان متطوعاً في فرقة تريض الجنود ، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها كانت
جمعية الخلافة في بدم تأليتها فأقبل عليها وكان اسمه غير معروف إلا بين الأفراد
القلائل الذين عرفوه في المائل وجنوب أفريقيا . فتياهن به زعماء المسلمين
رغم تحذير المولوى (خوجندى) وكان على حملة به من قبل ، ويعلم من أمره
ملا يطعون بالأخص من ناحية تعصبه للهنداكة مع المسلمين . وشاءت العقلة
أن تتطوى هذه الحركة العظيمة على يديه . ففقد في جمعية الخلافة مقعد الناصح
الأمين وجعل يشير عليها باستئلاف الهنداكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية ،
ونددوه للسمى إلى ذلك فقام وطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق
ويقول المظلمون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنداكة ، ويتأمر معهم على شل
الحركة الإسلامية ولما عاد من الرحلة سعى إلى إقناع جمعية الخلافة بانضمام إلى
الكونجرس (المؤتمر الوطنى) الذى تأسس للملاحقة المسلمين وانتزاع حقوقهم
في الهند فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة
لارتكازاً على الثقة في (غاندى) وعقد الكونجرس اجتماعاً فوق العادة بعد
انضمام المسلمين إليه في مارس ١٩٢٠ في بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب
أكثرهم من المسلمين ولما تلى عليهم القانون الأساسى أقترحوا تعديل المادة التى
تقول بأصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ،
وشرعت الأحزاب الهندوكية منذ ذلك الوقت تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة
المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء إصلاحات . يارتاعات الحكومة
(البريطانية) لهذا التمييز وعدته فاجعة في سياسة البلاد وعلى أثره ألفت القبض
على الزعماء ، وزجهم في السجن . واجتمع قادة الحركة وعرض أبو الكلام
آزاد اقترافاً باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان (الأمة الهندية) وبأن الحكومة
الحاضرة غير شرعية . مع دعوة البلاد إلى مقاطعةها فوافقت الجمعية ، وانعقد على
على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) ناعلن موافقه أيضاً بالاجماع . وبعد أن جرى

فصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندى خطيباً وقال ، إن اتحاد الهندك مع المسلمين يبقى متيناً ما لم يشرع المسلمون في مناوأة الحكومة ، ويشهروا السلاح في وجهها . ورد عليه أبو الكلام آزاد فقال :

« إن غاندى يتصور أن أعمال المسلمين في الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادك فقد آن له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم غاندى أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا الله عز وجل وعلى أنفسهم . »

وشرعت الأمة الهندية عقب ذلك في مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المدني فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم ، وتخلى المحامون عن الدفاع أمام المحاكم . وأعاد الناس الرتب والنياشين ، والبراءات للحكومة ، وأحرق التجار المسلمون جميع ما في مخازنهم من البضائع الانجليزية ، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم في الحكومة فخل الهنادك محلهم وهاجر كثير من المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا أملاكهم وأرضهم في الهند وأشتدت المقاطعة في البنغال اشتداداً عظيماً ليس له مثيل ، فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين حتى إذا أعيى الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص في الصباح وتطلقهم في المساء لأن السجون لم تعد تستوعب للمعتقلين . وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) في كلكتا فقال :

لأنى شديدة الحيرة من جراء هذه الحركة واست أدري ماذا أصنع فيها .

ومن هذا السياق نستطيع أن نتصور قوة المسلمين في الحركة الوطنية ، وضعفها في الهندوكية ولا شك الهندوكى بالغاً ما بلغ من النشاط السياسي لا يستطيع أن يجابه الحكومة ، كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس . وقد اجتمع الزعماء المسلمون في عام ١٩٣١ وأعانوا استقلال الهند استقلالاً فعلياً وعينوا ولاية الولايات ، وحكم المقاطعات ، وقضاة المحاكم في جميع المدن . فكان الوطنيون يرفعون قضايهم أمامهم ، ويتجاهلون محاكم الحكومة ويذهبون لم تعطى أعمال الحكومة البوليس ، وحدثت إرتباك شديداً في

الدوائر العاليه بالهند غير أنها بدلا من أن تستعمل سلاح القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهي أشد خطراً ، وكان بطل هذه المناورات المهاتما غاندى ، فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل الوفاق القومى بين المسلمين والهندوك وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية بعد ستة أشهر . فقد نقل إلى اللورد الذى قال لغاندى :

« إن مصدر الحركة الاستقلاليه فى الهند هم المسلمون ، وأمدانها بأيدي زعماءها فلو أسرعنا وأجبناكم إلى طلباتكم ، وسامنا لكم مقاليد الأحكام ألا ترى أن مصائر البلاد آتية للمساكين . فماذا يكون حال الهنادكه بعد ذلك ؟ هل تريدن الرجوع إلى ما كنتم عليه قبل الاحتلال البريطانى وهل تفيدكم يومئذ كثرتكم وأنتم محاطون بالأمم الإسلاميه من كل جانب ، وهم يستمدون قوتهم منها عليكم . إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فاعلموا أن تسعوا أولاً لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومه وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين فى جميع الأعمال الحيويه وفى بلوغهم الدرجة المطلوبه فإنى أؤكد لكم أن حكومه بريطانيا لا تتعامل فى الاعتراف لكم بالاستقلال . »

وقبل انصراف غاندى أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد على) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه فى مؤتمر الخلافة ، وحمل فيه على الحكومه حملة عنيفه . يقول فى هذا التعليق :

« أن مافهمته الحكومه كان مخالفاً لما رادى ، فصدم غاندى بالأمر ودعا محمد على لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير اللورد فكتب البيان تحت التأثير السحرى الذى كان لغاندى عليه . وما كاد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع فى جميع أقطار الهند بعد أن صورته الحكومه بمقدمة قالت فيها :

إن محمد على تقدم إلى الحكومه يطلب منها العفو عن الهفوة التى ارتكبها . »

وأتم محمد علي من المسلمين بالتراجع ، ورمى بالخسور والضعف غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر في كراتشي (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاةها . فتلقى منه الهناككة والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ولكن عقب انقضاء المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين من الزعماء : شوكت علي ، حسين أحمد ، كشار أحمد ، ير غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كتشلو . وساقتهم جميعاً إلى المحكمة المخدومة للمحاكمة . فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملاً بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن المتهم . ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام ، وحكمت عليهم بالسجن عامين مع الأشغال الموجبة لأهم . وبعد الحكم أصدر محمد علي سيف الدين كتشلو منشوراً بتوقيعها يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بعدم الاهتمام بما حصل وبعد نه بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم في ديسمبر بمدينة (أحمد آباد) سواء رضيت الحكومة أم كرهت لاعتقادهما أن الكونجرس سيعلم بصفة رسميه استقلال الهند ، وتأليف حكومه وطنية هي التي ستقرر الإفراج عنهم . ولكن الحكومة لم تأبه لهذا المنشور لأنها كانت واثقة من أن الكونجرس لن يفعل . ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر سنة ١٩٢٠) حضر غاندي وقال :

« بما أن الزعماء معتقلون ، ولا سبيل للسداولة معهم في منهاج أعمال المؤتمر فأعترح عليكم تعييني رئيساً للمؤتمر ، وتخويلي السلطة الطاقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الإجراءات » .

فوافقت اللجنة على ذلك دون أن تنسبه إلى ما كان يضره هو من المقاصد التي قد لا تتفق مع خطه المؤتمر ، وتقرر فيها أيضاً إسناد رئاسته مؤتمر الخلافة إلى أجمل خان ، ومؤتمر مسلم ليك إلى حسرت مهابي . وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندي للأحكام أجمل خان :

« إن إعلان الاستقلال في الظروف الراهنة غير مناسب » .

وما زال به حتى أقنعه بالحدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسلمون كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وما عساها تصنع لو تحلف غاندى عن الوفاء لها بوعده . وفي أغسطس ١٩٢١ أجمع الكونجرس تحت رئاسه غاندى في أحمد آباد فأعلن أن الوقت الذى يصرح فيه المؤتمر باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاج الأعضاء وماجوا . وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافة ، وتهيب الحكيم أجمل خان أن يشتر عاصفة من قبل المسلمين فأمسك عن إعلان الاستقلال . أما حشرت مهاتى فقد أعلن في مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تحرب بواسطتهم عن إرادتها في الاستقلال . فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومة الملقاة . فأمرت الحكومة بالقبض عليه وحكم عليه بالسجن عشرين سنة مع الأشغال ، وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة وخففت العقوبة إلى سنتين . وعقب ظهور هذا الفشل الكبير في سياسته البلاد إعترت المسلمين شكوك في تصرفات غاندى ، واستيقنوا أن زعماء الهنادكة متمقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين :

هذا هو النص الذى أورده العلامة الزعيم عبد العزيز الثعالبي عن دور المسلمين في الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه غاندى بالتآمر مع النفوذ البريطانى فانهار مخطط الاستقلال . وفي خلال سجن زعماء الحركة المسلمين تسلم غاندى الحركة وحوالها إلى وجهه أخرى مخالفه مما دعا المسلمين من بعد إلى المطالبة بكيان خاص لهم .

هذا هو غاندى في حقيقته التى لم تعرف في بلادنا وفي المشرق . والتى أخفيت عنا تماماً خلال تلك الفترة التى كان المصريون بتوجيه من السياسة البريطانية يعجبون بغاندى ويدعونه إلى الإستسلام للنفوذ الأجنبى وقبول ما يعرض وعدم العنف . وهذه هى الفلاسفة التى استقاها غاندى من تراسوى وذاعت كثيراً في بلاد المسلمين معارضه لمفهوم الاسلام الصحيح من الجهاد المقدس في سبيل

استخلاص الحقوق المغتصبة أبان الحركة الوطنية المصرية حيث كانوا يجحدون في غاندى وأخباره ما يؤيد النفوذ الأجنبي و يدفع الوطنيين المصريين ناحية التفاهم مع الاستعمار البريطانى ولذلك فإن هذه الصفحات التى ينشرها بعض الكتاب لرسم صورة مزخرفة لغاندى يجب أن لا نتخذ عنها كثيراً فإنه رجل هندوسى متعصب لهندوسيته كاره للمسلمين . وقد كان هو وتلميذه نهرو أشد عنفاً وقسوة فى معاملة مسلمى الهند ، وكانت أنديرا غاندى ابنته نهرو أبان حكمها قد حكمت على المسلمين فى بعض المناطق بتعقيمهم عن طريق العمليات الجراحية عملاً على الحد من تعداد المسلمين فى الهند . فيجب علينا أن نعرف الحقائق ولا نتخذ عنها الأوهام الكاذبة والصور البراقة التى يراد بها تغطيه حقيقة واضحة وجريمة كبرى هى أن غاندى فى الحقيقة سرق الحركة الوطنية من الزعماء المسلمين وتآمر عليهم مع الحكومة البريطانية وأدخل أمثال محمد على وشوكت على وأبو الكلام آزاد وهم من أقطاب المسلمين ، أدخلهم السجون ، وسحب بساط الحركة الوطنية بالتآمر من تحت أرجلهم ، وحال دون قيام حكومة هندية حرة يكون المسلمون فيها سادة . وذلك لخدمة الاستعمار البريطانى وتسليم الهند إليه لتحويل المسلمين إلى أقلية فيها مما دعا المسلمين إلى العمل على قيام باكستان والتحرير من نفوذ غاندى والهندوكية والاستعمار البريطانى .

راجع تقرير الشيخ عبد العزيز التعالى (البلاغ ١٩٢٧)

الفصل السارِسْ عَشْم

سارتر بین عبد الرحمن بدوی و آنیس منصور

جرى التساؤل في الندوة حول نظرية الوجودية بعد أن هلك سارتر وما هي الآثار متى تركتها على جبين الأدب العربي والفكر الإسلامي ؟

والواقع أن نظرية الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل . وإن حاول هذا الشقي أن يمد من عمرها باتتمائه في السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية إذ هو نصف يهودي كما كان يطلق عليه عباس العقاد لأن أمه يهودية . وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حتى أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين في غزة . فما أن غادرها حتى كشف عن هويته الصهيونية وأعطى الماركسيين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عمالتهم هم ، ومكره هو والذين رافقوه ومع هذه الطامة القاسية فإن كتابا مصريين وعربا مازالوا يذكرون سارتر ويتحدثون بمذهبه وبما يسمونه الوجودية العربية التي قادها عبد الرحمن بدوي وكان لها على فترة طويلة أعواناً . وكانت كتب سارتر تظهر في باريس بالفرنسية وفي بيروت بالعربية في وقت واحد . وربما ندم بعض الكتاب عن تبنيهم لسارتر ، وأحسوا أنهم أخطأ والطريق بعد أن قرأوا ما كتبه « جاك برك » مثلاً حين قال :

« إن سارتر عقل كبير ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسي وليس من الضروري أن يكون العقل الكبير عقلاً سياسياً ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يجابه من التيارات اليسارية ومنها الشيوعية بنوع من العقد نفسه .. ومن المؤسف أن سارتر الذي زنى معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به . لم يستطيع سارتر أن يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيوني . فاعتبر إسرائيل (صيححه) وقلب القصة فاعتبر إسرائيل (مدعى عليها) وقد بلغت الدعاية الصهيونية به أن يقاب الحقيقة التاريخية في أوروبا كلها . لهم ينفون أن يكون الوجوديون استعماراً » .

ويردد كثير من أنصار سارتر فشل سارتر وكيف تبخرت مفاهيمه التي ضللت الشباب العربي ردحا من الزمن ، وكيف انقشع بريق اسمه فظهرت الوجودية فلسفة للفوضى والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا النزعتين : الرأسمالية والشيوعية ورفضوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية فوضوية ومن ثم حاول سارتر أن يتقرب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثير من آرائه السابقة .

وفي مصر تقدم عبد الرحمن بدوي برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودي) ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك مع المستشرق بول كراوس وأعلن طه حسين أن عبد الرحمن بدوي أول فيلسوف وجودي مصري ، وقد قدم بدوي الفكر الوجودي وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلبث عبد الرحمن بدوي أن اختفى وطوته الموجة التي تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة ، وكشف الفكر الإسلامي عن أصالته في أنه يرفض كل ما ليس متمسكاً بقيمه الأساسية مهما بدأ يوماً وله بريق أخذ .
لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه . فقد أضحت عليه ظلماً مظلماً مازال يلاحقه .

وقد كان عبد الرحمن بدوي قبل سارتر تابعاً للفلسفات الباطنية والمجوسية يحميهما ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات قلقة في تاريخ الإسلام ويشيد بأعمال الروائي والحلاج وغيرهما من الزنادقة ، وإلى جانب ذلك فقد قدم في الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفي المتصل بوحدة الوجود والحلول وأشاد بالشيخ رزدي وابن عربي وابن سبعين : تلك الشخصيات الضالة التي عمل أستاذه الأول (ماسينيون) على إحيائها . وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها في الأدب العربي منذ أعاد ابنهات (إخوان الصفا) وكما سقط الفكر الباطني سقط الفكر الوجودي وأهارت تلك الصروح على رؤوس أعقابها (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم) .

ولإذا كان الأدب الغربي قد عرف وجودية كيركجارد ، وكامى ، وسارتر ، فإن ذلك كله مستمد من أصول أصيلة فيه تقوم على فكرة الخطيئة المسيحية ، أما في الفكر الإسلامى فإن محاولة زكى نجيب محمود عن الوضعية المنطقية وفؤاد زكريا عن الفلسفة الماركسية وعبد الرحمن بدوى عن الفلسفة الوجودية هى محاولات ضالة باطلة سرعان ما لفظها الفكر الإسلامى صاحب الصرح الشامخ القائم على فكرة التوحيد الخالص والأخاء الإنسانى والعدل الرحمة .

وقد ذابت محارلات إحياء الفلسفة الصوفية التى قادها بها (ماسينون) أربعين عاماً بإحياء الخلاج لأن المسلمين عرفوا طريقهم إلى التوحيد الخالص . فقد اسقطت حركة اليقظة محاولات إحياء الفلسفة ، والتصوف الفلسفى ، والكلام ، والاعتزال ، وجعلته ركناً حين أحييت (المنهج القرآنى) الأصيل حيث بدت كل محاولات الفلاسفة الإسلاميين المعاصرين وكأنها مقدمات موقوفة أنطوت صفحتها حين برز نور المفهوم القرآنى : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذى واجه المشائين القدماء أمثال ابن سينا والقارائى . وقد تكشفتم نزعتهم إلى الباطنية الإسماعيلية فى الأخير بعد أن خدع بها الكثيرون ، وحين يتنادى بإسمه علمان المستشرقين فإن الأمر لا يتجدد أحداً ، ذلك أن الحقائق التى تكشفتم قد ردت كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف .

يقول أنيس منصور :

من الضروري أن تغفل من جاذبية شخص كبير لتجسد نفسك ومعك حريتك . لقد وقعنا فى غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوى ذلك أن كثيراً مما رآه كان رقية هو والذى وجدته شافها كان مشككته هو ، والذى أحبه كان مزاجه هو ولكن فى السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينايها التى أفرعنا منها عبد الرحمن بدوى فلم أجدها كذلك .

ومكنا تبين أن هذه الحالة كانت باطلة ، بل إن أنيس منصور يبشرنا بأن سارتر عندما مات قال على مراثى الموت : لا شيء ، كل شيء عديم .

وبسبب أنيس منصور قائلاً : سارتر الفيلسوف الوجودى الملاحظ كانت آخر كلماته لا شيء . أى لا فائدة من أى شيء . فهو يرى أن الوجود والعدم لهما نفس المعنى كالليل والنهار لا ينفصلان ، ولا تعرف على أى شيء أجاب سارتر لآخر مرة بكلمة لا شيء ، لا فائدة ، لا معنى ، لا هدف ، كل شيء عدم ، أو كل وجود عدم ، أن كل موجود معدوم .

* * *

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين عاماً من عمره قضاهما في تحسين هذا الفكر وزخرفته وتقديمه إلى الشباب في عشرات من الكتب التي طبع منها مئات الألوف ليخدعهم عن الحقيقة وليزيغهم الواقع وليردهم عن الفهم الأصيل . عندما كتب مقالاته عن رحلته إلى الأراضي المقدسة ، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والعقائد ، وأن يصحح موقفه أمام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة . واليوم يصف فلسفه الوجودية بأنها فلسفة المقابر ، لأن سارتر تحدث عن الموت والدمار والخراب ، والوحدة والقلق والفرع ، والخوف والفتيان والعدم ، والتقت كل هذه المعاني السوداء في قلبه وفي خياله . هناك وجودية ملحدة عند سارتر وكامى وهيدجر واسيرز وأونامونو . ووجودية مؤمنة عند جابريل مارسيل ، وبرطائف ، وجاك مارتيا .

(إيمان بمفهوم المسيحية المثلية) .

وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامى الأصيل ويعرف زيف الوجودية جملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التي رسمها الذين الحق ، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما تمثل تجديداً خاصاً من بالشعب الفرنسى بعد سقوطه في قبضة ألمانيا إبّان الحرب . هذا السقوط الذى كشف كإفكار زعيمه « بيتان » عن انهياره الأخلاقى العاصف .

ولما كانت الصهيونية العالمية هي التي صنعت هذا بالامة الفرنسية فإذا قدمت سارتر على جميع أجهزة الإعلام والنداء لتفتيح صفحة أشد عنفاً من الانهيار

الخلق والاجتماعى . تلك التى صنعتها فلسفة سارتر بظهور إجماعات الوجوديين الذين تشكلوا فى الغرف المظلمة والحوارى الضيقة وتحت أسطح العمارات لمارسوا أسوأ صور الجنس ويعلموا احتقارهم للمجتمع . ومنهم نشأت بذرة (الهمجية) التى تعم الآن العالم كله .

كان أخطر ما فى الدعوة الوجودية إنكار الله تبارك وتعالى والسخرية بالأديان واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان وأن أثر التعاليم الربانية على الإنسان جد خطير لأنه يضيع عليه فرصة التمتع بالآهواء والترغى فى الشهوات . فالوجودى لا يؤمن بوجود الله (تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلقى يسود على الانسانية . الإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه بحسب . لا أمام الله . وهكذا نجد سارتر يدعو إلى الحرية المطلقة من كل قيد !!

ولقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دى بوفوار ، التى قالت لـ سارتر مصر فى صراحة تامة : نحن نريد أن نحطم (قوامة) الرجل ودعت إلى حياة زوجية محررة من « العقد الشرعى » كحياتها هى مع سارتر . ولقد كشفت إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر فى الفترة الأخيرة خفايا كثيرة فى هذه الزيارة اللعينة . فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسيمون كان رجلا يهودياً (كلود لانزمان) وهو الذى وجه الزيارة على النحو الذى أرادته الصهيونية . وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلوا سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشته هو أساساً . وذلك مثلاً حين كتب أحمد الشيويعين مقالا عنوانه (سارتر ضمير العصر) وكان سارتر يتساءل بعدها (أنا ضمير العصر كله ؟ أنا لست حتى ضمير نفسى) ثم يطلب ضاحكا من لانزمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب .

وتقول السكينة : « لقد سمع ورأى ! ولكنه لم يخطر بباله أن يهاجم سمع ورأى ! »

لقد كان استقبالي لسارتر أشبه بمظاهرة ، وكان كلامنا معه أشبه بالصدى في وادي مهجور . إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة في قيادته إلى أهدافها . فقد دست (كلود لانزمان) بفكره الصهيوني المغلف بطبقة زينة من الفكر التقدمي للتضليل . دسسته على سيهون في وقت كان فيه سارتر يتأرجح بين وجوديته والشيوعية فاستطاعت سيهون بتأثير دن (لانزمان) أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قواعده ويسير وراءها منوماً أو كالمنوم . فأنهر بما قدم إليه فترة . قبل أن يعود إلى قواعد سالماء . وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف في الطل وراء سارتر في كل زيارته ليسمعه صوته (هرتزل) واضحاً مجلجلاً وهو يهتس به إليه .

كان في مارس ١٩٦٧ وفي نوفمبر من نفس العام اكتسحت الصورة . فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر في سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيهون وفرانسواز جيرو وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التلفزيون الفرنسي كلمة سارتر التي قال فيها :

« إن قبولي لهذه الدرجة العالية التي أتشرف بها له مدلول سياسي فهذا القبول يعبر عن الصداقة التي أحملها لإسرائيل منذ نشأتها . »

هذا سارتر الذي كتب (المسألة اليهودية) وهو الذي زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذي شارك في المظاهرات ، ووقع البيانات المؤيدة لإسرائيل . وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بينما رفض من قبل كل الجوائز التي أهديت له بما فيها جائزة نوبل .

وكان سارتر قد قام بزيارته لإسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ ببضعة شهور . وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت في الأفق في مايو ١٩٦٧ فسارع سارتر وبمجرعه من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان في تأييد إسرائيل التي سيدمرها العرب . ولكنه إسرائيل بدأت بالهجوم ، واحتلت من الأرض ، وقتلت من العرب ، ودمرت فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه

إلا بعد أن اشتعل النضال الفلاطيني بعد الهزيمة ، وامتدت نيرانه إلى بعض العواصم الأوروبية .

وبعد فلقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب . لأن دعوته هي نوع من هوى النفس ، وهي مواجهته لتجد عاشه في عصره . ولكن الزمن يتحول ، والفكرة التي تكون اليوم استجابة لوضع معين . . فإنها سرعان ما تسقط مع تحولات الزمن والبيئات . ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهباً قائماً أو مستمراً . وهكذا كل الأيداء حيمات البشرية التي صنعها الفلاسفة وظنوا أنهم قد استطاعوا بها حل مشاكل عصرهم . ذلك أن هناك منهجاً واحداً : هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان في كل العصور والبيئات . ذلك هو منهج الله الحق (لا إله إلا الله) .

1. The first part of the paper is devoted to a discussion of the

main results of the paper, which are the following:

(a) The first part of the paper is devoted to a discussion of the

main results of the paper, which are the following:

(b) The second part of the paper is devoted to a discussion of the

main results of the paper, which are the following:

الفصل السابع عشر

طه حسين

(١)

عميد الأدب العربي الذي ما زالت مؤلفاته تحمل بموم الاستشراق
وتهاجم الإسلام والقرآن

(عن مجلة الاعتصام - عن مجلة المجتمع) (القعدة ١٣٩٢ - ١٩٧٣)

استطارت في صحف البلاد العربية كلمات عجلى واقطعات سريعة خاطفة حاولت
أن تسد فراغا صحفيا على وجه السرعة فلم تتمكن من أن تراجع التاريخ أو تثبت
من الوقائع ، وربما صاحب ذلك هوى من شأنه أن يتعارض مع الحق ، وربما
كانت كتابات بعض المتصدين في مجال الصحافة ممن لم يحسنوا مراجعة الآثار
المكتوبة حول القضايا المثارة ومنهم من شهد السنوات الأخيرة فنشأ طفلا يرى
(طه حسين) رجلا كهلا تحيظه هالة ، أو تدرس كتبه في الجامعات أو يشرف
على بعض المؤسسات الثقافية واللغوية فظل هؤلاء - وبعض الظن لثم - أن الرجل
له تاريخ مشرف جدير بأن يشاد به ويرثى ولقد حوت كتابات الكتاب الكثير
من الخطأ ومن الهوى ، ومن عجب أى بعض المؤمنين لحق بمن كتبوا عن الإسلام
أو هاجموا به من خصومه أمثال لويس عوض وسلامه موسى وغيرهم فأخذوا يسقطون
في هوة الخداع إزاء طه حسين وهو أشد خطراً من هؤلاء جميعاً وأبعد أثراً .

ولسنا الآن في مجال الحديث عن موقع طه حسين من الأدب العربي أو الفكر
الإسلامي فذلك أمر له من بعد دراسات ومراجعات ولكننا نقف عند حد تصحيح
بعض الأخطاء التي تضمنتها هذه المرائى التي أعادت الرجل حياً بعد أن مات موتاً
مغنياً منذ عشر سنوات عندما توقف عن الكتابة ودأبهم المرض الذي كان حنيا
بأن يفسح له سبيل العودة إلى الله لو أراد ولقد كان يتردد في هذه السنوات بل
كان الدكتور نفسه يقول :

لأنه لا يسمع من الإذاعة غير القرآن المرتل وكان بعض السذج من الناس يقول : لقد تاب الرجل وأتاب .

وكذلك قالوها يوم أصدر كتابه (على هامش السيرة) ولكن الفهم السليم للإسلام يدعونا إلى أن نتحرز من مثل هذه المظاهر الكاذبة وأن نتعمق مفهوم التوبة في الاسلام وهو مفهوم يفرض على صاحبه أن يرجع عن كل ما خالف به أصول الاسلام أو حقائق القرآن وأن يمان ذلك على الملأ وأن يحجب مؤلفاته التي نشرت ذلك من قبل ، بل وعليه أن يصحح ذلك ويوضحه وأمامنا مثلاً :

مثل في القديم هو (أبو الحسن الأشعري) حين خرج عن فتنه الاعتزال إلى ضوء السنة الصحيحة فإنه لم يلبث أن وقف في المسجد الجامع بعد الصلاة على كرسي عال وأعلن توبته بل وخرج من ملبسه وقال : لقد خرجت من الأثم الذي كنت فيه كما أخرج من ثوبي هذا وألقي إلى الناس مؤلفاته الجديدة التي يعارض بها قديمة الذي خرج عنه وأمامنا الدكتور محمد حسين هيكل الذي أعلن في مقدمة كتابه (منزل الوحى) أنه قد خاض في شبابه لجم النظريات وكان مخطئاً حين حاول أن يختار ابنى وطه فسكر الغرب أو منهج الفرعونية وأنه عاد إلى الحق حين تبين أن الاسلام هو المنطق الوحيد للمسلمين إلى النهضة .

فهل فعل طه حسين شيئاً من ذلك إذا كان حقيقة قد تحول . نحن نعتقد أن طه حسين لم يتحول حتى مات عن مفاهيمه الأولى وأنه أصر على فكرة إصراراً كاملاً حتى حين كتب إسلامياته المتعددة وأن المراجعة الدقيقة لهذه المؤلفات تكشف عن أنها تحول في المظهر أو كما يقول الغربيون أن طه حسين غير جلده أو أنه حين سقط في نظر الناس بعد كتاب (الشعر الجاهلي) إنما أراد أن يعود إليهم كاسباً ثقتهم بالكتابة عن « هامش » السيرة وكانت خدعة أخرى كشفها صديقه ورفيقه على الطريق في المرحلة الأولى الدكتور هيكل حين قال إن إحياء الأساطير في هامش السيرة خطر على السيرة نفسها لأنه يعيد إليها ما حررها عنه

علماء المسلمين أربعة عشر قرناً وحرصوا على حمايتها منه وقال عنها مصطفى صادق الرافعي إنه تنهم صريح .

لقد خدع طه حسين الكثيرين بكتاباته الإسلامية ولكن هذا الخداع لم يطل فقد كشفه كثيرون في مقدمتهم محمود محمد شاكر الذي كشف فصولاً متعددة عن (الفتن الكبرى) .

* * *

من أبرز ما يحاول الذين رثوا طه حسين أن يثبتوه أن طه حسين في مؤلفاته وكتاباته كان خصماً سياسياً للذين هاجموا وألبوا عليه وأن ما أورده في كتبه لم يكن على هذا النحو من الخطر في مهاجمة الإسلام .

وذلك هو أسلوب الاستشراق في مواجهة الأمور وهو نفس أسلوب طه حسين الذي كان إذا أراد أن يهاجم الإسلام هاجم الأزهر وإذا أراد أن يرد عادية خصومه قال إنما يهاجمون حزبه السياسي ولقد حرص طه حسين حين اشتدت الحملات عليه عاماً بعد عام بعد كتابته الشعر الجاهلي أن يتفصل من معسكر الأحرار الدستوريين وأن يُلجأ إلى معسكر الوفد حتى يحتفى به .

وقد أكسبه ذلك سداداً ضخماً لعائنه - ليس فقط على الاستمرار في الحركة - ولكن ممكنه من توصيل إلى ضربة أخرى وجهها إلى الفكر الإسلامي تلك هي كتابته :

« مستقبل الثقافة » وكذلك فقد استفاد طه حسين من السياسة في التي حتمته من العزل ومن المحاكمة ومن أشياء كثيرة ، بل هي التي كانت تسهل له أن ينتقل بالرغم من مواصلة كشف أسائيه - من منصب أستاذ الجامعة إلى عميد كلية الآداب إلى مدير الجامعة إلى وزير المعارف .

وإذا كان رثاء طه حسين يريدون - كما أن يصدقوا الناس ويقولوا لهم أن

طه حسين عندما كان في حزب الأحرار الدستوريين - قد هاجم سعد زغلول بأكثر من (مائة مقال) في خلال سنوات (١٩٢٢ - ١٩٢٧) حتى وفاته فلما تحول طه حسين إلى الوفد بعد ذلك كتب عن سعد زغلول وخطب يرفعه فوق هام الدهر دون أن يحس بالخزى أو الخجل ودون أن يرى إبتسامات السخرية من سامعيه وقارئييه لكذبه في الأولى نفاقه وفي الآخرة وتضليله وغشه .

وتردد مرأى طه حسين عبارات تقول أنه اضطهد ككل أصحاب الرسالات فأى نوع من الاضطهاد شهده طه حسين . هل أعتقل ليلة واحدة في أى عهد هل قدم للسحاكة مرة واحدة . هل عذب ؟ هل حيل بينه صيف واحد وبين السفر إلى فرنسا حتى في أشد أيام أزمة الشعر الجاهلي . لم يحدث ذلك قط وإنما كان ذلك من لغو القول وباطله .

إن طه حسين كان يعرف أنه في حماية قوى كبرى ربما ليست ظاهرة ولكنها تحتفى وراء الأحزاب، وراء عدل وثروت ، وتلتمس أسلوها إلى ذلك بالعطف على الكفيف والرحمة بالجنون . كما قال سعد زغلول للأزهريين : هبوا أن رجلا مجنوناً قال ما قال ، وماذا علينا إذا لم يفهم البقر !!

ويردد أصحاب المرائى أن لطفه حسين حياة حافلة بالنضال ولكنه أى نضال ، لقد بدأ طه حسين حياته في محيط حزب الأمة الذى أنشأه كرومر وفي أحضان لطفى السيد داعية الولاء للاستعمار البريطانى تحت إسم ممر البصريين وعدو الجامعة الإسلامية والعروبة والشريعة الإسلامية واللغة العربية وتعليم أبناء الفقراء .

ولقد لقي طه حسين في حياته (عبد العزيز جاويز) وبيته الحزب الوطنى ولكنه سرعان ما أعرض عنها ، لأنها ليست ممهدة الطريق ولأنها كانت تحمل مفاهيم النضال والجهاد ، وكسب صلاته بأصحاب البيوتات وفي مقدمتهم آل عبد الرزاق الذى كان أميراً لدى عطفهم ومعونتهم ولما عاد من أوروبا اندمج في حزب

الأمة المجدد تحت اسم (الاحرار الدستوريين) ولم يدخل الوفد إلا بعد أن فقد الحزب أمانته الأمة وانصهرت فيه العناصر اليسارية والشيوعية .
أما أعلامه التي يشيدون بها فهي تنجلي صراحة في موقفه الظالم من أساتذته الذين عاونوه في أول الحياة والذين شقوا له الطريق فلم يلبث أن هاجمهم في عنف وحساف واحتقار ، بل وعارض مفاهيمهم الأصلية : وفي مقدمة هؤلاء الشيخ المهدي ومحمد الحصري وأحمد زكي باشا وأعلن أنه يرفض المنهج الذي رسمه الشيخ محمد عبده .

وقد سجل جميع الباحثين في سيرته وفي مقدمتهم أولياء الثقافة الغربية من أمثال إسماعيل أدهم أحمد أنه لم يكن عالماً ولا صاحب منهج ، وأنه صاحب هوى وغرض وأن ذلك الطابع يسود كل إنتاجه .
أما مفاهيمه العامة فقد أثار الدنيا حين أعلن أن العرب استعمروا مصر كالرومان وحرقت مؤلفاته في ميدان عام في دمشق ، وقال أن مصر جزء من حضارة البحر المتوسط ، وهاجم المجاهدين من أهل المغرب في رسالته وحسور استعمار فرنسا على أنه خدمة تظلم تقدمها لهم فرنسا . وكانت له مواقف في معارضة العروبة والرابطة الإسلامية في دعوته إلى تمصير اللغة وإلى تمصير الأدب ، وكلها دعاوى زائفة مشبوهة .

وكانت دعوته إلى الحضارة الغربية دعوى فاسدة لأنه لم يأخذ فيها بأسلوب الحقيقة أو أسلوب العلم بل كان حريصاً على أن تنصهر مصر والسلاط العربية في هذه الحضارة على النحو الذي صورته حين قال (أن تقبل من الحضارة ما يحسد منها وما يعاب وما يجب منها وما يكره) .

كان داعية الفناء في الغرب تحت خدعة زائفة ظل يروجها وكانت موضوع سخريه الناس لسذاجتها وهي قوله : أننا لن نستطيع أن نساوى الغرب إلا إذا سرنا سيرته ، وكيف يمكن ذلك وقد سارت تركيا ومع ذلك سخر منها الغرب (م = ٦١)

لأنها عجزت عن أن تقدم شيئاً في مجال العلم وما زالت عالمة عليه بعد أن فقتت شخصيتها الإسلامية .

ويكذب أو يخدع أولئك الذين يقولون أن طه استوعب ثقافة التراث أو أنه نقل ثقافة التراث أو أن وجهته في الكتابات الإسلامية كانت خاصة لوجه الله أو العلم أو الحق ، ذلك أن طه حسين قد أراد أن يتخذ من التراث منطلقاً إلى تحقيق جانب من رسالته المسعومة ، تلك هي إثارة الشبهات والروايات الباطلة ، والتقليل من جلال أبطال الإسلام ، وتصويرهم بصور رجال السياسة في الغرب المسيطرين على مطامع الحكم ومطالب الحياة والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفهم التراث أو يقدمه للمسلمين في هذا العصر إلا رجال آمنوا بالإسلام ديننا ونظام حياتنا وعصرت قلوبهم تلك الأمانة للإسلام والغيرة على معانياته ومنجزاته ، أما طه حسين فقد عاش حياته كلها يسخر بعظمة أمة الإسلام وبما في صفحاتها من بطولات ويفسرها طبقاً للمذهب الاجتماعي الفرنسي ، المتصل بالتحسين المادي للتاريخ القائم على الجبرية وهو مذهب يشكر عظمة النفس الإنسانية وجمال الروح ومكانة المعنويات . كان طه حسين كذلك إلى آخر ما كتب (مرآة الإسلام والشيخان) .

وكل ما يحاول الإغرار أن يجمعه من آرائه عن القرآن أو الإسلام أو التاريخ فإنما يقدم إليه مفهومه الباطل فيجعله هباء منثوراً ، فهو لا يرى في القرآن أكثر من أنه كتاب بلاغة ، ولا يرى في البطولات إلا أنها من نتاج البيئة ، ولا يرى في النبوة إلا أنها قدرة رجل عظيم استوعب فكر عصره ، فهو لا يؤمن بالنبوة ، وذلك واضح من كتاباته ومن مراجعات الباحثين لأثاره وهي كثيرة ومقدمتها كتاب غازی التوبة ومحمد محمد حسين والرافعي ومحمد أحمد الغصراوي وكاتب هذه السطور .

إن طه حسين مع الأسف لم يكن يؤمن بشيء ، كان ساخراً وكان مشككاً وكان متقلباً ولقد كدت أكتب عبارة (أولها حرف ر) .

وآية ذلك أنه ألقى الغمامة في البحر عندما ركب السفينة أول مرة إلى أورنا في مشهد درامى، تمثيلى، وأنه كان يقول القول وينقذه فقد أعلن أمارة العقاد للشعر ثم سحب ذلك في سنواته الأخيرة، أما قدره العلمى فقد كشف عنه سكرتيره ألبين برزان وسكرتيره زكى مبارك وظهر ذلك واضحاً في سقطات فاضحة .

من مثال قوله (وقد وقعت بين القيسية واليمانية معركة (مرجرات) ثم اتضح من بعد أنها (مرج راط) ولكن هكذا يكتبها المستشرقون وقد أشار زكى مبارك إلى ذلك في دعاية ساخرة حين قال : أن طه حسين دخل حديقة المستشرقين بالليل ليسرق ثمرة أر ثمرةين فصادفته هذه الثمرة المعطوبة (ولا شيء يستطيع أن يحمى طه حسين من شبهة الاتصال بالصهيونية أو اليهودية العالمية في مجال الفكر وربما عن طريق آخر بالإضافة إليهما) ربما تكون الماسونية . ولذلك قصة طويلة لها وقائمه الثابتة والأكيدة والمتصلة طوال حياته منذ أعلن عن عدم وجود إبراهيم وإسماعيل عام ١٩٢٦ إلى أن أصبح مديراً لدار الكاتب المصرى ١٩٤٦ وبين ذلك تاريخ طويل يمكن أن يروى في مقال متصل ويؤيده ما قاله شارل مالك في رثاء طه حسين .

هناك سؤال : لماذا انقلب إسلامياً داعياً إلى التراث ؟

الإجابة السريعة قبل إيراد التفاصيل هى محاولة تمكينه من أن يكون مرجعاً إسلامياً يستغله التبشير والإستشراق في السنوات الخمسين القادمة ولذلك فقد حوله من مغايله الجماهير إلى إرضاء الجماهير ، إرضائها بالخداع والزيف .

وكلامه عن الإسلام كله بمفهوم الإسلام الغربى المسيحى : أنه علاقة بين الله والإنسان ، عبادة ، لاهوت ، فكر باطنى ، مفهوم الحلول وليس أكثر من ذلك ، وطه حسين يعتقد ما كان يعتقد فولتير وريمان وغيرهما من التفرقة بين الإيمان بالقلب والفكر عن طريق النقل . هذه الازدواجية التى يعرفها الغربيون ويفخرون بها ، وتعنتها بعض الفصائل المضللة من توابع المستشرقين في البلاد العربية عن لا قيمة لهم ولا وزن ومن لن يتبقى لهم آثار ولا أعمال .

إن طه حسين بالعمل في مجال الإسلاميات منذ أصدر هامش السيرة ١٩٣٣

ونشره في الرسالة كان يفتح صفحة جديدة وأخيرة في تاريخه وتاريخ الفكر الإسلامي هي صفحة [تقديم البديل من أجل القضاء على الأصيل] ومع الأسف فقد شارك في هذا المخطط هيكل والعقادوا انكشف أمرهم عام ١٩٣٩ حين قال لهم إمام كبير :
بيننا وبينكم أن تؤمنوا بأن الإسلام نظام حكم ومنهج مجتبع ، فصحتوا صحت القبور . لقد عمد طه حسين من خلال كتاباته الإسلامية أن يصور الروابط بين الصحابة على نحو مؤسف ردي ، وكان قد أعلن من قبل في رده على العلامة : رفيق العظم احتقاره للتاريخ كما اتخذ في بعض الشعراء الما جنين دلالة على فساد القرن الثاني الهجري الخافل بأعلام المسلمين في الفقه والعلم والتصوف والادب والفكر كله .

لقد تحول طه حسين في أساليبه يخوض معركة أشد خطراً ، هي معركة تزييف مفهوم الإسلام والتاريخ الإسلامي ، وقد جرى في ذلك مع منهج الاستشراق الذي تغير في أواخر الثلاثينات حين تحول من مهاجمة الإسلام علانية إلى خداعه بتقديم طعم ناعم في أوائل الأبحاث ثم دس السم على مهل ومن خلال فقرات متواليات وكان هذا هو أسلوب الاستشراق اليهودي الماكر .

وقد استخدم طه حسين هذا المنهج ببراعة ونجح فيه . فلم يكن طه حسين يؤمن بالدين ولا بالتراث ولا بعظمة هذه الأمة ولا بأجادها الإسلامية ولا بحركة اليقظة فيها ، ولقد تهدمت كل أعماله قبل وفاته وخذلاته كل الكتابات الجديدة والايجابية عن الشعر الجاهلي وعن ابن خلدون ، وعن مفهوم العروبة المرتبط بالإسلام وعن هزيمة الفرعونية وعن إندحار دعوته إلى الغض من شأن الأزهر .

ماذا بقى من طه حسين بعد أحد عشر عاما من وفاته

كان السؤال في بدوة الاعتصام هو : لماذا الدكتور طه حسين وحده من دون كتاب مصر ومفكرهم هو الذى يقام له مهرجان سنوى فى جامعة المنيا ويقدم له عديد من المستشرقين وتهتم به الاذاعة والتلفزيون ويحشد له كتاب كثيرون لتمعجده وتقديسه وحتى الصحف كانت حامية له عندما يحاول أحد المفكرين أن ينقده أو يقدم عليه ملاحظة واحدة فأذا بالصحف تعجب لذلك كأنه قدس لا يجوز نقده .

والحقيقة أن طه حسين منذ سنوات طويلة قد أخرجه المؤرخون من كتاب الاصله والايان بالعروبة والاسلام فقد حمل حملات شديدة على الدين بهامه وعلى الاسلام بخاصه وعلى الأزهر معقل الاسلام واللغة ، وهاجم العروبة والعرب ووضعهم بأنهم استعمار شبيه باستعمار الفرنسيين والانجليز ، وقال أن مصر ليست عربية ولكنها عربية ، بالبحر الأبيض وبالتقافة اليونانية وقال عن نفسه أنه من أصل يونانى .

وقد أخرجه المؤرخون والباحثين من كتاب الاصله والايان بالمنهج العلمى منذ أن دعا إلى مزج الشك الفلسفى وعاش حياته يشكك فى كل شىء ، فى نصوص الادب والشعر والتاريخ الاسلامى واللغة العربية وقد فتح الطريق أمام شتى أعداء الاسلام من المستشرقين وبالغ فى (ديكارت) مبالغه خرجت به عن الحقيقة حين وصف نفسه بأنه وصل إلى وثائق لو أعلنها لاندك العربون ، ولم يعرف طه حسين أن مذهب [الشك طريق إلى الايمان] الذى دعا إليه (ديكارت) قد أخذه من مفكر إسلامى هو الامام الغزالى ومن كتابه (المنقذ من الضلال) فالمذهب الإسلامى المصدر ولكن طه حسين الذى كان يلموهم فى الأزهر لم يتعلم وقد جعل على نفسه الجمل بالمصادر الإسلامية .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ فتح باب السرقه من المصادر دون الاشاره اليها فقد ظل يدرس في الجامعة نظرية مرحليوث في انتحال الشعر الجاهلي سنوات وسنوات دون أن يشير إلى المصدر مع أن المستشرقين الذين معه كانوا يعرفون ، بل أن بعض الطلاب كانوا يعرفون ، وهذا ما كشف عنه الاستاذ محمود محمد شاكر في مقدمة كتابه (المتنبي)

ومن ذلك ما فتح الطريق إليه وشجع تلاميذه في هذا المجال الذي يعد الآن من المغامز الشديده الخطر في الحياة الأدبيه المصريه ، وهناك وقائع ثابتة - وليس هذا قول جزافي - وهناك أسماء معروفه في المجال الجامعي ، وسجلتها كتب صدرت في البلاد العربيه وفي مقدمتها كتاب الدكتور محمد نجيب البهيك (مقدمات الأدب والتاريخ العربيين) .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ حمل لواء الهجوم على أساتذته وعلى والده في كتاب (مع الأيام) وعلى الذين علموه ، وعلى الشيخ محمد عبده وأحمد زكي باشا شيخ العربيه والشيخ محمد الخطري وعملت أساتذته بل وزملائه أمثال أحمد أمين وزكي مبارك .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ تابع أعداء الاسلام من المستشرقين بالهجوم على ابن خلدون والمتنبي وأساء إلى خالد بن الوليد وكثير من الصحابه ، ومنذ يوم أنكر وجود (عبد الله بن سبا) اليهودي وسخر بكبار المسلمين ووصفهم بأنهم مجموعة من الساسيين المتصارعين .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ أنكر وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقال أنه لا يؤمن بهما بالرغم من ذكرهما في القرآن ، وبما قاله أن الاسلام بقي على هامش حياة المسلمين وأنه لم يستطع أن يرض نفسه على حياة المسلمين أصحاب الحضارات المختلفه ،

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه من كتاب الاصله منذ قلب بين

الأحزاب ، الأحرار الدستوريين يوما ومع الوفديين يوما ، بل وكذلك في الولاء الغربى فكان وليا للثقافة الفرنسية ، ثم عندما أصبح وزيراً نقل ولائه إلى بريطانيا ثم لما ظهر النفوذ الأمريكى بعد الحرب العالمية الثانية بدأ يقدم الفكر الأمريكى ويعلى من شأنه .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة منذ أيد الصهيونية وأنشأ مجلة الكاتب المصرى فى القاهرة وخطب فى مدارسهم وتحدث كذبا عن فضل اليهود على العرب فى مجال الأدب أو الفكر ، مع أن العكس هو الصحيح ، وفضلا عن أنه أمضى حياته كلها لم يكتب مقالا واحداً فى تأييد قضية فلسطين .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة بعد أن والى الشيوعيين ومفاهيم الماركسية وأيد كتابهم فى مصر وشجعهم على تحطيم التفسير الإسلامى للتاريخ بعد أن قدم تاريخ الإسلام من خلال التفسير المادى للتاريخ فى كتابه (الفتنة الكبرى) وهى الخطوة التى تابعتها بعد ذلك عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة بعد أن وصل فى المبالغة إلى الكذب ، فقد ادعى أن يطل روايته (أديب) استودعه صناديق من الأعمال الأدبية ستهز الدنيا إذا نشرت ، وقد ثبت كذب هذا الادعاء ، كذلك فقد ثبت أنه لا توجد هذه الوثيقة التى ادعى أنه عثر عليها عن ديكاوت :

قال أنه قدم وصل فى بحث ديكاوت إلى نتائج غريبة قيمة لو أعلنتها فرنسا لآتت كث لها السربون ولاضطرب لها الكوليج دى فرانس ولأعلن لها المجتمع الفرنسى لإفلاسه) هذه المجموعة من المخططات المدعاة لم تكن شيئا وإنما كانت كما ذكر الذين راجعوا هذه القصة مبالغة ، أراد أن يخدع بها خصومه من علماء الأزهر ، لقد تخصص طه حسين فى القصة المكشوفة ، ولا يستطيع أن

ترك هذا المجال دون أن نذكر ما قاله الأستاذ المازني عن طه حسين في كتابه
قبض الريح ص ٦٣ وما بعدها) ولقد لفتني في الدكتور طه في كتابيه حديث
الإرباء وهو ما وضع و (قصص تمثيلية) وهي ملخصة :

(إن له ولعاً بمتعقب الزناه والعشاق والفجرة والزنادقة)

ولقد ظل طه حسين مكشوفاً لجيله أكثر من أربعين سنة ، ولم يغلب عليه طابع
القداسة الكاذب إلا بعد أن مات الراحل والفقاد وزكي مبارك والعمراوي
وعجب الدين الخطيب وكل معاصريه الذين يعرفون خبيثته وهدفه .

أهذا هو أحد الشوايح الذي تنار المعارك من أجل الدفاع عنه ، بينما تتجاهل
هذه الدعوة الظالمة الزافعي ورشيد رضا وشكيب أرسلان وطاهر الجزائري وأحمد
تيمور والمولوي والكوكي وعلال الفاسي وعبد العزيز جاويز والسكري
والمولوي والمنفلوطي والزيات والعلابي وعبد الرحمن عزام وفريد وجدي
وطنطاوي جوهرى وكثيرون .

أهم الشوايح فحسب : طه حسين ولويس عوض وتوفيق الحكيم وزكي نجيب
محمود الذين ترفع لهم الرايات وتتخلل صحف كبرى عن تقاليد الصحافة فتفسح لهم
الكتابة في المحظور وتمنع من يرد عليهم أو يصحح لهم أن ينشر له شيء .

ويكتب أحد التفرجين الصغار يقول أن طه حسين ما زال يتحدث إلى الناس
حتى اليوم ، وهو لا يعلم أن كل أفكار طه حسين سقطت قبل أن يموت ، تحدث
عن الفرعونية وسقطت الفرعونية ، وتحدث عن أن الدين خرج من الأرض ولم
ينزل من السماء وهذه نظرية دور كايم الباطلة وأنكر وجود إبراهيم وإسماعيل
وإعترف بها رجال الآثار والحفريات ، وهاجم قدر المتنبي وابن خلدون وأشادت
بهم الدنيا كلها ودعا إلى أخذ الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوا ومرها
وكذب جارودي وغيره وسرق من اليهودى مرجليوت نظرية الشعر الجاهلي ليحطم
قاعدة من قواعد تفسير القرآن الكريم وقال أن في القرآن نظم ضميم ونظم

قوى وهى نظرية اليهودى جولد زيهير سرقتها أيضا دون أن يذكر، وقال أن مصر غربية وليست عربية وهى نظرية الاستعمار الفرنسى والبحر الأبيض المتوسط وسرق من بلاشير تحقير بطولات العرب فى المتنبي فإذا بقى له بعد ذلك .

إن الذين كتبوا عن طه حسين وكشفوا خبيثته لم يكونوا إلا أقرب الناس إليه ، تليذه محمود محمد شاكر الذى اتهمه بتدمير أساليب البحث العلمى ، أم الدكتور نجيب البهيقى الذى أورد عنه ما يعصف قلما عن تردده أم زميله فى الجامعة الدكتور على العنانى وقد وزع محاضراته معجونه على طلبة دار العلوم ، أما ما كتبه سكرتيره أربعين سنة : فريد شحاته .

إذن ما قيمة ما يعرضه البعض من كتابات الدكتور محمد الدسوقي وهو لم يصاحب طه حسين إلا فى سنوات المرض بعد أن فقد ذاكرته وعاد يخلط فى الأدور ، وكيف أنه يحجز عن مهاجمة العقاد حيا فلما مات قال لم أفهم العبقرية وقد مجدها فى حياته ، ماذا بقى من طه حسين يستدعى بمجيدة وند زار إسرائيل مع حسين فوزى سراً وإذا كان سكرتيره الخاص مؤتمن فاقروا ما كتبه البير برزان سكرتيره الأول ، وكيف كان يتافق ثروت باشا ويكتب فى جريدة الاتحاد ضد الأحرار الدستوريين ثم يكتب فى السياسة ضد سعد زغلول ، ثم يصل به المطاف إلى الوفد فإذا راجعه الأحرار فقال لهم : اسكتوا وإلا كشفت أسرار حزبكم - ولتقرأ كتاب ممالك الدنيا الذى أملىته السيدة سوزان اتروا كم كنيسته فى أوروبا دخل ولم يدخل مسجداً واحداً وكيف كانت ترسم الخطط لمؤامراته مع الفكر الإسلامى وهذه الخطط التى كان يقودها لويس ماسينيون .

ماذا بقى بعد ذلك من طه حسين : حول شخصيته وحول فكرة مما يشاد به وبعلى ويسجل إلا إذا كانت سرقة المتششرقين فضيله وهدم التراث الإسلامى منه وإذا كان إدخال مذهب الشك الفلسفى إلى الأدب العربى هدية يعلى شأنها خصوص الإسلام حين يقولوا أنه عدم القديم البالى ، وكان هو يقصد بالقديم الإسلام حيث لا يستطيع أن يصرح بذلك .

أن الذين يتكلمون في هذه المناسبات أحد اثنين : أما أحدهما فرجل قدم له الدكتور طه خدمة في أثناء اتملم فيبعثه الى بلد أو الحقه بعمل ، أما الثاني فهو مغرب علماني يؤمن بأن طه حسين قد شق لهم الطريق الى العلمانية والماركسية والشعوبية وفتح أمامهم أبواب الهجوم على الفكر الإسلامي واعلاء أبي نواس وبشار وأخوان الصفا وابن عربي والحلاج ، وانتقاص الصحابة وابن خلدون والمتنبي لأن المستشرقين يرون ضرورة اعلاء الزنادقة وخفض العباقرة .

(٣)

أمانة الأجيال

• إنما المسؤولية لإزاء الأجيال الجديدة من الشباب والأمانة العلمية تجاه عموم ما زالت كتبها تصدر وتتداول .

• قد تكون كتابات طه حسين أدبياً بمفهوم الأسلوب الموسيقي الإيقاعي ولكنه بالقطع ليس أدباً إسلامياً على الإطلاق .

(في الرد على ثروت أباطة)

أولاً : أن ما كتب عن طه حسين في دراسة حياته وفكره هو أمر طبيعي قام به الدارسون بالنسبة لكل الكتاب البارزين ، فليس في ذلك من عجب ولم يكن طه حسين إلا واحداً من أصحاب الأقلام الذين يخطئون ويصيبون ، وقد تحدث الناس عن خطأ وصوابه وهو حي ، فليس من الغرابة أن يتناول فكره أو تناقش أعماله ، وليست تلك الكلمات المبالغه في تصويره للناس يمكن أن تصل إلى مقام التقديس أو حجب الحقائق التي تمثل وجهة الكاتب في علاقته مع السياسة أو النقاد أو جهات العلم في مصر أو الغرب ، وذاك جيل عرف بإتصالاته بالأحزاب وبالسياسة وبالصحافة وكان من أساليبه الهجوم والخصومة والتنقل بين المعسكرات . (وإن كان أسلوب الهجوم الذي عرف لهؤلاء أعلى وأكرم من هجم المتأخرين الذي وصل إلى حد أسيف) ولقد كتب عن طه حسين كثيرون :

كتب الأستاذ محمود محمد شاكر كتاباً وكتب الدكتور نجيب البهيت كتاباً في المغرب في ثمانمائة صفحة ، وكتب الدكتور المختسب في الأردن كتاباً وكتب الأستاذ أحمد حسين في مجلة الثقافة : هذا في الفترة الأخيرة ، أما في حياة طه حسين فقد كتب أربعون كتاباً في مقدمتهم العقاد وهيكل باشا وزكي مبارك ومحمد أحمد الغمراوي وفريد وجدي ، والحضر حسين ، ومحب الدين الخطيب وساطع الحصري

وكثيرون ، إذن فالقضية قضية أدبية كبرى ليس كتابنا فيها إلا شظيرة من الشظائر كذلك فنحن تناولنا حياة طه حسين وفكرة في إطار الإسلام وبأسلوب الاسلام العف السمع الكبر الذي لا يتهم ولا يظلم ولا يرمى بالقبائح ، لقد علمنا الإسلام أدب الحديث وأدب الحوار وكنا ولا زلنا لزام كل ما يرد به لإخواننا الكتاب والأدباء ملتزمون بهذا مهما بلغ عبارات الهجاء التي تردت على أقلام كنا نضل أنها تعف عن الدنيا ، فلانزدها ولا ترددها وإنما ونعزها من الكرام ونضعها دبر آذاننا ونحتسبها عند الله ولا ريب أن العبارات الجارحة غير الملائمة هي تعبير عن عجز في الأداء وعدم القدرة على مناقشة الفكرة عليها أو مقارعة الحججة بالحجة (١).

ثانيا : أما الاتهامات التي وجهت إلى طه حسين بالعمالة مع الصهيونية أو مع الشيوعية أو أنه تنصر في كنيسة في فرنسا فذلك كله مما قاله غيرنا . الصهيونية كشبهة جاءت والدكتور لويس عوض يتحدث في الأهرام عن تولى الدكتور عبيد الأدب العربي لرئاسة تحرير مجلة « الكاتب المصري » الصهيونية ، التي حيا فيها الدكتور طه وفود اليهود الداحلين فلمسلمين أما شبهة الشيوعية فقد جاءت نتيجة رسائل تبادلها معه الشيوعيين المصريين الذين جعلوه في مجلة من مجلاتهم زعميا لهم أما شبهة التنصر فقد ذكرها سكرتيره في حديث صاحب مجلة الاذاعة وعلق عليها المرحوم الأستاذ أحمد حسين ، أما ما يشاع عن تبعية لفرنسا فقد جاءت في أحاديث نشرها في الأهرام بعد أن ضربت فرنسا دمشق بالقبائل وأيد موقفها ذلك ، ومن موقف الأستاذ الفرنسي الذي أعطاه الدرجة النهائية عندما دخل الامتحان ومعه زوجته الفرنسية وهذه أثبتتها طه حسين في الجزء الثالث من الأيام وقد ابتسم وأعطى لأنه عرف أن هذا الكفيف سيخدم فكرهم في جامعة شرقية ومع هذا ونحن لم نتحدث في كتابنا بكلمة واحدة عما يسمونه (العمالة) أو التبعية وإنما هي أخبار متفرقة تداولتها كتابات هؤلاء الزملاء الذين تناولوا طه حسين وعاصروه وما عرضنا له فقد شككنا فيه وضدقناه ، أما تبعية المستشرقين فما قلنا بها وإنما هو الذي ذكرها في رسائله إلى السيدة زوجته كما أوردته في كتابها (معك) .

(١) كان ثروت أباطه قد أدى في حديث مجلة لنور بعبارة يعف عنها القلم .

ولقد أورد الدكتور محمد نجيب البهيبي في كتابه وقائع أخرى من حياة الدكتور طه حسين باعتباره أقرب تلاميذه إليه أيام الدراسة في الجامعة تعف عن ذكرها، كذلك فقد أشار الأستاذ شاكر إلى قضية ضخمة هي قضية (السطو الجامعي) التي ابتدعها الدكتور طه حسين وكيف أنه ردد نظرية المستشرق اليهودي مرجليوت عن انتحال الشعر الجاهلي عاما كاملا دون أن يشير مرة واحدة إلى المصدر وهي ما أسماها شاكر (حاشية طه حسين على متن مرجليوت) كل هذا رده كثيرون وما كان لنا أن نخوض فيه، وهو اليوم ينسب إلينا ظلما، وكان من الحق أن ينسب إلى أصحابه.

ثالثا: والحقيقة التي قام عليها كتابنا ووجهتنا ليست هي التشهير أو الاساءة أو الظلم فإننا نعلم أن كل كلمة لها حسابها عند الله تبارك وتعالى وما بيننا وبين الدكتور طه حسين ثمة، وإنما هي المسؤولية إزاء الأجيال الجديدة من الشباب والأمانة العلمية والتبعة إزاء مؤلفات مليئة بالسموم ما زالت منشورة وما زال يعاد طبعها ويظن شبابنا وهو ضعيف الخلفية الإسلامية أنها حقائق واسم طه حسين عميد الأدب: هذا الاسم اللامع ما زال يخضع للكثيرين، فنحن نرجو أن تكشف هذه الحقائق، وأن نبين رأى الإسلام فيها على قدر ما نستطيع ولا ندعى في هذا تطاولا، ولا استعلاء، وكنا نود أن يكون الانصاف وقبول الحق رائدنا جميعا لا الأهواء الشخصية وأن لا يكون الولاء الحزبي أو العائلي صارفا لنا عن أن تدعى للحق، فاقدم طه حسين خلال حياته الطويلة إلا مجموعة من السموم التي حارب بها حقائق الإسلام وخاصة في كتبه، الفتنة الكبرى وهامش السيرة والشبهان ومراة الإسلام، ولكن هذا الزيف المسموم قد صنع في ذلك الأسلوب الموسيقي الخادع الذي هو أداة الإقناع لدى البسطاء الذين لا يستطيعون أن ينفذوا وراء السموم المنشورة والشبهات والسخرية والتهكم بالصحاب في هذه الكتب ولقد عرف الباحثون اليوم وتكشفت أمامهم الحقائق واضحة بأن الدكتور طه حسين هو صاحب [مذهب الشك الفلسفي] الذي روج له خمسون سنة في العالم العربي كله وفي مختلف

كتابات عن التعليم والأدب والسيرة والتاريخ ، وأنه هو الذى طلب إلى تلاميذه (نقد القرآن) على أنه كتاب أدب فيه الضعيف والجاف والقوى ، وقوله باطلا أن الرسول تأثر باليهود فى المدينة فذهب جفاف أسلوبه (وهو فى هذا يعتبر القرآن من عند الرسول وليس من عند الله) .

وأقرأ فى هذا كتاب الدكتور محمد البهى (الفكر الإسلامى الحديث) ومحاضر جلسات مجلس النواب ١٩٣٣ حيث قدم الدكتور عبد الحميد سعيد نصوص كراسة طالب فى كلية الآداب ، وهو الذى أنكر فى كتاب [الفتنة الكبرى] شخصية عبد الله بن سبأ اليهودى وبالرغم من أن الطبرى وغيره ذكر مؤامراتها الضخمة التى انتهت بمقتل سيدنا عثمان ، وإدعى أنها شخصية خرافية ، أما هامش السيرة فقد أضاف الأساطير التى نحاها كتاب السيرة وأعادها إلى السيرة مرة أخرى على نحو أشد كذبا وبخا . أدب الأساطير فى الأدب العربى أسوة بكتاب على هامش الكتب القديمة للفرنسى فلان وفى كتاب الشيخان فقد تصرفات سيدنا عمر ، وفى مراة الإسلام أنكر القراءات السبعة ، وفى كل هذا كان يتعامل مع الصحابة على أنهم من السياسيين المحترفين فى هذا العصر ويسوق لإيهم عبارات السخرية والنقد مع أن صحابة رسول الله ﷺ له قدرهم ولكنه أراد أن يحطم هذه المكانة وأن يدرس تاريخ الإسلام فى هذه البثرة على أساس مفهوم التفسير المادى للتاريخ ، هذا المنهج الذى وضعه ماركس ومن بعده سار عليه الكتاب الماركسيون فى دراساتهم عن النبى والصحابة من أمثال عبد الرحمن الشرقاوى الذى تصور النبى فى كتابه على أنه من دعاة الإصلاح وتحرير العبيد والذى لم ترد فى كتابه (رسول الحرية) كلمة الوحي ولا مرة واحدة أو كتابات أحمد عباس صالح عن اليسار واليمين فى الإسلام ، فلا ريب أن طه حسين هو الذى فتح هذا الباب الفاسد فى تفسير تاريخ الإسلام وفق نظرية التفسير المادى للتاريخ متابعاً المستشرقين فى هذا ، ومرضياً للاستشراق اليهودى الذى يلج على إنكار عبد الله بن سبأ اليهودى . ولن نذكر فى هذا المجال أنه أنكر وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأن ذكرهما القرآن فإذا كانت

كتابات طه حسين هي الأدب ، على أساس أنه صاحب أسلوب منغم موسيقى ،
فنعم ، أما أنه أدب إسلامي فلا والى ذلك فإن مفاهيمه تتعارض تماما مع
مفهوم الإسلام الأحصيل :

هذه مقدمه ندخل بها الى عرض آراء طه حسين المسمومة لنكشف لشبابنا
المسلم تلك الخدعة التي يخدع بها البعض وما كنا نظن أن الهوى أو الولاء الشخصي
الذي اصطنعه طه حسين عبد البعض يستطيع أن يعلو فوق الحق ، وفوق الكلمة
الحالصة لله تبارك وتعالى .

كلمة حق في الرد على المدافعين عن طه حسين

أن أصدق أساليب البيان هو أسلوب الوضوح والصدق والأمانة ، بالانطلاق من منطلق أصيل غايته الوصول إلى الحق وهذا المنطلق يعوزنا جميعا حينما نبدأ من فرعيات صغيرة في محاولة للوصول إلى هدف بعيد ، وفي قضية « الأساتذة الكبار ، رواد الأدب في هذا الجيل خلفية يجب أن يعرفها كل من يتحدث عنهم : تلك هي أنهم كانوا يعملون مع الأنظمة السياسية القائمة والتي كانت خاضعة خضوعا واسعا للنفوذ الأجنبي والاستبداد الحاكم إذ ذاك وأنهم كانوا يتصارعون تحت مظلة الأحزاب السياسية وأن علمهم الأدبي كله — أوجله — كان في خدمة هذه الأهداف وأن الذين درسوا (الأدب العربي المعاصر) علموا بما نص عليه دواء الرواد في صراحه أوضحنا من أن الدراسات الأدبية التي قدموها في الصحافة — أذ ذاك — إنما كانت جزءا من العمل السياسي والحزبي وأنها كانت تستهدف جلب قراء من المعسكرات الأخرى أو الأحزاب الأخرى وأن حزب الأحرار الدستوريين الذي كان ينتمى إليه جل هؤلاء (وعلى الأقل هيكمل وثه حسين) كان معروفا بأنه حزب خصوم الإسلام بل وأطلق عليه في فترة من الفترات حزب الملاحدة فمنه ظهر علي عبد الرازق بدعوته إلى أن الإسلام دين لاهوتي وأن الحكم ليس من أسسه ومنه ظهر طه حسين بدعواه عن فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي والقول بأنكار وجود إبراهيم وإسماعيل وأن قالت بوجودهما القرآن والتوراه ومنه ظهرت أراء كثيرة بالتنكر للإسلام ومفهوم العروبة والدعوة إلى الفرعونية والاقليمية وغيرها غير أن مرحلة أخرى أشد خطورة جاءت بعد ، حين اضطرت هذه الأحزاب إلى مجاراة التيار الوطني العام وكسب الشعب بالكتابة عن الإسلام ومن هنا بدأت كتابات (حياة محمد) لهيكمل جاءت كتابات (العبقريات) للعقاد ثم جاءت (على هامش السيرة) لطله حسين .

وقد كانت الخلفية وراء هذا التيار سياسية أصلاً ولم تكن عملاً خالصاً لوجه الله ، وأن من يدرس هذه الكتابات دراسة أصيلة وفق مفهوم الإسلام يجدها قد أحتوت على كثير من التحريف والحلّط والتباس المناهج الغربية والاستشراقية في كتابتها .

بل أن هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ، إلى أنها إنما جاءت لأميرين خطيرين : لمواجهة التيار الماركسي الذي كان قد ظهر بعد الحرب العالمية الأولى في معظم البلاد العربية وحمل معه مفاهيم عن الاجتماع تنسك (البطولة الفردية) ومفاهيم عن التفسير المادي للتاريخ تنسك كثيراً من المييزات والوحي ، فكانت الدعوة إلى الكتابة الإسلامية بين هؤلاء الكتاب الذين كانوا في أول أمر دعاء الفكر الغربي عملاً هادفاً له أبعاده ومضامينه ولم يكن ألا محاولة لخلق د بديل زائف ، عن طريق أسماء لامعة الاصيل الذي كان قد بدأ يشق طريقة بقوة وهو حركة النقطة الإسلامية المتمثلة في عديد من الهيئات الإسلامية كالاخوان والشبان وشباب محمد ومصر اتقاه والتمدن الإسلامي والمقاصد الإسلامية والاخلاق وغيرها من الهيئات الإسلامية على طول البلاد العربية وعرضها وفي دمشق وبغداد والقاهرة وأنهم قد انطلقوا إلى هذا العمل لامن مفاتيح الفكر الإسلامي وإنما من مفاتيح الفكر الغربي بماديته ومسيحيته .

والهدف هو مواجهة دعوة الحركة الإسلامية التي تحمل لواء العودة إلى القرآن والناس المبالغ الأولى والعمل على تطبيق هذه المحاولة العصرية التي استهدفت أبرز الكتابات الكبار هؤلاء والتي ترمى إلى تقديم بديل ولكنته بديل زائف .

وقد ظهر ذلك بوضوح في جلسة مجلس الشيوخ ١٩٣٩ حين استجاشت هذه القوى كلها للدفاع عن طه حسين بهد أن كشفت القوى الإسلامية زيفه في هذا المجلس ودعت إلى طرده من منصب مستشار الثقافة في وزارة المعارف ومصادرة كتبه المسمومة (على هامش السيرة ، مستقبل الثقافة ، الأدب الجاهلي ، حديث الاربعاء) .

ويعتد أن بين هؤلاء الكرام الاعلام على منبر مجاس الشيوخ هذه السموم (عبد الحميد سعيد ، الشيخ دراز ، رضوان السيد وغيرهم) قام على عبد الرازق والعقاد وهيكل وغيرهم بحملة مضادة للدفاع عن طه حسين ، وفي الحق أنها كانت محاولة للدفاع عن هذا التيار بدعوى أن الدستور يحصى حرية الفكر ، هنالك كشف الأستاذ الإمام حسن البنا في مقال له بحملة الاخوان هذه الحقيقة ، حين طالب هؤلاء الذين يتسمون بأسم الاسلام إن كانوا صادقين - أن يعلنوا إيمانهم بحقيقة الاسلام : كمنهج حياة ونظام مجتمع . فلم يجب أحد على كلمته وأدخلوها قيم يسمونه (مؤامره الصمت) وكان واضحا أن الهدف هو استغلال هذه الكتابات الإسلامية لحجب الدعوة الحقيقية إلى مفهوم الإسلام الاصيل .

كل هذا كشف عنه كتابنا (طه حسين : حياته وفكره في ميزان الاسلام) ولو أن المتصدرون للكتابة في هذا الامر قرأوا هذا الكتاب أساسا لو فروا كثيرا من الوقت والجهد ولوجدوا الإجابة على أسئلتهم ولكنهم يهاجمون الكتاب وكأنه انطلاقا من وجهة نظر خاصة ، هي إحدى وجهتين ، أما الدفاع عما يسمونه تراثا لا معا كان له دوره في مرحله من مراحل حياة الفكر الإسلامي المعاصر ، أما متابعة لكاتب بعينه سواء اللعان أ. مه أو لاي هوى قومي أو وطني خاص ، ولكن الحق هو فوق كل ماتهوى الانفس وهو يعاين ولا يعلى عليه مهما بدت الصور براقه في عيون لا ترى أبعد مما تحت أقدامه ولقد كان للأدب العربي الاصيل المتصل بالفكر الإسلامي الصحيح دعاة وكتابا في هذه الفترة هم أكثر إيمانا وأقوى يقينا وكانت كتاباتهم أبعد أثرا من هؤلاء اللامعين الذين كان للصحافة أثرها في شهرتهم دون أن يكونوا على قدر حقيق بالنسبة لامثال شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعي والدكتور محمد أحمد الغمراوي ، ربحي الدرديري والخضر حسين وعشرات آخرين هم في الحقيقة اعلام الأدب العربي الإسلامي ، هؤلاء لم يدرسهم أو يتحدث عنهم النقد الاولي لأنه كان يريد أن يظهر ويلعب هذه الاسماء وحدها ، ولعل الباحث المنصف يستطيع أن

يقرأ [موقف العلم والعالم من رب العالمين] من شيخ الاسلام مصداق في صبرى الذى كشف عن أخطاء هؤلاء اللامعين فى فهم الإسلام ولعله قرأ عشرات الابحاث عن أخطاء العقاد وطه حسين فى فهم الإسلام ومتابعتهم لاراء المستشرقين .

وإذا كان الباحث يريد من هذا كله أن يصل للدفاع عن طه حسين فإن الامر قد وضح اليوم وضوحا لاسيل إلى غموض فيه ، وإذا كانت قد خدعته عبارات لطله حسين فى تقدير الحكومة الإسلامية فى عهد أبى بكر وعمر فإنه يند أن يذهب قليلا معه سوف يجد أن طه حسين إنما يريد من ذلك أن يصم عهد الخلفاء والصحابه باتهام خطير هو تقاتل الصحابه وتكالبهم على الحكم فى تبرئه الشيخان ، من سحوم العصر وذلك حين صور هؤلاء الذين قال النبى ﷺ أن أصحابى كالنجوم جاء طه حسين ليجعلهم أشبه بالسياسيين المحترفين المعاصرين طلاب الدنيا ودعاة الصراع والدمار والخداع للوصول إلى الحكم وهذه هى السنة السيئة التى بدأها طه حسين للنظر إلى الصحابه وأنى أزعج أن لطله حسين صفحات أكثر أشراقا مما ذكر ولكنها ليست للحق ولا لوجه الله ولكنها للخداع فإن كتاب التعريب والشعوبين يعرفون هذا الاسلوب جيدا الذى عليه أيام الاستشراق بأن يخدعوا بعض القراء الذين ليست لهم خلفية واسعة بهذه العبارات ليحوزوا أعجابهم ثم لا يلبثوا أن يقدموا السهم لهم ، واقدم كشف هذا كله فى كتابى (طه حسين فى ميزان الاسلام) والحقيقة إن طه حسين لا يؤمن بالإسلام كما أنزله الله كنظام مجتمع ومنهج حياة ولكنه يؤمن به (دينا لاهوتيا كنسيا مسجيا) وكان من دعاء ذلك وكان عاملا من عوامل معارضة دعوة اليقظة الإسلامية الحقة ولم يكن هذا وحده هو خأ طه حسين ولكنه كان مفسدا لأصالة الفكر الإسلامى فى كثير من عقائده رقيقة وأسسه ولم تكن كتاباته هذه عن الاسلام فى كتبه (هامش الشره ، الفتنة الكبرى ، الشيخان) ألا تفصيلا لتلك الشهوات التى أثارها الاستشراق وإلا فإن طه حسين من الحكم الإسلامى حتى فى سلوكه الشخصى أو فى كتاباته وهو الذى لم يكتب مقالا واحدا عن فلسطين أو عن تطبيق الشريعة الإسلامية ولكنه هو الذى دافع عن عبد الله بن سينا اليهودى وأنكر وجوده

وأذاع أراء الزنادقة أمثال أبو نواس وبشار وهو الذى قال : أن القرن الثانى للهجرة كان (عصر فسق ومجون) وهو الذى دعا المسلمين إلى الاخذ بالحضارة الغربية . (خيرها وشرها وما يحمد منها وما يعاب) وهو الذى استصغر شأن ابن خلدون علامة الاسلام فى أطر رحته التى حصل بها على الدكتوراه إرضاء لاساتذته اليهود وهاجم المتنبي عملاق الأدب لأن الاستشراق كان ينسكه . أن الدفاع عن طه حسين لن يحقق نتائج ذات بال بعد أن كتب عنه تلاميذه اللصحاء من أمثال السيدة سوزان والاستاذ محمد محمود شاكر والدكتور نجيب البهيتى وكشفوا عن خلقه الشخصى وأسلوبه العمل ومفاهيمه الوضولية وانتمائه الواضح للاستشراق العالمى وتتابعته لخصوم الاسلام ومهما بدأ بريق الكتابة أمام بعض العيون على النحو الذى خدع به بعض الناس مما كتب فى هامش السيرة وغيره فإن هامش السيرة فى حقيقة ما سخرية عميقة بالنبي وإدخال للأساطير واستزادة فيها عما كان فى العصر الاول ، بعد أن أحررها كتاب الإسلام على مد العصور من كل زيف .

وسلام على من اتبع الهدى .

(٥)

حقائق في حياة طه حسين

تلقت جريدة (النور) رسالة من القارىء (. . .)

- هل زار طه حسين الجامعة العبرية بالقدس ١٩٤٤

- هل اعتنق النصرانية في فرنسا

- هل كانت له علاقة بالصهيونية أو الشيوعية

- وقد عرضنا الرسالة على [أنور الجندي] فأجاب بما يلي :

إن حياة الدكتور طه حسين تكشف كلها عن وجهته، وأن وقائع هذه الحياة ظاهرة جلية، فهو رجل عرف دوائر الإستشراق منذ نشأت الجامعة المصرية القديمة، وكان قليل الصبر على دراسات الأزهر، راغباً في الظهور والشهرة فارتحل بلطاني السيد في الجريدة، وبالمستشرقين في الجامعة، ومن ثم أخذ يستنصر من الأزهر ومن العلماء بتحريره وكان محرضوه هم المستشرقين الذين كانوا يذهبون معه وبه إلى دروس الأزهر منهم فقد كانوا يريدون أن يوقدوا في صدره حدوة الحق على الإسلام والأزهر الذي بقي كامناً حيانه كلها في صدره لم يذهب ويدفعونه إلى أسئلة محرجه، تدفع الأساتذة إلى ردود جافة، ومن ثم نشأت في نفسه تلك المشاعر الكارمة لهذه البيئة وشجعه أولئك على أن يقدموا له [الدكتوراه] خيراً من [العالمية] وفي حواله الطريق إلى أوروبا، فكان هناك في حضانتهم وعونهم وتوجيههم، بل أن الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة وقد سئل في ذلك فقال : إنه كان مالياً لهم ولافكارهم ومذاهبهم قبل أن يسافر وآية ذلك أن أطروحاته عن أبي العلاء التي قدمها في الجامعة القديمة كانت تقوم على مذهب (الحسبية المادية) التي بنه المستشرقون في طلبه الجامعة المصرية من أول يوم.

فلأنجب في أن تنطور الأمور إلى الولاء الكامل والتبعية الكاملة والاحتضان الكامل ، على هذا النحو الذي حدث ، ولما كان الاستشراق في هذه المرحلة مشبعاً بمفاهيم يهودية مادية فقد وجد في طه حسين لسانه الناطق وحامل دعواهم التي كانوا يفضلون أن تصل إلى المسلمين والعرب عن طريق رجل يتكلم العربية ومن المسلمين ، ومن ذلك التشكيك في وجود إبراهيم وإسماعيل وبنائهما الكعبة المشرفة وذلك يبدو واضحاً في الواقعة إلى أشار إليها طه حسين في الجزء الثالث من الأيام حين ذهب يمتحن في التاريخ الروماني وكان أستاذه من الفساة على الممتحنين الشرقيين وكان الكتاب المقرر في أكثر من ثمانمائة صفحة ، وحين دخل طه حسين وخلت معه زوجته على حد تعبيره - ألقت بقصاصه إلى الأستاذ فقرأها وضحك وقال له :

إذن فقد سعدت بمرافقة هذه الأنسة ، وأنتا سوف لا نسألك عن التاريخ الروماني ولكن حدثنا عن تاريخ الأمويين في دمشق ، وما أن مضى طه حسين قليلاً في الحديث حتى أوقفه الأستاذ وقال : لقد ظفرت بالدرجة العليا !

هذا يعطى خلاصات الأحداث وسرها ، كانوا في فرنسا يعملون على إحترام بعض العرب الذين يتعلمون في المعاهد العليا هناك ليكوتوا أولياء لتقافتهم في مصر والبلاد العربية ، وكانوا يهدون لذلك بأمور كثيرة ، منها الإغراء بالمناصب في البلاد التي سيهودون إليها ، ومنها الرحلات والمؤتمرات السنوية حيث يعقد مؤتمر المستشرقين هنا وهناك ، وكان هناك إغراء « الزواج » الذي يكون عاملاً هاماً في هذا الصدد ، وقد تزوج محمود عزمي ، وعثمان أمين ، وكثيرون غير الدكتور طه ولكن زواج طه حسين كان صعباً فقد كانوا يعملون وخاصة الأذكى منهم من أمثال القسيس خال الزوجة مدى أهمية الدور الذي سيقوم به طه حسين في مصر والدور الذي ستقوم به زوجته في مساندته ، ولقد قال أقرب تلاميذ طه حسين إليه (الدكتور نجيب البهيتي) إنهم حاصروا طه حسين

مخضارين : زوجته الفرنسية وسكرتيره القبطى ، وأنه لم يكن يستطيع أن يملأ من مهمته وأن نظرة واحدة إلى كتاب (معك) للسيدة سوزان يكشف بوضوح عن وجهة طه حسين وقد وصفه الأستاذ أحمد حسين بقوله أنه دخل عشرات المكتاس فى كل مكان ذهبوا إليه ولم يدخل مسجداً واحداً .

أما معادلة ، زواجه بالفرنسية فقد صورها الأستاذ أحمد حسين على هذا النحو : كيف بفتاه فرنسية منذ سبعين عاماً تعيش فى باريس تقبل الزواج من كفيف فقير أفرى وتقبل أن تنتقل معه إلى أفريقيا إلا إذا كان وراء ذلك هدف محدد واضح ، أما الهدف فقد كشفت عنه عشرات الكتابات وكيف خدع الناس عنه وكانت الحملات مستمرة ضده منذ صدور كتاب (فى الشعر الجاهلى) فى مجلس النواب ومجلس الشيوخ والصحف ومع ذلك فقد كان طه حسين ينتقل ويترقى من مدرس إلى أستاذ إلى رئيس قسم إلى عميد إلى مدير جامعة إلى مستشار ثقافى ، إلى مراقب عام ، إلى وزير للبحارف بقوة خلفية تسانده وتحميه وكان موضع تقدير الجامعات فى كل مكان لأنه كان يقول أنه ليس سفيراً للثقافة الفرنسية وحدها ولكنه سفير للثقافة الغربية كلها ، كانت الدول الغربية المختلفة تمنحه الدكتوراه ليؤاثر نفوذها فى مصر ويرعى مدارسها ومعاهدها ولأنه فتح الباب واسعا أمام التبعية للفكر الغربى فى المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة .

فقد كتب عن الثقافة الفرنسية ثم وأيد مفاهيم النفوذ الإنجليزى عندما عمل وزيراً للبحارف ولما ظهرت ترجمة الأدب الأمريكى دعا إليه ، وأيدت كتاباته : مفاهيم الرأسمالية وعاون الماركسيين واليساريين حتى عدوه أستاذهم ، ولم يطلق كلمة فى واحدة سليل فلسطيين ، وكان ولائه للفكر الصهيونى واضحاً فى جولاته فى المدارس الإسرائيلية بمصر أو إلقاءه محاضرات يشيد منها بدور كاذب لليهود فى الجزيرة العربية والأدب العربى وإستقدام شبابين يهوديين وأعطاهم مجالا للتعبير فى الجامعة أحدهما (إسرائيل ولفسون) الذى اعتنقت له الجامعة أطروحة دكتوراه كلها

سموم صهيونية ، والآخر (بول كراوس) الذى كان يروج للفكر الباطنى والشعوبى من أمثال الخلاج وابن عربى وابن سيعين وعدد من الزنادقة وكانت رحلاته للقدس المحتلة فقد سافر مع لطفى السيد لافتتاح الجامعة البرية وسافر مع حسين فوزى (الذى أعلن ذلك صراحة) لزيارة الأقسام الاستشرافية وأهدوه كتاب (أنساب الأشراف - البلاذرى) الذى اعتمد عليه فى كتابه (الفتنة الكبرى) مبرماً عبد الله بن سبأ اليهودى من أثره المعروف والمجمع عليه فى مقتل عثمان وولاه اليهود فى مصر رئاسة تحرير مجلة الكاتب المصرى ودارها عام ١٩٤٧ وقد كشفت أطروحات علمية فى الجامعات المصرية دور طه حسين فى الصحافة الصهيونية فى مصر وشهد نوفون رئيس إسرائيل فى لبنان زيارته لمصر فى عهد السادات أنه سحب طه حسين فى زيارة للمستعمرات اليهودية ، فهذه زيارة أخرى لم يعلن عنها فى وقتها .

وقد اشتهرت عنه كلمات لم تتحقق بعد ، ولكن تداولها السنة المعاصرين له منها قوله أنه يونانى الأصل ومنها هذا الشعر الذى يقول :

لو أن لى فى الناس حكماً نافذاً

ألزمت بالأفطار كل الناس

(أى الإفطار فى رمضان) ولقد كان يقال مثل هذا فى الجامعة سراً للطلاب فى أيامه وكان يشجعهم على إقامة أحفال الرقص المختلط فى البيوت ، وعلى أن ينقدوا القرآن بوصفه كتاباً أدبياً وقد شهد الدكتور عبد الحميد سعيد فى مجلس النواب ١٩٣٣ حيث قدم كراسة لأحد الطلاب تحوى هذه العبارات ، أن القرآن فى آياته المسكية جاف فى آياته المدنية طرى والمر هو اتصال النبى باليهود ، وكل ما كتبه فى كتب تحددع الناس أسمائها الالامعة كهامش السيرة و (الشيخان) وغيرهما ملئ بالسخرية بالإسلام وفيه نصوص غامضة ترمى إلى القول ببشرية القرآن .

ومن أجل هذه الأمانة : [أمانة الأجيال] كشفنا هذه السموم وسنواصل كشفها لأن الكتب المسمومة ماتزال تطبع وتوزع فلا بد أن نقدم لقراءها وجهة نظر الإسلام

فيها ، وهما ليست من عندنا ولكن كما صدع بها علماء الإسلام وكشفوا زيفها في فصول نشرت في الصحف وانطوت وبقيت الكتب التي تحمل هذه السموم .

ونحن لانصافاً للحقيقة ، وخوفاً من المسؤولية أهام الله تبارك وتعالى لانهاجم طه حسين (الإنسان) فذاك حسابُه على الله واسكننا تكشيف (أخطاء طه حسين المفكر) لأن كتاباته لا تزال بين يدي الناس وتخضع للكثيرين (راجع كتابنا محاكمه فكري طه حسين) رائد كشفنا هذا كله وطه حسين حي ، وقال بعض المدافعين عنه أنه رجوع عن كثير من آرائه ولكنه شرط الرجعة هو (الإعلان) وهذا لم يحدث مطلقاً بل أن طه حسين أعلن في أحاديثه الأخيرة أنه متمسك بكل ما قاله في حياته كلها ، وشرط الرجعة آخر هو منع بعض الكتب المسبوبة من إعادة طبعها وهذا لم يحدث أيضاً وكل ما يكتبه المضالمون اليوم أو يذيعونه لن يخضع أحداً عن حقيقة أساسية واضحة : إن طه حسين كان تابعاً وخادماً للتغريب وأنه شهد على نفسه بأنه كان سفيراً للفكر الأخرى في بلاده ؟

لماذا لم يدخل طه حسين

مدرسة البيان في النثر العربي الحديث

هذا هو السؤال الذي وجهه الدكتور طه وأدى أثناء مناقشة أطروحة الأستاذ حلمى القاعود بكلية دار العلوم عن مدرسة البيان في النثر العربي الحديث في مصر (فبراير ١٩٨٢) وكان الأخ حلمى قد عرض للأربعة الكبار: المنفلوطى والرافعى والزيات والبشرى باعتبارهم أعلام مدرسة البيان ، وكان التساؤل لماذا لا يضم إليهم طه حسين ، والحقيقة أن طه حسين الذى كان في مطالع حياته معجبا بالمنفلوطى ، قد هاجم هذا التيار من بعد ، فقد نقد المنفلوطى نقدا شديدا كما هاجم الرافعى والزيات وحاول الخوض من أسلوبهما الفنى ، أما قصة نقد طه حسين للمنفلوطى فهي معروفة وذائعة ، وقد أودعناها كتابنا (طه حسين حياة وفكره في ميزان الإسلام) وهى تعطى صورة تليق بقلب طه حسين الذى قل عنه زميله الزيات أنهم كانوا ثلاثتهم (مع طه وزناتى) ينتظرون المؤيد اقراءه مقال المنفلوطى مساء الخميس من كل أسبوع ، فلما كبر طه حسين واجتاحه التيارات السياسية المختلفة كان عليه أن ينقد المنفلوطى لحساب خصومه وقد نشر في جريدة العلم (جريدة الحزب الوطنى) عدة مقالات تحت عنوان (نظرات في كتاب النظرات) حشماها نقداً للألفاظ التى أحتواها كتاب المنفلوطى مع عبارات شديدة من النقد وقد عجب كثيرون للطلاب الأزهرى الذى استمتع في هذا السن أن يتحدث عن هذه الـلمات التى أحتوتها القواميس العربية الكبرى ثم تبين من بعد ونشر في المجلد الأول من الرسالة أن الكاتب اللغوى الجهر (صادق عنبر) هو الذى وضع هذه التصحيحات التى حملت إلى طه حسين لنقلها بأسلوب فيه إقناع كبير واستعلاء واضح ليكتبها وينشرها بأسمه في صحيفة الحزب الوطنى

وربما فات الصديق حلمي أن يقرأ هذا النص في كتابنا أو في الرسالة وإلا لكان استطاع أن يرد عن نفسه عادية التساؤل الذي وجهه إليه الدكتور طه وادى الذى كان يعرف أن الأخ حلمي كتب أطروحته وهو في بلدة البعيدة في المملكة العربية السعودية (الأحد - جيزان) حيث لم تتوفر له المراجع التي كل تعينه على كشف هذه الحقيقة ، كذلك فإن الدكتور طه عندما كان يتولى تحرير الصفحة الأدبية في السياسة عام ١٩٢٣ لم يلبث أن ورد إليه خطاب من الراجحي فشره مشيراً به على أنه (أسلوب قديم قد عفا عليه الزمن) ومن ذلك يعرف أن الدكتور طه كان معارضا لاتجاه مدرسة البيان ، بل أن طه حسين حين اختلف مع الأستاذ الزيات هاجم أسلوبه وحاول الغض من قدره ، ومن أجل هذا كله ، كان من غير المحقول أن يوضع طه حسين بين زعماء مدرسة البيان ، هذه المدرسة التي درسها بإفاضة وتمكن الأخ حلمي القاعود في رسالته الضخمة التي نالت إعجاب الباحثين نظراً لقدرة على العرض والآداء على نحو يوحى بالنفاذ إلى سرائر الأدب العربي ، أما كيف توصل الأخ حلمي إلى هذا الاسم لمجموعة المتأنفين في الأسلوب ، فإن صاحب هذه الرسالة لم يكن أول من أطلق عليهم هذا الاسم وأن كان أول من درسهم دراسة واسعة في أطروحته التي أضافت جديدا حقيقيا في هذا المجال ، فقد كان معروفا أن مدرسة الرسائل هي التي بدأت بعد وصول جمال الدين الأفغاني إلى مصر وتكوين هذا الجيل الذي آمن بالوصول إلى الغاية من أنصر طريق بعد أن كان الأسلوب الأدبي يقوم على كثير من السجع المتكلف والمحسنات اللغوية والمقدمات المسببة ثم جاء هذا الجيل الذي تشكل والذي ولى أمر الوقائع المصرية وروضة المدارس فعرف بمدرسة الرسائل ومنه إنطلق جيل مدرسة البيان الذي وفاه الأخ حلمي حقه من البحث في دراسته التي يبدو أنها لم تعجب العصريين والتقدميين الذين يزعمهم أحياء كتابات وأعمال حماة اللغة العربية الفصحى والفسكر الإسلامى الوحيين كالراجحي والزيات ، ومن قبل شهد مدرج دار العلوم مناشئة رسالة الأخ مصطفى البدرى عن مصطفى الراجحي وقد لقي نفس النقد المغالب بالحق والكرهية من الدكتور القط ، فقد

أصبح مفروضاً على دار العلوم أن تستقدم مشاركا في مناقشة رسالتها من كلية الآداب ، هؤلاء الذين يقوم بتقديمهم للرسائل على أساس الغرض من قدر الدراسات الرصينة التي تتعلق بترائنا العربي الأصيل ، وهم يسمون هذا المنهج : المنهج التقليدي ، ويفرقون بينه وبين المنهج الحديث الذي يعتمد على مفاهيم برويتير وتين وهي مفاهيم تخضع الإنسان لمفهوم مادي خفي ، وقد يتقبل النقد إذا كان صادراً من من نفس مخصصة ، ولكن إذا كانت الغاية مخبأة وراء عبارات براقة فإن الأمر يكون واضحاً ، إنه أعتراض مؤدب على هذه المدرسة ذات الاصلية والغيرة على تراث الأدب العربي ، ومن ذا الذي ينكر أن المنفلوطي وقف في وجه المدرسة المجرية (جبران ونعيمية) وغيرها في اتجاههما الحاقدي على اللغة العربية والأدب العربي ودعوتهما إلى (الثورات) وقد وقف لهما المنفلوطي الذي أعتمد الأسلوب القرآني بحسم فكان في ذلك قضاء على ذلك التيار المسموم ، كذلك من ذا الذي ينكر فضل الرافعي في معركة الدفاع عن القرآن إزاء محاولات الهجوم على الفصحى وموافقه من بعد [تحت رؤية القرآن] في الرد على طه حسين ، أما الأستاذ الزيات فقد حمل لواء البيان العربي عصراً طويلاً وفتح أبواب مجلة الرسالة أمام الاصلية فأحيا ذلك الاتجاه الكريم العميق ، في حماية اللغة العربية والبيان الغربي من محاولات التغريب وأعلاء شأن العاميات .

لعل هذا هو ما يزعج النقاد الذين يودون أن تكون الرسائل والاطروحات عن أتباع المدرسة العربية وقد أعدت عنهم عشرات الرسائل ، وكان يجب أن تكون دار العلوم حصن اللغة العربية والاصالة دائماً هي الحافظة لهذا الاتجاه ، الحامية له المدافعة عنه وقد عرفت منذ وقت طويل بأنها المدرسة الوسطى ،

وإننا لننتهز هذه الفرصة وتطلع إلى أساتذة الأدب العربي في الجامعات وفي الأزهر الذي يتابع مناهج النقد والتاريخ الأدبي الوافده دون قدرة على تبين الاصله ، ندعوهم جميعاً إلى التماس منهج عربي أصيل يستمد معمله وقوائمه من التراث العربي فلا يكون العرب عالة على المناهج الوافدة خاصة إذا كانت تختلف وتعارض مع القيم الأساسية للمسلمين والعرب وأنها لدعوة تأمل أن نجد طريقها إلى دراسات الأدب العربي بمفهوم عربي بعد أن تبين فساد منهج

النقد الأدبي الرافد وقد كشفنا عن ذلك وبيناه في كتابنا «خصائص الأدب العربي» منذ عشر سنوات .

وما يزال السؤال قائما : وهو لماذا لم يدخل طه حسين مدرسة البيان في النثر العربي الحديث بالرغم مما عرف عن أسلوب طه حسين الموسيقي الذي يقرب من أسلوب التوقييع والترنيل ولكن هذا الأسلوب كما شهد جميع من درسة لم يكن أسلوبا عربيا أصيلا بل كان أزدرجا من فقرات من الأسلوب الفرنسي وعبارات ومصطلحات غريبة خالصة فضلا عن أن الأداء لم يكن في حقيقة على طريق أعزاز البيان العربي والفصاحة العربية ، والایمان بما وراء ذلك من مقومات الفكر الإسلامي ولكنه كان أسلوبا رنانا يراى به أغراء السامع والقارىء لإمكان خداعه وأدخال مفاهيم مسمومة وإقده ، على النحو الذى عرف به في كل كتاباته من حيث دعوته إلى قبول الحضارة الغربية خيرها وشرها وما يحمده منها وما يعاب ، أو كلماته الرنانة في القول بأن الدين نبت من الأرض ولم ينزل من السماء فكل هذه وغيرها مفارقات بلاغية استخدمت فيها اللغة العربية لحساب التغريب والدعوة للتبعية للثقافة الغربية ، هذا فضلا عن أن الدكتور طه حسين الذى كان حريصا على أن يدعو إلى الكتابة باللغة الفصحى لم يملك أن يكشف نفسه في محاضرة مشهورة حين أعلن أن اللغة العربية ليست ملكا لاحد وأن من حق الاجيال أن تمصرها ، وأن تغير في نحوها وصرفها ، وأن تعصرها وهذه الدعوة المسمومة التي تريد تدمير التراث الإسلامى والعربى ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا عن طه حسين ، وفي كتابنا عن المساجلات والمعارك الادبية ، وهى دعوى باطلة زائفة فإن اللغة العربية ليست لغة المصريين وحدهم وليست لغة العرب ولكنها لغة ألف مليون مسلم وهى ليست كما حاول طه حسين أن يصورها أشبه باللغة اللاتينية التي تفرغت عنها اللغات الادارية الحديثة .

من أجل هذا كله لا يستحق طه حسين أن يدخل مدرسة البيان في النثر العربي الحديث ولكنه من حقنا دون منازع أن يدخل مدرسة التغريب في الأدب المعاصر .

إنكشاف ما خفي على الناس زمننا

(ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على أناس تعلم)

منذ أن بدأ طه حسين مع الإسلام بكتابة (في الشعر الجاهلي) كان هناك أصرار منه على الاستمرار في المعركة معها كلمة الأمر وقد اقتضى هذا حياته كلها ، وكتاباته جميعها خلال أكثر من خمسين عاما ولم تكن وقفاته ومهادته إلا محاولة لتخفيف التركيز عليه ثمة ، ولكنه كان متصل العمل في حرب الإسلام سواء في ميدان الأدب أو التاريخ أو مهاجمة الأزهر واللغة العربية ، أو في مجال عمله (مديرا ووزيرا) فهي كلها خطوط ممتدة من بداية واحدة إلى غاية واحدة ولم يكن عمله سواء في الجامعة أو وزارة المعارف أو في اللجنة الثقافية بالجامعة العربية أو المجمع اللغوي أو في البعثات السنوية ومؤتمرات المستشرقين إلا خيطا متسقا في الخطة الواحدة منها بدا غير ذلك ، وكانت كل مرحلة تلم إلى أخرى وكان هناك مخطط ينفذ له فروع وروايات بحيث يشمل الفكر الإسلامي كله ويدفع خطة (الشك الفلسفي) إلى غايتها ، وكان من وراء ذلك توجيه وإشراف وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحي جزء من هذا المخطط ، وكذلك تكوين الأجيال والأولياء الذين يحملون المخطط ويسرون به إلى الأمام فدماء في الصحافة والجامعات ومجلات الثقافة والصحف .

أما هذا الاحتفاء المبالغ فيه بطه حسين (في مؤتمرات سنوية) فهدفه تثبيت قوى التغريب وخلفاء العميد ومواصلة الخطة والمضى في تيار التغريب إلى غايته ، هذا التيار الذي بدأت يتزعزع في الفترة الأخيرة بعد بروز الصحوة الإسلامية التي زلزلت كثيرا من القواعد والأركان الثابتة التي ظن الكثيرون أنها تغلغل في أعماق التربة المصرية والعربية ، إن العودة إلى الإسلام دعوة بدأت تشق طريقها

إلى العلوم والفنون والآداب تحت إسم منزلول لقواعد الإلحاد والتغريب وهو
(أسلمة العلوم) واليوم تجتمع المؤتمرات في كل مكان من البلاد الإسلامية لتبحث
إنشاء علوم الإسلام : علم النفس الإسلامى ، علم الاجتماع الإسلامى ، علم الاقتصاد
الإسلامى ، نظرية الأدب الإسلامى وفى هذه المرحلة تشرح (الشين المشددة) كتابات
طه حسين وأصدقائه المستشرقين وتكشف زيفها على النحو الذى إشتعلت عليه
ندوة الأدب الإسلامى ، فى الرياض رجب ١٤٠٥ ومن خلال هذا البحث الذى
قدمه كاتب هذه السطور يتبين إلى أى مدى تنهزم ركائب التغريب :

نظرة الأدب الإسلامي

الموضوع الأول :

النقطة ج :

الرد على المحاولات الداعية للانفصال بين أدب إمتنا في الماضي والحاضر

وتفنيد شبهات المستشرقين وغيرهم وأخطائهم في دراسة الادب الاسلامى .

حاول البحث محاصرة التحديات في خمسة عشر نقطة :

أولاً : تبعية الادب العربى للفقوم الغربى للنقد الادبى والاستسلام أمام مفهوم (تبين وبرونيتير وسانت ييف) وهو مفهوم ماذى صرف يفترض فى النظرة إلى الإنسان أنه حيوان يخضع لظروف البيئة وتسيطر عليه شوقى الطعام والجنس على النحو الذى صورته الفلسفة المادية استمعداداً من نظرية دارون على النحو الذى أشار إليه ستانلى هايمن فى كتابته (النقد الادبى ومدارسه) حيث حيث قال: أن النقد الادبى الحديث قد أعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم دراون وماركس وفريزر وفرويد وديوى .

وقد فصلنا مذهب كل هؤلاء فى الفكر ونظرته إلى الحياة وهى فى مجموعها تشكل مفهوما ماذيا يطبق على الإنسان ما يطبق على الحيوان، ويهمل شأن الجنس والأسطورة .

ثانياً : تبعية الادب العربى لمنهج وافد فى كتابته (تاريخ الادب) ذلك هو منهج تقسيم الادب العربى إلى عصور أموى وعباسى وغيرها وهو تنصيل ظالم استتبع ظهور ما يسمى (عصر الانحطاط) وفصل العصور بعضها عن بعض ، وفى ذلك ما فيه من آثار خطيرة .

ثالثاً : محاولة فصل الادب العربى عن الفكر الإسلامى ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والاخلاق وهى ديموى تغريبية وافدة ترمى إلى تحريض الادب من قوائم الدين والاخلاق ودفعه إلى مجالات الغواية

والإباحة والكشف ، ومنها محاولة للفصل بين مقومات الاسلام والأدب العربي ، وقد كان لإقصاء الأدب العربي عن الفكر الاسلامي وفصله عن مقومات الاسلام في المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقي آثار بعيدة المدى في إشاعة روح الإباحة وإحياء تراث الزنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والأدب المكشوف من اللغات الغربية .

رابعا : إعلاء الشخصيات الزائفة والموصومة من الزنادقة والإباحيين في الشعر : يشار وأبي نواس والضحاك وفي النثر أمثال ابن عربي والحلاج والمهروردي وقد دعت في نفس الوقت إلى التجاهل والأغضاء وانتقاص الشخصيات ذات الآثار الحقيقي أمثال ابن خلدون وابن تيمية والغزالي والمتنبي وتوجيه الاتهامات إليهم .

خامسا : ظهور طابع الأفذاع في النقد الأدبي ووصوله إلى أعلى درجات الهجاء وإستهمال الأسلوب السياسي الحزبي النازل في قضايا الأدب وقد صدرت أغلب معارك النقد الأدبي من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستهلاء الذاتي وخدمة الثقافات الفرنسية والانجليزية والدفاع عن أحدهما في مواجهة الأخرى .

سادسا : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسهومة ترمى إلى إعلاء العامية أو التمسك للفصحى بما يسمى (اللغة الوسطى) أو تقريب الفصحى إلى العامية وكانت الدعوة إلى قتل الفصاحة وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لغتكم ولي لغتي . .

والهدف واضح جلي وهو فصل الأداء العربي المعاصر عن مستوى لغة القرآن على أمل أن تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم أو دخول اللغة العربية إلى المتاحف (ظنا منهم أن ذلك يمكن أن يكون) .

سابعا : محاولة محاكمة الأدب العربي الذي صدر عن النفس المؤمنة بالله ، والتي تعرف حقيقة الإنسان وجوهره الجسامع (روحا ومادة) ومسؤوليته (٢٣ - ٢٤)

الحرية والتزامه الأخلاقي والإيمان بالجزاء والحساب ، بحكمة الأدب وفق الماركسية النظرية والوجودية والفرويدية التي تعتبر الإنسان حيوانا .

ثامنا : انبثاث أسلوب جديد على الأدب العربي هو الأسلوب المزدوج الذي يكتب به نصارى لبنان والمهجرين والذي يصيغ الجملة العربية صياغة غير أصيلة ومن عجب أن بعض الصحف العربية والإسلامية تنشر مثل هذا وتفسح له .

ثاسما : كسر عامود الشعر وإعلاء شأن الشعر الحر بمضمومه المناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحتقر لها والهادف إلى نفس الغاية التي تقدمها الأزجال والأمثال الشعبية من حيث صدورهما من تقسيحات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية .

عاشرا : إحياء الأساطير والحرافات وخاصة ما يسمى تراث فينقيا وجمجماش والدعوة إلى مضامين كنسية وتوراتية وأسطورية قديمة مثل زيوس وباخوس وهي كتابات تحمل الصليبان والمناجل والمطارق ومحتواها قلق وتمزق وضيق وعصارة كل مذاهب الوثنية وتغييرات الأمية .

حادى عشر : إحياء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلسكور) التي تمثل مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها وعقد المؤتمرات الحافلة لدراستها وكسب الانتصار لها بوسائل الاغراء المعروفة .

ثانى عشر : التنفير من الأدب البليغ الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان والذي تتمثل فيه التجربة الاسلامية الموحدة بين الشعوب المؤمنة بالله الواحد الأحد وتحقير هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية .

ثالث عشر : المؤامرة على القصة العربية الاصيله بإعلاء شأن القصة الغربية الزائفة التي لا تغير فيها إلى الأسماء والأماكن وتبقى عضايبها التي لا تقبلها النفس الإسلامية ولا تقر فجورها وفسادها وانحرافها والجري وراء أساليب منحرفة كاللامعقول واللاقصد . .

رابع عشر : محاولة فصل الأدب العربي إلى أقاليم وهي المحاولة الشعبية التي

دعا إليها بعض التخريبيين رغبة في تمزيق وحدة الأدب العربي الإسلامي والحيولة
ذون الالتقاء جوانبه كممثل لأمة واحدة وليس كأدب مصرى وسورى وعراقى
ومغربى ، وتلك هى غاية الغزو الثقافى من تأكيد الاقليمية .

هذا فضلا عن تقسيم الأدب إلى عصور ، ومحاولة فصل العصر الحديث عن
مسار الأدب العربى كله منذ فجر الاسلام تحت اسم الحديث والمعاصر .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من كتابات التخريبيين والتابعين
للمناهج الغربية وترجمتها وإعطاء كتابها صورة البطولة والشهرة والتعبير وقيام
مؤامرة الصمت والتجاهل أمام أصحاب الأصالة الحقيقية وهذه الدعوى هى مايطبق
عليها « القمع الشوامخ » .

هذه هى النقاط الخمسة عشر فى مجال العمل للفصل بين أدب أممتنا فى الماضى
والحاضر وإذا كان لنا أن نضيف إلى ذلك شيئا فإننا نتصور أن الخطط
التخريبى يرمى إلى :

أولا : إفساد خطة تحقيق التراث وتجديده .

ثانيا : إفساد منهج الترجمة من الآداب الاجنبية .

ثالثا : تثبيت نظرية فصل الأدب عن الفكر وهدم أخلاقية الأدب .

رابعا : إثارة أسلوب الشك الفلسفى .

خامسا : الاعتماد على المصادر الزائفة فى إعداد البحوث .

سادسا : إقرار نظرية العلوم الاجتماعية والعلمانية والنظرية المادية .

وإذا كان لنا مطلب فى هذا المؤتمر الكريم فهو أن تخرج بمنهج إسلامى
عربى لتاريخ الادب ونقد الأدب وإقامة منهج الأدب الإسلامى العالمى بعد أن
طال مطلع الشباب المسلم إلى هذه الغاية الكبرى وتحقيق هذه القاعدة الأساسية فى
بناء الأصالة الإسلامية ودعم الصحوة الإسلامية .

هذا ويأتى التوفيق ؟

ولعل أبرز ما يستكشف اليوم على طريق الأصالة :

أولا : عودة تلاميذ طه حسين الأوائل إلى الحق : محمود محمد شاكر ، الدكتور محمد نجيب البهي .

ثانيا : ظهور دراسات علمية أصيلة حول فساد منهج طه حسين تدخل نطاق الرسائل العلمية .

١ - رسالة الدكتور ناصر الدين الأسد عن الشعر الجاهلي وهي التي أوردت بالنص المصدر الذي سرق منه طه حسين نظريته في انتحال الشعر الجاهلي وهو بحث المستشرق (مرجليوث) .

٢ - رسالة الدكتور المحتسب وهي التي رفضت قبولها كاطروحة جامعة الأردن وقد نشرها الباحث فلاقت قبولاً شديداً (طه حسين مفكرا) .

٣ - كتاب (مقدمه في الأدب والتاريخ العربيين) في ثمانمائة صفحة للدكتور محمد نجيب البهي في الرد على أفكار طه حسين .

٤ - كتاب الاستاذ محمود مهدي الاستانبولى الذى جمع فيه المعارك التى أثرت في الرد على شهادت طه حسين .

٥ - كتاب الاستاذ جابر رزق (طه حسين : الجريمة والإدانة) الذى أورد فيه عروضا وافية لما نشر فى مؤلفات الدكتور محمد محمد حسين ومحمود محمد شاكر وأنور الجندى وغيرهم .

(وكان كتابنا عن طه حسين : حياته وفكره فى مراد الإسلام) قد ظهر عام

١٩٧٢ ولعيد طبعه واليوم ظهر كتابنا المكمل له :

(محادثة في فكر طه حسين)

حيث يشمل أكثر من أربعين قضية من قضايا التاريخ والأدب التي أثارها
وكشف رأى الإسلام فيها .

٦ - كتاب الدكتور سعد ظلام (آراء أدبية) والذي رضى فيه في
عدة فصول لسقطات طه حسين في منهجية الأدبي وما يتصل بالشعر الجاهلي
والبقية تأتي .

الكتاب الاسود

جمع الاستاذ محمود مهدي الاسلامبولي معارك طه حسين مع أبناء جيله وخصائمه وأثبت ردوده عليهم ودحضهم لآخطائه ، في كتاب سماه (طه حسين في ميزان العلماء ولادباء) وكان في جمعه لهذه المعارك أمينا غاية الأمانة فهل هذا العمل جريمة حي ينشر عنه هذا العنوان في جريدة الأهرام :

(كتاب أسود عن طه حسين يشوه تاريخنا الثقافي)

وكيف يشوه تاريخنا الثقافي أن يقدم أحد العلماء مارد به العلماء على سموم طه حسين وأفساده لكثير من مفاهيمنا ، وهل يكون الكشف عن الأخطاء تشويه لتاريخنا الثقافي ألا إذا كان حجب هذه الردود هو الذي يمد تاريخنا الثقافي بالنماء والقوة .

هل يريد هؤلاء التوم أن نحجب أخطاء طه حسين ومواقف حياته وفكره ليظل في نظر الأجيال الجديدة مقدسا ينظرون في كتبه وكأنها الشئ الذي لا ينقض ويضيقون بكشف فساد فكرة وتبعيته ، صحيح أنهم يكتبون عنه في صحف كبرى تنشر على أوسع نطاق وما نكتبه نحن ينشر في صحف متواضعة ، أو مؤلفات لا يطبع منها إلا آلاف قليلة ، ولكن الحق هو الحق ، وهو ظاهر منتصر مهما ضيق عليه .

وقد جاء كتاب (محمود مهدي الاسلامبولي) ليؤكد عالمية الكشف عن سموم طه حسين وأنه ليس ما نشر في مصر وحدها سواء كان كتابنا (طه حسين : حياته وفكره في ميزان الاسلام) أو مقدمة كتاب المتقني (الاستاذ محمود محمد شاكر وإنما جاء من ثلاث جهات أخرى من الأردن في كتاب الدكتور المختب (طه حسين مفكرا) ومن المغرب (مدخل في

التاريخ والأدب العربيين للدكتور محمد نجيب البهيني ومن الشام في كتاب الاستامبولي ، ثم جاء أخيراً في كتاب الأستاذ جابر رزق (الجريمة والإدانة) ولا ننسى كتاباً عن الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد وكتاب آخر للدكتور سعد ظلام وكلها تقنين لحطايا طه حسين وأخطائه ونحن نود أن يعرف أخواننا المدافعون عن طه حسين أننا لا نعتبر طه حسين فوق النقد ، ولا نؤمن بأنه قيعة قومية في نقدها انتقاض لمصر ، ولا نعتبره متقدماً على الكثيرين ، الذين قدموا الكثير ولم يكرمهم أحد ولم تعقد لهم المجامع ، فكيف يكرم رجل احتاطته الشبهات من كل مكان ، وثبتت في وقائع حياته حقائق كثيرة كشف عنها الذين عاصروه وعاشروه ، أمثال الأستاذ أحمد حسين ، وأحمد الحوفي ، وسعيد الأفغاني وبعضهم راجعه في أخطائه فأعترف به ونصحهم بأن يستروها عنه ، ليس المعبرة بالخلاف في المسائل الثقافية ولكن موضع النظر هو الإصرار على الأمر ، مع كتمانها ، والمراوغة فيه ، وترقب الفرص لإظهاره مرة أخرى والاختفاء عندما يكشف الستار عنه .

وغاية القول أن طه حسين (كان منذ أن بدأ معركته مع الإسلام بكتابته (في الشعر الجاهلي) مصراً على المضي فيها إلى النهاية مهما كلفه الأمر ، وقد انسحب ذلك على حياته كلها خلال فترة تزيد عن خمسين عاماً — كان فيها حارساً — كما يقول تليذه اللصيق به — سكرتيره القبطي وزوجته الكاثوليكية وقد شمل ذلك حياته كلها وكتاباتاته كلها ولم تكن وقفاته أو مهادنته ألا محاولة لتخفيف التركيز عليه ، ولم يكنه كان موقفاً بالعمل ملتزماً في نظر أهل الغريب والاستشراق ، متعامداً معهم ، كان متصل العمل في حرب الإسلام ، سواء في صيدان الأدب أو التاريخ ، أو مهاجمة الأزهر ، أو اللغة العربية ، فهي كلها خيوط تمتده ، من بداية واحدة إلى غاية واحدة ، وكان عمله سواء في الجامعة أو في وزارة المعارف أو في اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، أو في الجمع اللغوي ، أو في البعثات السنوية ومؤتمرات المحققين وزيارات الجامعات في المغرب .

أو اتصالاً به مع المستشرقين المسيحيين واليهود (أو اليساريين والامريكيين) بعد القرنين السابع والثامن إلا خيوطاً متسقة في الخطة الوحدة مهما بدأ غير ذلك وكانت كل مرحلة تسلم إلى المؤحلة الأخرى، وكان هناك مخطط ينفذ له فروعه وزوايا بحث يشمل الفكر الإسلامى كله ويمتد بخطة الشك الفلسفى إلى جميع جوانبه، وكان من وراء ذلك توجيه وإشراف، وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحى جزء من هذا المخطط وتكوين الأجيال والأولياء الذين يحملون المخطط ويسرون به إلى الإمام قداماً في الصحافة والجامعات ومجلات الثقافة.

فأين هذا كله من التوجيه الذى يريد أن يضيفه على شخص معرأة تماماً أمثال مصطفى عبد الغنى أو سامح كريم وهم مع الأسف أما مخدوعون لا يستطيعون أن يستشفوا أبداً المخطط الخطير الذى يستخدمهم أو واقعون فيه.

ونحن إذا رجعنا المستشرقين يتحدثون عن داسمويه (عبقريته طه حسين). فهل يندعنا ذلك وهم يقولون كلما كتب طه حسين شيئاً : هذه بضاعتنا ردت إلينا وإذا قالوا (علينا أن ننتظر طويلاً قبل أن يحود الزمان بمثلها) نفهم أن أولياء التعريب الآن ليسوا على المستوى وانهم يتحسرون بعد طه حسين حيث لم يجدوا من يؤدى دوره، وقد سقط الدكتور زكي نجيب محمود سقوطاً شنيعاً حين تهمض هذا الدور بالرغم من أن فتحت له صفحات الأهرام وطبعت مؤلفاته أرقى طباعه ولكن ذلك كله جصاد الهنيم وقبض الريح وفي الأخير دكتوراه من أمريكا تكشف ولاءه الجديد.

وحين يقول عبد العزيز شرف أن طه حسين تحول إلى تدعيم القيم من خلال فالدع عن الاسلام في وجه التبشير الضارى الذى قام به المستشرقين الغربيين نضحك ونسخر من خداع شرف لعقلية المسلمين فكيف يقاوم طه حسين التيار الذى نشأ فيه وكيف يخرج من البحيرة الأستنة الى غرق فيها، لقد كان عمله في حق التاريخ الإسلامى محاولة لتركيز قيم معنية يريد التمييز والاستشراق فرضها على الفكر الإسلامى من خلال كاتب عربى له اسم مسلم، أشياء معنية: أفكار عبد الله بن سبأ اليهودى، التقليل من شأن خالد بن الوليد،

أثاره الشبهات حول الصحابة وأعتبارهم مجموعة من الساسة المحترفين ، هذه عناوين أعطيا طه حسين من القيادة التخريبية الاستشراقية يتناولها بأسلوبه الموسيقي في الفكر الإسلامي وندع لها الكثيرون ثم تنبهوا أخيراً .

حاشية :

يقول الاستاذ محمود مهدي الاستانبولى فى التعليق على ما كتب عن كوابه فى جريدة الأهرام تحت عنوان : كتاب أسود عن طه حسين فيما يتعلق بكتابات المسيحيين والعلانيين والمستغربين على هذا الكتاب فأنهم يديرون أن يسموا بالحقى فأنى لم آت شيئاً من عندى وإنما جئت بأراء وردود كبار العلماء والأدباء فى عصره وبعده عصره وطه حسين لا يعد بجانبهم شيئاً مذكوراً وخاصة وهو قدر جمع عن أرائه وأقواله كما يزعم الكثيرون مع العلم بأن التوبة لا تكون بكلمة يقولها القائل بعد ما ترك الآثار المدمرة ، ولكن تسكون يرده عليها . قال الله تعالى [إلا الذين تابوا وأصلحوا وينفوا فأولئك أتوب عليهم (البقرة ١٦٠)]

وكتابتى عن طه حسين بعد كتابا وثائفيا ليس لى فيه كبير أثر ألا القليل فالرد عليه معناه الرد على كبار الكتاب والعلماء والأدباء السابقين رحمهم الله تعالى واجزل ثوابهم وقد غابت هذه الرد وبقيت كتيبه التى صدرت بعده فى طبعات جديدة تمسرح وتمرح وتفسد فى الأرض .

ومنذ سنوات أقيم لظه حسين ، فى مصر احتفال ظهر على أثره كتاب (ذكرى طه حسين) أشاد به الكتاب والشعراء الابواق والمرتزة ورفعوه مكانا عليا وهم بمعلمهم هذا يردون على العلماء والأدباء الكبار والعظم الذين اثبتوا جهله وزيفه وهزله فى حاجة إلى وضعهم فى قفص الاتهام ومحاكمتهم .

محاولة إعادة طه حسين إلى الأزهر

ومن مخططاتهم أنهم حاولوا إعادة اعتبار طه حسين ، في الأزهر بشكليف شاب كفيف بأن يكتب عن طه حسين أطروحة تنافس في مدرج كلية اللغة العربية ولكن الیقظة التي عمت كل الجامعات كانت قد شجبت هذا العمل فقال الدكتور سعد ظلام : لو راجعنا الفكر الأدبي للدكتور طه حسين في الفترة التي سبقت رحلته إلى فرنسا والتي تلت خروجه من الأزهر لوجدنا صورة التناقض واضحة في شخصيته فثلاً نراه يقول في إحدى قصائده : إن العشق رسول الفسق لأن فتاة نظرت إليه بإستخفاف وأعراض ثم إذا ما أشفقت عليه فتاة أخرى وأظهرت له شيئاً من العطف عاد ليقول : العشق هو الحياة .

هذه واحدة والاثنية : عندما يصف الزواج من الاجنبيات بأنه كفر ويكتب في ذلك امقالات والقصائد محرماً ، مانعاً ، معترضاً ولكن ما أن يعلم بقرار إبتعائه حتى يدخل على أمه وإخواته مهتلاً لأنه سوف يتزوج بأجنبية رائعة الجمال وليست كخضر عذبة السكيلو .

ثالثاً : ظل طه حسين يؤكد على رسالة الأزهر وأنه أصلح مكان للتعليم لولا ملاذاته منه وأعلن أنه سوف يظل مرتبطاً بالأزهر وبزيه الأزهرى ونافس رسالته في جامعة فؤاد الاول بزيه الأزهرى ، وبينما هو في الباخرة إلى فرنسا قطع سكون الليل صوت ضخم فزع الناس له ولم يكن هذا الشيء سوى عبادة الشيخ طه حسين وكأنه يعلن تخلصه من ولائه للأزهر في الوقت يعلن فيه ندمه الشديد على ما فعل وهذا تناقض آخر فضلاً عن تناقضه السياسي وهو أشد وأخطر .

ولا شك أن دكتور طه حسين عقلية جبارة لو أرادت أن تحرك الركود الفكري في مصر ولكن فرق بين تحريك الفكر وأثرائه وبين نقضه وهدمه فيلاحظ على كتابه (في الشعر الجاهلي) بما فيه من خروج على الدين والوطن في

التوراه وفي القرآن ، فهل كان هذا من قبيل تحريك الفكر واثرائه أم من قبيل هدم الصرح وتنفيذ المخطط الاستشراقي الذي تعلبه في فرنسا فهو يحاول أن يستخدم المنهج الاستشراقي في الطعن على الإسلام ويتخذ من بعض الأدلة المستقيمة وسيلة إلى أن يلوى ذراعها ويحزحها عن مكانها ويطن بها بدل أن كانت ضده أو ليست في صفه على الأقل فهو يستدل ببعض النصوص من طبقات الشعراء ولكنه يحرقها ويأخذ منها ما يتفق ورأيه ويقف عنده ولو أنه أكل النص لكان يهدم كل الفكر مثل قول أبي عمرو بن العلاء (ما لسان حير بلساننا ولا لغتهم بلقننا) فهو يضيف إلى هذا النص بعض ما يتفق وهو أنه ثم يقف به عند (بلساننا) تاركا الجزء الباقي .

أعلن طه حسين أنه يستخدم المنهج الديكارتي وهو منهج ربما يكون أسلم في الاستعمال الأدبي وغيره لو أحسن استعماله ، ن لكننا نراه لا يقف على هذا المنهج ولا يستعمل مبادئه الرياضية والعقلية فيبعد عنه بعداً كبيراً من حيث يقول أنه يطبقه ، وأساس منهج ديكارت الشك في الشيء حتى تثبت صحته ومن شروطه نسيان كل المعلومات حول هذا الموضوع مقدماً ولكن دكتور طه حسين طعن ولم يشك وكانت في ذهنه النتائج التي يريد التوصل إليها ثم يحاول أن يتدخل لها مقدمات توصل إليها وهذا خلاف كل المناهج والأشكال المنطقية والافينية العقلانية . وإذا كان الدكتور طه حسين يذكرنا بأنه يستخدم المنهج الديكارتي فإننا بعد قراءة الكتاب نخرج بنتيجة واحدة هي أنه لم يطبق هذا المنهج إلا في جزء واحد هو الشك وإذا كان الشك الديكارتي غاية للوصول إلى نتيجة سليمة فإن شك طه حسين لم يكن ديكارتيًا بقدر ما كان طعنًا وافتتانًا ومحاولة للوصول إلى الخروج على القيم الإسلامية والأدبية التي لها طابع الاحترام والتقدير فهو لم يستخدم المنهج الديكارتي وإنما استخدم منهجا أزهريا هو منهج الجرح والتعديل في رجال الأزهري .

وقال الدكتور إبراهيم دويدار : أن ما ورد عن طه حسين في قصته الانتحال في الشعر الجاهلي يمثل قمة الفساد الفكري عند طه حسين ، ذلك لأن مبدأ الانتحال

قائم من ناحية المبدأ والتزيد موجود في كل عصر ، إنما أن يتحول الاستثناء إلى أصل فهنا اختلف الأزهر والعلماء معه ، لقد ادعى طه حسين أن الشعر الجاهلي أضيف إلى الجاهلين وليس لهم وهذا يعني أن العرب لم تكن لهم لغة جامعة يلتفون عليها ثم ينزل القرآن بعد ذلك متحديا لهم كمعجزة محمد ﷺ وهنا تكمن الخطورة في فكر طه حسين الذي أراد أن يلغى معجزة القرآن الكريم بجمرة قلم قبل بعد هذا فساد في الفكر .

ويقول الدكتور صلاح عبدالنواب : لقد بدا طه حسين العداء للأزهر وعلماؤه وحرص على إبراز العلماء في صورة المتحدي الذي يحاول تعظيم أي كفاءة متفوقة ، وذلك لإحساسه بالتعالى والكبرياء وهو يحس أنه مساو لأعضاء اللجنة التي تمتحنه بل هو أحسن .

ولعل هذا الدافع الذي جعله يتجنى على الأزهر وهو يحاول تحدى علماؤه بأن يجهر بأراء تسمى إلى الإسلام ، هذا أنار حفيظة الأزهر ضده حتى أوقفه عند حده وإعادة إلى رشده .

ويقول دكتور محمد رياض قناوى : لعل الشيء الذي لم يكن معروفا بالنسبة للبعض : أن كثيرا من آراء طه حسين كان مسبوقا إليها بأراء المستشرقين الذين حاولوا أن يطعنوا في كل ما هو إسلامي ويستنتج من ذلك أن طه حسين حاول أن يتخذ منها استقرار في ذهنه للوصول إلى حقيقة معينة ولكنه أخذ في إستخدام المنهج ولعل مما تخفف من عنق القضية أن طه حسين لم يأت بكتابه في الشعر الجاهلي من عند نفسه وإنما رده عن فكر مرجليوث ونسبه إلى نفسه .

الفصل الثامن عشر

تحفظات

على الكتابة العصرية للمسيرة النبوية

حول كتابات طه حسين وهيكال والعقاد

إن العمل الذي قام به الكتاب المصريون لتقديم السيرة ، قد أدى دوراً لا بأس به وأحدث أثراً طيبة في نفوس المسلمين ، ولكنه لم يكن عملاً أصيلاً على طريق التطور الطبيعي لكتابة السيرة من منطلق المفهوم الإسلامى الجامع القائم على أساس التقدير الكامل للوحي النبوة والغيبيات والمعجزات ، ومن هنا كان عجزه وقصوره الذى جعله فى تقدير الباحثين قائماً على التبعية والاحتواء للنماذج الغربية التى لم تكن عمليتها ، الأمظهر أخادعا يخفى من وراءه الأهواء والخلافات بين الأديان ونزعة الاستعلاء الغربية ومطامع النفوذ الغربى فى السيطرة على الفكر الإسلامى والتاريخ الإسلامى حتى لا يحقق إيمعائه الأصيل هدفاً يحدد يحدد حضارة الإسلام ويفتح الطريق لقيام المجتمع الإسلامى .

لقد احتوى هذا العمل على مجموعة من الأخطاء الأساسية التى كان مصدرها تبني أسلوب المستشرقين وتبني وجهات نظرهم وهم أساساً لا يعترفون بالإسلام ديناً خاتماً ولا بالنبي محمد ﷺ ، ولا يؤمنون بالوحي ولا يفرقونه كما يفرق المسلمون بين الألوهية والنبوة .

وفى مقدمه هذا البحث نؤكد أن كتابات المصريين فى السيرة النبوية كانت فى عصرها أسراً محبياً أقبل الناس عليه وقدم سيرة الرسول ﷺ وعظمة الإسلام للجماهير التى كانت لا تلم بالدراسات العلمية ألا قليلاً ، فقد كتبت هذه الفصول أول الامر فى المجلات الأسبوعية الشهيرة (السياسة الأسبوعية ، والرسالة) بما كان لها أثرها الواسع فى الانتشار والذيع ، وقد اختلفت فملاعماً سبقها من كتابات السيرة التى نشرت فى مؤلفات لعلية الأسلوب الصحفى الميسر .

واقـد كانت هذه الـكتابات فى تقـدير المؤرخين والباحثين على حالتين :

(الحالة الأولى) : العامل القريب والمباشر وهو ظهور حركة التبشير المسيحى الضخمة فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٢ وتنصير عدد من الطلاب المسلمين بها وكان ذلك جزءاً من موجة ضخمة قام بها الغرب بعد أن استردت الفاتيكان الأموال الضخمة التى كانت قد احتجزتها الحكومات الإيطالية عنها.

(الحالة الثانية) : أثر الحرب العالمية الثانية فى نفوس الناس بالدعوة إلى الرجعة إلى الدين والتطلع إلى آفاق جديدة تقدمها رسالات السماء وفى مقدمتها الإسلام .

غير أن هناك عوامل أخرى خفية وراء ظواهر الأحداث تحدثت عنها كتابات الباحثين والمراقبين لهذه الأحداث منها :

أولاً : رغبة حزب الأحرار الدستوريين فى كسب مشاعر الوطنيين بعد أن عرف عنه أنه الحزب الذى يجمع دعاة التغريب وأساطينه والذى صدرت من عبائنه المكتب التى أشارت الضجة وخالفت مفاهيم الإسلام الأساسية وهزت مشاعر الناس ، وفى مقدمتها (الشعر الجاهلى لطفه حسين) و (الإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق) ، وكانت الفكرة التى استقر عليها رأى هو الدخول إلى مشاعر المسلمين عن طريق الكتابة عن الرسول ﷺ (هذا بالنسبة لكتاب حياة محمد للدكتور هيكل) .

ثانياً : الموقف الذى أحدثته الحرب العالمية من ائتلاف بين البلاشفة والرأسماليين فى وجه النازية وما تسرب إلى البلاد العربية من دعايات شيوعية ورغبة الغرب فى مواجهتها عن طريق تزيف مفهوم الماركسية عن البطولة الجماعية ورد الاعتبار للبطولة الفردية التى كانت عنواناً على الفكر الليبرالى الغربى ومن هنا كانت الكتابة عن البطولات الإسلامية من منطلق غربى (هذا بالنسبة للعقريات) .

وقد ظهرت هذه الكتابات متفرقة في الصحف : [حياة محمد] في ملاحق السياسة سنة ١٩٣٢ على إنها ترجمة وتلخيص لكتاب أميل درمنجم وكانت تنشر تحت هذا العنوان (حياة محمد ، تأليف أميل درمنجم . تلخيص وتعليق الدكتور محمد حسين هيكل) .

ثم ظهرت فصول (على هامش السيرة) في الأعداد الأولى من مجلة الرسالة التي صدرت ١٩٣٣ بقلم الدكتور طه حسين ، أما فصول (عبقرية محمد) فقد بدأت عام ١٩٤٢ بقلم الأستاذ العقاد في أحد الأعداد السنوية الخاصة بالمجرة من الرسالة بعد أن اشتعلت الحرب العالمية الثانية بعامين .

وكان الكتاب الثلاثة من المعروفين في مجال الدراسات الأدبية والسياسة بأنهم عصريون ليراليون علمانيون ، قليلوا الاهتمام بالدراسات الإسلامية ، بل كانت جريدة السياسة تحمل حملات ضخمة على الإسلام (هيكل — طه حسين — على عبد الرازق — محمد عبد الله عنان) وتوازروا الغزو الثقافي ، بل لقد حمل الأستاذ العقاد حملة ضارية على الكتب الإسلامية التي صدرت عام ١٩٣٥ في جريدة روز اليوسف اليومية وعدها ظاهرة خطيرة وقال أن هذه الكتابات بمثابة مؤامرة على القضية الوطنية وتردد يومها أن الدكتور محمد حسين هيكل قد أحرز ندرأ ضخما من الكتب المأدب من كتابه ومن ثم أصبحت الكتابات الإسلامية موضع تقدير في نظر الكتاب ، غير أن أخطر ما هنالك أن الدكتور هيكل وعلى عبد الرازق أعلنوا موقفا خطيرا في مجلس الشيوخ عندما أثير النقاش في كتابات طه حسين ورققا للدفاع عنه وتبين من ذلك أن الكتابات عن الإسلام لم تكن تصدر عن إيمان برسالة الإسلام (بيتا ودوله) وإنما كانت من الأعمال السياسية ، والحزبية وإذا كانت كتب : حياة محمد وعلى هامش السيرة والعبريات قد هزت وجدان الشعب المسلم وقتها وأحدثت نوعا من الإعجاب والتقدير فإن هذا كان هدفا مقصودا من الجهات التي شجعت ذلك وهو :

أولاً : مواجهة حركة اليقظة الإسلامية التي كانت تهدف إلى تقديم الإسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع بكتابات إسلامية من أقلام لامعة لها مكانتها السياسية في الجماهير لتحويل التيار نحو المفاهيم العلمانية والليبرالية يعد وهو ما يسمى (تقديم البديل) المتشابه ظاهراً والمختلف جوهراً وهو بهذا استجابة ظاهرية للوجبة الإسلامية ومحاولة لاحتوائها .

ثانياً : فرض المفهوم الغربي على السيرة والتاريخ الإسلامي وهو المفهوم المفرغ من الوحي والغيبيات والمعجزات .

ولكن هذه الطاهرة بالأعجاب بكتب الليبراليين عن السيرة لم تدم طويلاً فقد تنكشفت خفاياها وظهر أن منهج الكتابة في هذه المؤلفات لم يكن إسلامياً أصيلاً وإنما اعتورته التبعية لمفاهيم الاستشراق والتغريب حتى لم يمكن أن يقال في غير ما حرج أن المؤلفات الثلاثة الكبرى :

(حياة محمد - علي هامش السيرة - عبقرية محمد) هي نتاج غربي يعتمد على مذاهب الكتابة الغربية ويخضع لكثير من أخطائها ويسقط بحسن نية وراء مفاهيمها الكدنية والمادية ويختلف اختلافاً واضحاً عن مفهوم الإسلام الجامع .

ولقد تطورت الدراسات الإسلامية في ظل حركة اليقظة الإسلامية واستطاعت أن تتحرر من هذه المرحلة التي كانت تمثل التبعية للفكر الغربي في دراسات التاريخ الإسلامي وكتابة السيرة وهي التي قامت على مفهوم يتسم بالتأويل للمعجزات ومحاولة حجب الكثير من وجوه الإعجاز ومتابعته المستشرقين في مفاهيمهم لسيرة النبي الكريم .

وفي الكتب الثلاثة نجد أن العمل يبدأ غربياً ثم يفرض على سيرة صلى الله عليه وسلم .

١ - فالدكتور هيكل يبدأ عمله في كتابة السيرة بترجمة كتاب (اميل درمنجم) الكاثوليكي الفرنسي ويتبنى كثيراً من آرائه التي يمكن أن توصف بالخطأ أو عدم

القدرة على فهم الإسلام أو تبني عقائد النصارى أو متابعة هدف يرمى إلى التقريب بين الأديان أو الدعوة إلى وحدة الأديان (وهو هدف ضال) .

٢ - والاستاذ المقاديد بدأ عمله بمنطلق غربي محض هو فكرة (العبقرية) التي تداوتها كتابات الغربيين شوطا طويلا عن نوع من الامتياز أو الذكاء في مجال الفن والموسيقى والشعر والقصة في الغرب ويسحب هذا الوصف على النبي ﷺ المؤيد بالوحى وعلى العظماء من الصحابة دون تفرقة واضحة بين النبي والصحابة .

٣ - والدكتور طه حسين يعلن في غير ما حرج أنه استوحى (هامش السيرة) من كتاب جيل لومير عنوانه (على هامش الكتب القديمة) وأنه يحشد فيه كل ما استطاع من اساطير اليونان والمسيحية واليهودية والاسرائيليات وهكذا يتبين تبعية هذه الدراسات أصلا للفكر الاستشراقى .

ويمكن تصنيف الأخطاء التي وقعت فيها المدرسة التغريبية في كتابة السيرة على هذا النحو :

أولا : متابعة مناهج ودراسات كتاب الاستشراق فقد عهد الكتاب الكبار الثلاثة إلى البدء في كتابة السيرة من منطلق غربي استشراقى ، فالدكتور هيكل معجب بكتاب أميل درمنجيم وما يحويه من آراء تقرب مسافة الخلف بين الإسلام والنصرانية ومن ذلك نراه يتابعه في مجموعته من الآراء تختلف مع منهج الإسلام الأصيل ، كان هيكل قد رد آراء المستشرقين الأوائل إلا أنه قد خضع لمناهج المستشرقين وفهمهم في الفلسفة المادية ، بالنسبة للمعجزات ، وبالتسبة للاسراء والمعراج وبالرغم من نوايا الدكتور هيكل الطيبة في تقديم صورة بارعة للرسول ﷺ فإن موقفه من إنكار المعجزات والغيبات ونهايتها - حتى وإن وردت في القرآن والسنة على حد قوله - كان مأخذا كبيرا في تقليل قيمة العمل الذي قام به .

فقد أنكر عدداً من المعجزات الثابتة بصريح القرآن ومتواتر السنة ، كنزول الملائكة في بدر ، وطير الأبايل ، وشق الصدر ، والأسراء ، وأن (أقرا) كانت مناما ، وقد أول ذلك كله لإرضاء المذنب العلي الغربي الذي أعلن التزامه به فأعتبر الإسراء سياحة الروح في عالم الرؤى ، ووصف الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين في غزوة بدر بالدعم المعنوي ، ووصف طير الأبايل بداء الجدري وأعتبر شق الصدر شيئاً معنوياً ، وأعتبر لقاء جبريل بالنبي في حراء مناما ، وبذلك عمد إلى تفريغ تاريخ ﷺ من الحقائق الغيبية والمعجزات وقصر موقفه على إن للنبي معجزة واحدة هي القرآن الكريم مع أن الخوارق والمعجزات لا يمكن أن تتنافى في جوهرها مع حقائق العلم وموازينه وقد سميت خوارق لخرقها لما هو ماؤف أمام الناس ، وما كان للآلاف أو العادة أن يكون مقياساً عليها لما هو ممكن وغير ممكن ولما كان الله تبارك وتعالى هو صانع التواميس فإنه هو القادر على خرقها متى شاء .

يقول الشيخ محمد زهران :

ولقد علل الدكتور هيكل إنكاره جميع المعجزات الحمديدية (غير القرآن) بأنها مخالفة للسنن الآطية ، وزعم أن روايات معجزاته (ﷺ) موضوعه ، قصد واضعها إما أن يجعل لنبينا مثل ، مالموسوعيسى عليهما السلام وأما أن يشكك الناس في صحة آية (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ولا شك أن دعوى استحاله خرق العادات المعبر عنه في كتابه بمخالفة السنن يستلزم التسليم بها إنكار الإسلام من أصله وتكذيب الأديان كلها ومنها انكار الأحاديث التي اتفق على قبولها أئمة الحديث وغيرهم مع تواترها والإجماع على مضافتها .

ثانياً : موقف النبي ﷺ من وفاة ابنه إبراهيم

كذلك فقد كانت الصورة التي رسمها الدكتور هيكل عن حزن الرسول ﷺ لوفاة ابنه إبراهيم عما لا يتفق مع جلال النبوة وعظمة الرسالة إذ صورته بحلوات

الله وسلامه عليه وأصنعاً ولده في حجره وعيناه تذرفان الدموع مدراراً ولسانه ينطق بالفاظ يشيع منها الحزن والأسى وتقطر غما وتأثراً مما يشبه أن يكون ضعفاً عن احتمال صدمة الحادث .

والحقيقة أن رسول الله ﷺ أسعى قدراً من أن يصدر منه ما صوره الدكتور هيكل هياماً في الخيال والشعر والقصاص ، وإنما أظهر من حزن سام وزرفت عيناه دموعاً مطهرة لا يذرفها إلا الله ولا يمكن أن يكون الرسول (ﷺ) قد بدرت منه الألفاظ التي نسبها إليه الدكتور منساقاً مع شعوره حين حزن هو على فقد ولده ولأجل هذا غير اسم كتابه رحلة إلى أوروبا إلى عنوان (ولدى) . إن رسول الله ﷺ يعلم علم اليقين وحق اليقين أن الله يفعل ما يشاء . ويحكم ما يريد ، وأن ولده إبراهيم لن يعيش طويلاً حيث يقول تبارك وتعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) لقد مات له ولدان من قبل احتسبهما في رضى وإيمان .

٣ - تقبل وجهات نظر درمنجم في مسائل اساسية :

وقد أخذ على الدكتور هيكل تقبل وجهات نظر أميل درمنجم ، في تصوره أن النبي قد تأثر بأهل الكتاب في الجزيرة العربية أو في ذهابه إلى الشام أو في ارسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية ، فقد جرى (هيكل) وراء عبارات درمنجم دون أن يتبين مكره وخبثه حين حاول أن يصوران دعوة النبي أصحابه إلى الحبشة من أجل أنها مسيحية .

ويتساءل الدكتور حسين المراوى الذى نافس هيكل في هذه النقطة :

هل حقيقة كانت الهجرة إلى الحبشة لأنها مسيحية ، ويقول إن درمنجم شأن المستشرقين بتو هذه القصة بصفة مشوهة للحقيقة ، فلم يكن الدافع للنجاشي ورعيه ونحوه ولم يكن سبب عطفه ورحمته ذلك الدافع الدينى بل الدافع الحقيقى أن هذا

النجاحي كان عادلا وهذه هي الخلة التي ذكرها النبي حين قال (لأن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق) .

ومن مراوغات درمنجم تفسيره للآية الكريمة :

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) يريد درمنجم أن القرآن طلب إلى النبي سؤال أهل الكتاب وأن الله تعالى رضى للناس الإسلام ديناً مع بقاء الأديان التي سبقت ، وحدة مندمجه مما أسماه الكمال الروحي ، ولا ريب أن هذه مراوغة خطيرة من الاستشراق يحاول بها أن يفسر الآيات القرآنية تفسيراً يخدم به أهدافه والحقيقة أن الإسلام جاء ليظهره الله على الدين كله وأن الأديان كلها التي سبقت كانت موصلة إليه لولا أن قادتها حرفوها .

ثانياً : ظاهره إنكار المعجزات وتأويلها لإرضاء المنهج الغربي وباسم أعلاء

نظرة العقل: هذه الظاهرة واضحة تماماً في كتابات هيكل وطه حسين والعقاد وقد قامت عليها كتاباتهم في (حياه محمد وهامش السيرة والعقريات) وكانت لها جذور تمتده في كتابات الشيخ محمد عبده وفريد وجدي وقد هاجمها الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية في كتابة الضخم (موقف العلم والعالم من رب العالمين) .

وقد جرى الكتاب الثلاثة هذا المجرى باسم (المنهج العلمي الغربي) .

والحقيقة أن المنهج العلمي هو منهج إسلامي الأصل والمصدر على خلاف دعوى بعض المتأثرين بالدراسات الغربية ، ولقد كان من أبرز أهداف التغريب التأثير في أسلوب كتابة التاريخ الإسلامي وفي مقدمة ذلك (سيرة النبي الأعظم) إيماناً منهم بأن هذه الصفحات الباهرة من شأنها إذا عرضت عرضاً صحيحاً أن تبهر الأجاسيس العميقة في قلوب شباب المسلمين ومن هنا كانت محاولتهم المسمومة في إدخال أسلوب عصري له طابع برقي ولكنه يخفى من وراء ذلك إطفاء الأنوار

التي يقدمها هذا التاريخ من حيث الصلة بالله تبارك وتعالى والاعجاز الرباني الواضح في كل مواقف حياة النبي ﷺ وفي تاريخ الإسلام وفتوحه ، ولما كان هذا العمل هو بمثابة هدف واضح الدلالة في مخطط الاحتواء الغربي الذي يرمى إلى التقليل من شأن البطولات الإسلامية ووضعها موضع المقارنة مع البطولات الغربية من خلال النواحي المادية وحدها فقد حجت هذه الدراسات جانباً كبيراً من أثرها المعنوي والروحي الذي يهز النفوس ويملاها بالثقة واليقين في عظمة هذا الدين الخاتم وفي سعة العطاء الرباني لتبنيه .

ومن هنا كان ذلك الأسلوب المسمى بالعلمي الذي اصطنعه كتاب لهم اسماء لامعة ولم تمكن لهم سابقة في الدراسات الإسلامية بل كانوا غارقين في دراسات الغرب وبطولات رجاله (جان جاك روسو ، فولتير ، مونتسكيو ، أرسطو الخ) في محاولة للتقليل من قدر أحداث السيرة النبوية تحت اسم العقلانية وإنكار المعجزات والجوانب الغيبية والأعراض عن الجوانب ذات الصلة بالإيمان والعقيدة واليقين والتقوى وغيرها .

ولقد استطلال الدكتور هيكل في مقدمة كتابه بإعجابه وتبنيه للطريقة العلمية الحديثة وأشار إلى ميزاتها وأفضليتها ، ولكن الشيخ محمد مصطفى المراغي في مقدمته لكتاب حياة محمد لم يخفى عليه هدف هذا فقال :

أما أن هذه الطريقة حديثة فهذا ما يعتذر عنه وقد سائر الدكتور (هيكل) غيره من العلماء في هذا ، ذلك لأنها طريقة القرآن كما أعترف هو ولأنها طريقة علماء سلف المسلمين ، أنظر كتب الكلام تراجم يقررون أن أول واجب على المكلف معرفة الله فيقول آخرون : لا : إن أول واجب هو الشك ، ثم إنه لا طريق للمعرفة إلا البرهان وقد جرى الإمام الغزالي على الطريقة نفسها ، وقد قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقدر ورتب ووازن وقرب وباعد ثم انتهى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق وإلى ما امتدى إليه من الآراء ، وإلا ، واجد في كتب الكلام في مواضع كثيرة حكاية (تجريد النفوس) عما الفته

من العقائد ، ثم البحث والنظر فطريق التجريد طريق قديم وطريق التجربة والاستقراء طريق قديم ، والتجربة والاستقراء التام وليدا للملاحظة فليس هناك جديد عندنا ، ولكن هذه الطريقة بعد أن نسيت في التطبيق العلمى والعقل فى الشرق وبعد أن فشا التقليد وأهدر العقل وبعد أن أبرزها الغربيون فى ثوب فاصع وأفادوا منها فى العلم والعمل رجعتا نأخذها ونراها طريقة فى العلم جديدة ، أ.هـ

وهكذا تبين للدرسة الحديثة إن الإسلام هو واضح الأسس لهذا المنهج العلمى الذى أخذوا به ، وإن لم يطوروه حقه من الإحالة الإسلامية بل قصروه على الجوانب المادية فناتهم خير كثير ، نظراً لأن خلقياتهم مع الأسف كانت غريبة ولم يكونوا قد قرأوا من التراث الإسلامى ما يمكنهم من معرفة الحقيقة كاملة .

لقد كتبت هذه الدراسات بالرغم من حسن النية عند البعض - بصورة قاصرة خالية من الإيمان اليقين تحت اسم العلم الذى لا يعترف للنبي ﷺ إلا بمعجزة واحدة هى القرآن ، وكان من رأى فريد وجدى وهيكلى الأعراض عن الخبر الصادق التى ثبت فى الكتاب والسنة إذا عارض طريق العلم وبذلك حجبوا عن السيرة النبوية أهم جوانبها وأخطرها على الإطلاق وهو :

(جانب معجزة الوحى الإلهى وعالم الغيب) .

ولطالما ردد هيكلى وطه حسين وغيرهم كلمة العلم والمنهج العلمى ، والحقيقة أنهم ما كانوا يقصدون (العلم التجريبي) الذى يقوم فى المعامل على أساس الأنابيب ، وإنما العلم الذى قصدوا إليه والذين لقن لهم هو الفلسفة المادية التى قدمها التلويديون وكانت قد استفحلت فى الغرب بعد القضاء على الفلسفة المثالية المسيحية والمعروف أن أسانذتهم جميعاً كانوا من اليهود روركاييم ، ليفى بريل الخ .

وهى فلسفة التنوير كما يقولون ، قامت على إنكار جوانب الإنسان الروحية والمعنوية وتصويره بصورة الحيوان والحيوان الناطق والخاصع لشهوى الطعام والجنس (ماركس وفرويد) وقد امتد هذا الأثر إلى علوم الاجتماع والأخلاق والتربية والأدب والسياسة جميعاً ولم يكن هذا فى الحقيقة هو العلم ، وما كانت هذه المصيحات تساوئ شيئاً لأن هذه المفاهيم كانت سرعان ماتت وتسلط أمام

المتغيرات فضلا عن أنه قد ثبت من بعد عجز العلم التجريبي عن أن يقول (كيف)
وعجز الدراسات المادية أن تكشف سرائر العلوم الإنسانية .

واقده كانت هذه الدراسات مع الأسف خاضعة لفكرتين مسمومتين قائمتين
في نفوس وعقول كتاب الغرب والتغريب هما :

(أولا) فكرة (إخضاع الدين لمقاييس العلم) في أفق الفكر الإسلامي
كما فعل الغرب وهي فكرة مردودة لعمق الفوارق بين الاسلام وبين المسيحية
وقد تبين من بعد أنه ليس في الامكان إخضاع الدين لمقاييس العلم .

(ثانيا) تخليص الفكر الاسلامي من سائر الغيبيات التي لا تخضع لمقاييس
العلم الحديث .

ومن هنا كانت محاولة إخضاع السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي لهذا المفهوم
وهو ما جرى عليه كتاب التغريب من استبدال السند والرواية وقواعد التحديث
وشروطه بأسلوب جديد (زائف) من الاستنتاج الشخصي المتصل بدوق ومزاج
كل كاتب على حدة ، فطه حسين تابع لمذهب العلوم الاجتماعية والعقاد تابع
لمذهب العلوم النفسية وهيكل تابع لمذهب تين وبرونثير الخ ، هذا الأسلوب الذاتي
خطير جدا لأنه لا يقوم على قواعد أساسية علمية وإنما يقوم على أساس (الظن
وما نهوى إلا نفس) هذا الأسلوب يتيح لأصحابه أن يقبلوا وقائع وأحداثا
وأن يغضون عن غيرها مما تحيل مع وجهتهم المسبقة ، ومن هنا كان خطورة
هذا المذهب في :

(استبعاد ما يخالف المؤلف مما يدخل في باب المعجزات والغيبيات) في سيرة
النبي ﷺ .

كذلك فقد حاول دعاة التغريب الاستفادة من هذا الاتجاه ملاحظا خطيرا
هو القول : بأن الغاية منها هو ما أطلق عليه (فكرة الاندماج السكلي في السكال
الروحي) وأنها جميعا وحدة متصلة تربط البشرية في فكرة واحدة .

وهذه محاولة مضللة من مفهوم الباطنية والحلول لأن الأديان مترابطة من

حيث أن أولها يوصل إلى آخر ما واصل رُؤساء الأديان غيروا ولذلك جاء الإسلام مرة أخرى يربط نفسه بدين إبراهيم ليحيي هذه الوحدة في مفهومها الصحيح .

ثالثا : إنكار معطيات الرسالة الخاتمة :

ومن ذلك ما أورده الدكتور زكي مبارك في كتابه (النثر الفني) عن أن كان للعرب في الجاهلية نهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقية واجتماعية وفلسفية كان الإسلام تاجا لها ، أى أن الإسلام كان نتيجة وتاجا لتلك النهضة لا سبيل لها : يقول : لأنه لا يمكن رجلا فرداً مثل النبي محمد عليه السلام أن ينقل أمة كاملة من العدم إلى الوجود ومن الظلمات إلى النور ومن العبودية إلى السيادة القاهرة ، كل هذا لا يمكن أن يقع من دون أن تكون هذه الأمة قد استعدت في أعينها وفي ضمائرها وفي عقولها بحيث استطاعت (رجل واحد) أن يكون منها (أمة متحدة) وكانت قبائل متفرقة وأن ينظم علومها وأدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها وتجاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وأفريقيا وأوروبا في زمن وجيز ، ولو كان يكفي أن يكون الإنسان نبيا ليفعل ما فعله النبي محمد لما رأينا أنبياء أحققوا ولم يصلوا لأن أهمهم لم تكن صالحة للبحث والنهوض . . . ٥١٠ .

وهذا واحد من اتهامات التعريب والاستشراق المسقومة حملها فلم رجل ملقن اعتقد هذا الاعتقاد وتعلم في الغرب على أيدي اليهود يحاول أن يرد نهضة العرب بعد الإسلام لا إلى النبوة والرسالة وما أنزل الله على الرسول من دين ولكن إلى علوم وآداب وتجارب كانت عند العرب ، وإن كل ما فعله النبي هو أنه نظمها حتى استطاع أهلها أن يسودوا في القارات الثلاث في زمن وجيز .

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : أن تاريخ العلوم في الأمة العربية بعد الإسلام معروف كما أن مقاومة العرب للنبي ودعوته ومحاربتهم له ولها معروفاء ولكن الرجل ينكر التاريخ ويفترى تاريخا آخر ، ويؤزم زعما لا يجوز ولا يستقيم في منطق أو تفكير إلا إذا كان القرآن كلام النبي ، كلام محمد العربي ، لا كلام الله ، عندئذ فقط يعقل أن يكون العرب على ما وصف الدكتور من نهضة

وعلم وأدب لأن القرآن أكثر من نهضة وعلم وأدب ولا يعقل أن كان كلام بشر أن يأتي صاحبه في أمة جاهله كالتى أجمع على وجودها قبل الاسلام مؤرخو اللغة العربية من شرقيين ومشرقيين ومؤرخو الاسلام .

وهكذا نجد الدكتور زكى مبارك يهدر مقام النبوة الاسلامية بمقاييسه المادية البحتة التى صورت له كما صورت للمشرقيين أنه من المستحيل أن تؤدى رسالة النبي محمد في خلال بضعة عشر عاما إلى قيام هذا الملك الباذخ وهذا هو إنكار المعجزات والغيبيات ، في فهم السيرة النبوية وتاريخ الاسلام .

رابعا : إحياء الأساطير في سيرة النبي :

يقول الدكتور طه حسين في بحث نشره في كتاب (الاسلام والغرب) الصادر عام ١٩٤٦ في باريس : لقد حاولت أن أقصى بعض الأساطير المتصلة بالفترة التى سبقت ظهور النبي - ﷺ - ثم قصصت مولده وطفولته ، ونشرت هذه السلسلة تحت عنوان مقنن من جيل لومير وهو (على هامش السيرة) ويتحجج أن نعرف بأن كتابين فرنسيين كانا بمثابة الشرارتين اللتين أشعلت موقدين كبيرين : أحد الكتابين لجيل لومير عنوانه (على هامش السيرة القديمة) والثاني : حياته محمد لامييل درمنجيم .

أما كتاب جيل لومير فأنى بعد أن شعفت به كثيرا وضعت في نفسى الأسئلة الآتية :

هل يمكن إعادة كتابة مآثر الفترة البطولية في تاريخ الاسلام في أسلوب جديد أم أنه يتعذر ذلك ، وهل تصلح اللغة العربية لإحياء هذه المآثر .

وقال عن كتاب (على هامش السيرة) :

هذا الكتاب من عمل الخيلة ، اعتمدت فيه على جوهر بعض الأساطير ثم أعطيت نفسى حرية كبيرة في أن اشرح الاحداث واخترع الاطار الذى يتحدث عن قرب إلى المقول الحديثة مع الاحتفاظ بالطابع القديم .

وكان الدكتور طه يتحدث بهذا إلى المستشرقين في أول مؤتمر للحوار بين المسيحية والإسلام وبعد كتابه هذا خطوة في هذا السبيل من حيث دمج الأديان كلها في كتاب واحد وفي اختراع أخطر بدعة من إحياء الأساطير في الأدب العربي هذا ما كشف عنه طه حسين بعد سنوات طويلة من ظهور (على هامش السيرة) فإذا كان موقف الباحثين منه ، يقول صديقه وزميل دربه الدكتور محمد حسين هيكل :

استمسيح طه العذراء أن خالفته في اتخاذ النبي (ﷺ) وعصره مادة لأدب الأسطورة ، وأشار إلى ما يتصل بسيرة النبي - (ﷺ) - ساعة مولده وما روى عما حدث له من إسرائيليّات روجت بعد النبي ثم قال .

ولهذا وما إليه يجب في رأي أن لا تتخذ حياة النبي - (ﷺ) - مادة الأدب الأسطوري ، وإنما تتخذ من التاريخ وأفاصيصة مادة لهذا الأدب ، وما إن دثر أثر ما هو في حكم المندثر ، وما لا يترك صدقه أو كذبه في حياة النفوس والعقائد أثراً ما . والنبي (ﷺ) وسيرته وعصره يتصل بحياة ملايين المسلمين جميعاً بل هي فلذة من هذه الحياة ، ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثراً ، وأعلم أن هذه الإسرائيليّات ، قد أريد بها إقامة ميشولوجية إسلامية (١) لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ، ولتشكيك المستقرين ودفع الزبينة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه (ﷺ) فقد كانت هذه غاية الأساطير التي وضعت عن الأديان الأخرى من أجل ذلك ارتفعت صحيحة المصلحين الدينيين في جميع العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام ، ولا ريب أن كلام الدكتور محمد حسين هيكل هذا هو اتهام صريح لطه حسين في اتجاهه وتحميل له المسؤولية من أخطر المسؤوليات ، وهي :

إعادة إضفاء الأساطير التي حرر المفكرون المسلمون سيرة النبي (ﷺ) منها طوال العصور ، لإعادتها مرة أخرى لخلق جو معين يؤدي إلى إفساد العقول

(١) الميثولوجيا مصطلح غربي معناه : القصص الأسطورية الذي يحرك الدوافع وإن يكن له أثر من الصحة .

في سواد الشعب وتشكيك المستنيرين ودفع الريبه إلى نفوسهم في شأن الاسلام ونبيه (ﷺ).

وهذا الذي كشفه هيكل مازال كثيرون يجهلون وما زال المتابعون لحياة الدكتور طه حسين وتحولاته يرون أن هذا أخطر تحول له وأن هذا التحول جاء ليخدع الناس عن ماضيه وسابقته في إذاعة مذهب الشك وطارت الدعوات تقول : إن طه حسين عاد إلى الاسلام وأنه يكتب حياة الرسول ولم يكن هذا صحيحا على الإطلاق ولكنه كان تحولاً خطيراً وفق أسلوب جديد لضرب الاسلام في أعز فلذات حياته وهي سيرة الرسول الأمين - ﷺ - وأقدم دمه هيكل حين قال : لقد تحول طه الرجل الذي لا يخضع لغير محكمة النقد والعقل إلى رجل كلف بالأساطير بعمل على أحيائها وإن هذا يشير كثيراً من التساؤل ، إذ أن طه وقد فشل في تثبيت أغراضه عن طريق العقل والبحث العلمي - لجأ إلى الأساطير ينسجها ويقدمها للشعب إظهاراً لما فيها من أومام في ظاهرها وتفنن الناس .

وقد كان هذا مصوراً لما أورده الأستاذ محمد الناييف في كتابه [دراسات عن السيرة] حيث قال : إن على هامش السيرة هو في حقيقة [على هامش الشعر الجاهلي] ومتعم له ، فهو على طريق تطاوله على الاسلام ولكن مع المراوغة والمداينة .

ومن أبرز ما يلاحظ أنه خلط تاريخ الاسلام بأساطير المسيحية واليهودية وقساوسة مصر والشام وحير ونضارى الذين ، كما عني عناية كبيرة بأساطير اليونان والرومان ، وخلط هذا كله خلطاً شديداً مع سيرة النبي ﷺ وأراد بذلك إثارة جو من الاضطراب بين الاسلام المتميز بذاتيته الخاصة وبين ما كان قبل الاسلام من أساطير وخرافات وقد اهتم بتراث اليهود فقدم لهم قصة (مخبرق) اليهودى ...

وقد أخذ في كتابة بالأحاديث الموضوعة وفي نفس الوقت رد أحاديث صحيحة لأنها خالفت هواه ، وعول كثيراً على الاسرائيليات التي جاءت في تاريخ

الطبرى وأكثر من إيرادها ، وحشد قدراً كبيراً من الأساطير في قصة (حضر زمر) على يد عبد المطلب ، وبائع جدا في قضية ولادة الرسول ﷺ مع أنه لم يثبت منها إلا حديث واحد وأخذ بالأخبار الموضوعة في قصة (زينب بنت جحش) وجسم بعض المعجزات التي حدثت للرسول ﷺ عند مرضته حليلة السعدية وأثناء سفر النبي في تجارة خديجة رضى الله عنها .

وقد خص الشياطين باهتمام بالغ فتوسع في الحديث عنهم وصور مؤتمراً يتصدره إبليس للشياطين ورسم صورة للشيطان الذي حضر خلاف قريش على الحجر الأسود وكان على شكل شيخ نحدي .

وعلى ندرة الصفحات التي خصصها لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت هذه الصفحات مملوءة بالمغالطات والذي سلم من التحريف كان للتعة والتسليية ومن أخطر مزاعم أن النبي قد أحب زينب وهي زوجة لزيد وهذا بهتان عظيم .

ولإذا كان طه حسين قد أشار في المقدمة إلى أنه اهتم باختراع الأحاديث فإن الحرية التي أباحها لنفسه لم تكن إلا لهوى معين وهدف واضح هو أن يقدم عن طريق القصص من السحوم ما عجز عنه عن طريق النقد والكتابة الأدبية .

يقول (غازي التوبه) في دراسته عن طه حسين وهامش السيرة :

أن طه حسين ينصب نفسه أماماً للأساطير اليونانية وضع السيرة في مصاف (الآلياذة) ويطلب من المؤلفين والكتّاب أو يفتتنوا في الحديث عنها أفنان أوربا بأساطير اليونان ، كي يرضوا ميول الناس إلى السذاجة ويمتعوا عواطفهم وأخيلاتهم ، ولكن هل يتساوى الأثران في المجتمعين (الآلياذة في المجتمع اليوناني والسيرة في المجتمع الإسلامي) وهل كانت السيرة يوماً ما في التاريخ موضوعاً لتسليية قصصية أو مباراة لفظية .

ولم تكن السيرة يوماً من الأيام وسيلة للتسليية والترفيه كما يهدف طه حسين

ولكنها كانت مصدراً لا بتبعات الهمم ودفع النفوس المؤمنة إلى النهوض بالمجتمعات في ضوء حياة النبي وسنته .

واقعد تحدث كثيرون عن الشبهات الواردة في (على هامش السيرة) ووضفها الأستاذ مصطفى صادق الرافعي بأنها « تمك صريح » وقالت صحيفة الشهاب الجزائرية (ذي القعدة ١٣٥٢) الموافق ١٩٣٤ تحت عنوان :

(دسائس طه حسين)

ألف كتابا اسماه على هامش السيرة (يعنى السيرة النبوية الطاهرة) فلكه من الاساطير اليونانية الوثنية وكتب ما كتب في السيرة الكريمة على منوالها فاطهرها بمظهر الخرافات الباطنة واساطير الخيال حتى يخيل للقارىء أن سيرة النبي ﷺ ما هي إلا أسطورة من الاساطير وفي هذا من الدس والبهت ما فيه ، والدكتور طه الذى كان يقول في الإسلام ماشاء ولا يبالي بالمسلمين أصبح اليوم يحسب للمسلمين حسابا فلا يكتب ألا ويقول إنه مسلم وأنه يعظم الإسلام ولكن ما انطوى عليه صدره بأبى إلا الظهور كما بدأ جاليا في كتابته هذا (على هامش السيرة) .

وقال الدكتور زكى مبارك (البلاغ - يناير ١٩٣٤) وأنا أوصى قرائى أن يقرءوا هذا الكتاب (على هامش السيرة) بروية فإن فيه نواحي مستورة من حرية العقل عرف الدكتور كيف يكتسبها على الناس بعد أن راضته الأيام على أيتار الرمز على التأليف فإنه (بعد ضربة الشعر الجاهلى) آثر أسلوب الرمز لتغطية أهدافه) .

وقال الدكتور هيكل في دراسة لهامش السيرة الجزء الثانى (ملحق السياسة ٢٥ / ١٢ / ١٩٢٧ أن اليهود لهم باع طويل في دس الاسرائيليات في الإسلام والحق أنى كنت أشعر أثناء قرائتى لهذا الجزء الثانى من هامش السيرة وكأنا أقرأ في كتاب من كتب الاساطير اليونانية وليس فصل (نادى الشياطين) بأشد إمعانا في درب الأسطورة من سائر فصول الكتاب) وقد عرف تبعيه الدكتور طه حسين لمفهوم الاسرائيليات ووجهة نظر اليهود في قضايا كثيرة مثل موقفه من عبد الله بن الله سبأ في كتاب الفتنة الكبرى .

خامسا : الفوارق العميقة بين النبوة والعبقرية :

إن التفرقة بين (النبوة) و (العبقرية) هي من أخطر ما ما تعرضت له كتابات العصرين للتيرة النبوية فليس من المعقول أن تطلق تسمية (العبقرية) على الرسول ﷺ المؤيد بالوحي وشم تطلق أيضا على صحابته أمثال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وقد وصف الرسول ﷺ بالعبقرية في كتابات العقاد والبطولة في كتابات عبد الرحمن عزام ، وبطل الحرية في كتابات عبد الرحمن الشرفاوى ، وكل هذه مسميات تحجب عن القارىء المسلم الصفة البارزة والمهمة الأساسية وهي : النبوة ، المؤيدة بالوحي .

إن دراسة حياة النبي ﷺ تحت أى أسم من شأنها أن تهجز عن استيفاء جوانب هذه الشخصية العظيمة ، وليس ثمة غير منهج واحد هو أنه نبى مرسل من قبل الله تبارك وتعالى ، إن هذا الفهم وحده هو الذى يكشف عن الحقائق النادرة ويكشف عن صفحات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى .

إن كلمة (العبقرية) : هي مصطلح عرف في الفكر الغربى وتناولته الأفلام ودارت حوله المعارك والمساجلات ، وفي عام ١٩٣٥ انتقلت هذه المعارك إلى المجلات العربية فدارت عنه مناقشة طويلة بين محمد فريد وجدى والدكتور أمير بقطار . والنقطة الأستاذ العقاد واتزنها في ذاكرته ليجعلها عنوانا لدراسة عن الرسول التي بدأها عام ١٩٤٢ .

ومن مجمل الدراسات التي دارت يتكشف أن هذه النظرية تجري حول التميز والذكاء والتفوق في مجال الفن والموسيقى والتصوير ولم يرد في الأسماء التي تناولتها الأبحاث أى اسم من أسماء المصلحين أو أصحاب الرسالات .

ولقد قصر أمير بقطر العبقرية على الذكاء ، وقال أنها نجىء عن طريق الوراثة وأنها غير مكتسبة ، وأوردت دوائر المعارف وصفا للعبقرية بأنها لغة الكامل في كل شيء ، ويكون مبلغ رقم قياسي ذكاء العبقرى فوق المعتاد ، وبينها

يقصر (أمير يقطر) العبقرية على مسأله اختبار الذكاء فإن (فريد وجدي) يرى أنها (هبة آلهية تميزها فوق اقدرة البشرية يمنحها الله لبعض الافئذ لتبرز على السنتهم أو على أيديهم في أمور لا يستطيع العقل البشري أن يستقل بإيجادها .

ولعل هذا هو المعنى الذي جعل العقاد يختارها ليصف بها الرسول مع أن جميع علماء العرب لم يصفوا بها أحدا من الأنبياء كال المسيح أو موسى عليها السلام والحقيقة أن مقاييس الجاه والثروة والعظمة التي جاءت بها العلوم المسادية الحديثة تختلف تماما عن التقديرات التي جاءت بها النبوة .

وأن أى قدر من الموهبة الالهية التي وصف بها العبقرية تختلف اختلافًا واضحا عن النبوة .

وبالرغم من الاختلاف في فهم العبقرية بين كتابات العشرات من الباحثين الغربيين فإن أحدا لا في الغرب ولا في العرب أدخل النبوة والأنبياء في هذه الدائرة ولكن يبدو وأن الأستاذ العقاد أراد أن يتفوق على صاحبه (هيكل وطه) وقد سبقه لعشر سنوات في كتابة السيرة باتخاذ هذا المصطلح .

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : يجب أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شيء كثير ، وليس كل ما كتبه المستشرقون يقبله المسلم ولا كل نظريات الغرب تنفق وما قرره القرآن ولكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد فهو ينظر إلى القرآن من خلال ما اعتقد منها ويبدو أن من بين ما اعتقده العقاد نظرية (فريزر) في نشوء الأديان فهي عنده ليست سماويا ولكنها أرضية نشأت بالتطور والترقى إلى الاحسن ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وأذن فهو خيرها ويقول : أن لم يكن هذا هو تفسير أطلاق اسمه الغربيين على كتابة (عبقرية محمد والفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغي أن يتركه إليه قارىء الكتابين من المسلمين لينحجوا ما أمكن مما توحي به التسميات

من أن محمداً ﷺ ، عبقرى من العباقرة لاني ولا رسول بالمعنى الديني المعروف في الأديان المنزلة ويؤكد هذا الأيمان أن جاء الكتاب واحداً من سلسلة كتب العبقرية الإسلامية ولن يكون أولها ، فالناشيء الذي يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية أبي بكر وعبقرية عمر مثلاً لا يمكن أن يسلم من إيمان خفي إلى نفسه أن محمداً وأبا بكر وعمر من قبيل واحد ، عبقرى من عباقرة وإن يكن أكبرهم جميعاً ، كالذي نرى النبي ﷺ بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور وليس من صنف أختتم به ﷺ : صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله ، فالنبي والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله وحي ومن كتاب ، ولا كذلك العبقرى ولا البطل ، فالنبوة والرسالة فوق البطولة بكثير ، كم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين له ﷺ بأنه رسول الله إلى الناس كافة في ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين .

ويقول الأستاذ غازي التوبة : كتب العقاد العبقرية دفاعاً عن العظمة الإنسانية في وجه المتطاولين والحقادين والمشوهين ، هذه العظمة الإنسانية التي تحتاج إلى رد الاعتبار في عصره ودفاع العقاد عن العظمة الإنسانية هي حلقة من دفاعه عن الفرد وإيمانه به ولكن ما هي الأخطار التي مهددت الفرد والعظمة وجعلته يستل قلبه سنة ١٩٤٢ ليكتب أول عبقرية من عبقرياته ، في الحقيقة أن الأخطار المباشرة التي مهددت الوجه الآخر من إيمان العقاد بالفرد هو النظام الديمقراطي ، مهدته ثلاثة أخطار هي الفاشية والشيوعية والمد الإسلامي تصدى للفاشية في (هتلر في الميزان) وتصدى للشيوعية في كتابة (الشيوعية والإنسانية) وأفيون الشعوب ، أما قيار المد الإسلامي فخاربه بسلاح الشخصيات فكتب العبقرية ليؤكد صحة أفكاره في أولية الفرد في التاريخ وحقائقه كمحرك له وليطمئن ويشوه الإيمان بالجانب الجماعي في الإسلام ويشكل في دور العقائد والتربية في توجيه الأشخاص فالعظيم عظيم بفطرته والعبقرى عبقرى منذ نشأته ، كذلك فقد ركز العقاد على العوامل الوراثية والتكوين الجسماني والعصبي ووضع لهذه الأسباب في المرتبة الأولى في توجيه الشخصية بحيث تأتي العقيدة الإسلامية والتربية في

المرتبة الثانية إن كان هناك دور للعقيدة أو التربية والعقاد في موقفه هذا متأثر ببعض المدارس الأوربية التي تقدر الفرد والفردية وتقدر مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين ، وقد أورد العقاد ذكراً لأحدى هذه المدارس التي تحدد صفات المبكرى انطلاقاً من تكوينه الجسدى وهى مدرسة (لومبروزو) .

وهكذا قلب العقاد الشخصيات الإسلامية ضمن نظرياته الجاهزة في الفرد والطوايع الفردية .

وهو في هذا قد حجب الجانب الربانى المعجز ، وحجب الغيبيات .

فهو في موقفه من انتصار الرسول (ﷺ) في غزواته لا يعرض مطلقاً لوعده الله تبارك وتعالى لرسوله ورعايته والملائكة المقاتلون والنعماس الذى تعشى المسلمين أمة ، والمطر الذى طهرهم والرياح التى اقتلعت خيام المشركين وتثبيتته لافئدة المقاتلين وقذفه الرعب في قلوب الكافرين ، فلسست العوامل المادية وحدها هى قوام مكانة الرسل العسكرية ولكن العوامل الربانية يجب أن تضاف إلى ماكانت الرسول في التخطيط .

كذلك فهو لم يكشف عن دور الإسلام في بناء شخصية الرسول ﷺ ، فالإسلام هو الذى أعطى النبى (ﷺ) ذلك الإيمان بالله تبارك وتعالى والإيمان بأحقية الموت في سبيل الله وذلك القدر من الثبات والتضحية والأقدام والعزم والصبر .

هذا الجانب الذى تجاهله العقاد واكتفى بالمقارنة بين سيدنا محمد ﷺ وبين نابليون من النواحي المادية والعسكرية ، كذلك لم يبين الفارق بين حروب محمد ﷺ وبين حروب نابليون وأنها كانت خالصة في سبيل الله ونشر الإسلام وليست في سبيل المطامع والسيطرة .

ذلك أنه ناقش عبقرية الرسول العسكرية في ضوء العبقرية البشرية ، ولم ينتبه للأفوارق العميقة ، التى يتميز بها شخصية الرسول بوصفه نبى مرسل

أو تلك التي هداه إليها الإسلام ، وأن تميزه بهذا يختلف عن البطولات والعقوبات البشرية الأخرى ، ومن هنا يبدو التخصيص في وزن النبي ﷺ بالعقوبات البشرية الأخرى .

كذلك هذا التمييز الذي عرفت به شخصية محمد ﷺ دليلاً ، ومرسلاً ومهادياً ، تختلف في المقارنة بينه وبين الأبطال العالميين الآخرين من ناحية كما أن شخصيته عليه السلام تختلف عن شخصية كل من أبي بكر وعمر وغيرهم .

لقد تحدث العقاد عن الجانب المادى في شخصية الرسول ﷺ وحجب تماماً الجانب الروحى المتصل بالروحى وأظهره كمجرد انسان يعمل بمواهب متميزة وملكات خاصة ، ويمكننا أن (العبقريّة) التي حاول العقاد أن يقدم رسول الله ﷺ من خلالها ، كان حجمها ضيقاً ومجالها ناقصاً ، وأخطر ما أخذ عليه هو أنه لم يظهر أثر الإسلام في بناء شخصية الرسول ﷺ وهو العامل الأكبر في حياته وتصرفاته على النحو الذى وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها بقولها (كان خلقه القرآن) هذه الزاوية الخالصة التي تعلق على طوابع البشر ، وقد وصفها القرآن في قوله تعالى :

(قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) .

كذلك فقد تحدث عن أفتتان المسلمين بشخص الرسول وانهارهم بمواهبه واعتبر أعجابهم به سلباً وحيداً لدخولهم في الإسلام وعزا اجتماع الصفات المتنوعة حوله نتيجة لمزاياه النفسية وبذلك أنكر أثر عظمة الإسلام نفسه في إيمان أصحاب النبي ﷺ وليس من شك في أن إعجاب المسلمين بالرسول له أهميته في مرحلة الدخول في الإسلام ولكن تقدير المسلمين للإسلام هو العامل الذى أثبتهم بعد ذلك على الإيمان بالإسلام وحفزهم للدفاع عنه .

إن الاستاذ العقاد وقد حارب مذهب التفسير المادى للتاريخ الذى قدمه ماركس والشيوعية حرباً لا هوادة لها خضع مع الأسف للذهب المادى الذى لا يعترف بالآثار المعنوية المترتبة على الإيمان والعقيدة في بناء الشخصية كما تجاهل

جانب الغيبيات ولم يفهم النبوة فيها صحيحا ، ولذلك فإن الجانب الروحي القادر على العطاء في بناء الشخصيات والذي صنع شخصية رسول الإسلام تراه باهتا غائما عنده ، وذلك لأنه أعتمد في دراسة الشخصيات والبطولات على مذاهب غريبة بشجاهل النبوة والروح والغيبيات والمعجزات ولا تحمل لهذه الغوائل الروحية والمعنوية أى وزن وأى اعتبار وإنما قامت اعتباراتها على جوانب الحس وتركيب الإنسان المادى والوراثيات وغيرها .

سادسا : تطور جديد : التفسير الماركسى للسيرة .

ثم جاء بعد ذلك تطور جديد في كتابة السيرة العصرية وهو إخضاعها للتفسير الماركسى على النمو الذي كتبه عبد الرحمن الشرقاوي تحت اسم (محمد رسول الحرية) .

وقد قال الشيخ محمد أبو زهرة في توثيق هذا العمل : أن الكتاب كان له اتجاه غير ديني في دراسته فهو ما ذكر من محمد ﷺ على أنه رسول يوحى إليه بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسر لها الكاتب على ما يريد ، وقد تبين أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحي فكل ما كان من النبي من مبادئ وجهاد في سبيلها إنما هي من عنده لا يوحى من الله تعالى ، وهي مقرض بشريته لا بمقتضى رسالته ، والعنوان (إنما أنا بشر مثلكم) يعلن أن ما وصل إليه النبي ﷺ من مبادئ جاهد من أجلها إنما هو صادر عن بشريته كاملة لا عن نبوة ، وقد اقتطع هذه الجملة مما قبلها وما بعدها ونصها الصحيح (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما الحكم آله واحد) وهو بهذا الاقتطاع ينفي الوحي عن الحياة المحمدية .

كذلك فهو ينفي الخطاب السماوي للرسول ﷺ ولا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ في العيان وتصويره للوحي بأنه حلم في النوم يخالف ما اتجمعت عليه المسلمون من أن جبريل كان يخاطب النبي ﷺ بالعيان لا في المنام : الأمر الذي تردد ذكره في القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفهم من الأنبياء لتبليغ

الرسالة الالهية لاهل الارض ، كذلك فهو يقطع الرسالة عن الرسول ويقطع الرحي عنه ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحيانا منسوبة إلى النبي ﷺ على أنها من تفكيره ومن قوله لا أنها قرآن موحى بها وقائله هو الله سبحانه وأن ذلك مبثوث في الكتاب بكثرة ، وهو ينسب بعض آي القرآن إلى النبي وكذلك ينسب لإبطال التنبى إلى النبي ﷺ ولا ينسبه إلى الله تبارك وتعالى ، وكذلك ينسب تحريم الخمر إلى النبي ﷺ ، كما أنه يذكر قصص القرآن على أنه نتيجة تجارب النبي ﷺ ، وما كانت قصص النبي إلا من القرآن وما كانت له رحلات في بلاد العرب بل أنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين أحدهما في الثانية عشرة والثانية في الخامسة والعشرين ويرى الكاتب أن القرآن من كلام محمد ولم يذكر قط على وجه التصريح أن الله تبارك وتعالى هو منزل القرآن وباعت محمد بالرسالة بل أن ذكر الله تبارك وتعالى يتندر في الكتاب بل لا تجد له ذكر أقط ولم يذكر القرآن إلا نادراً بل لا تجد له ذكر أقط ، وإذا ذكر آية وذكر أنها [مهممة نفس] النبي ﷺ ، وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب لله في مقام يومى بالنشكيات في صدقه ويوم بأن به تحريفاً وتبديلاً ومحاولة النقط واحد من كانوا يشتركون مع العشرات في كتابة الرحي لأثارة هذه الشبهة .

ولقد كان التطور في كتابة السيرة نتيجة للدوائر التي مرت بها على أيدي السابقين .

سقوط المدرسة المسادية في السيرة :

قامت المدرسة على أنكار الغيب والمعجزات في آن وإنكار الرحي والنبوة في أن آخر ، وحاولت أن تفسر الإسلام وسيرة الرسول تفسيراً مادياً وجرت في خضوع منكسر وراء العقلية الأوروبية وتحت لواء مازعموه المنهج العلمى الحديث وكانت هذه المدرسة رد فعل أثارة الانبهار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين ترى أن تتابع الأوروبيين في فهم الدين والعقيدة .

ولكن سرعان ما تكشففت هذه النزعة وسقطت وجهتها ، وبرزت كتابات

مدرسة الأصالة التي أنكرت هذا الأسلوب الفلسفي المادى ، وأقامت مفاهيمها على الأساس القرآنى الأصيل وظهرت تلك الكتابات باقلام حسن البنا ومحمد الغزالى وسعيد رمضان البوطى وأبو الحسن الندوى وكثيرون غيرهم فردت إلى السيرة النبوية اعتبارها وأعادت تقدير جانب معجزه الوحي الآلهى والغيبات والمعجزات .

وقد جاءت كتابات مدرسة الأصالة فى السيرة النبوية ، بصححة لا غلاط كثيرين عن كتبوا عن السيرة فى هذا العصر وأماطت اللثام عن المغالطات التي كانت ولا تزال تدهسها أقلام كثير من المستشرقين والتفريين وهى أغلاط ومغالطات قامت لتغذيتهما وترويحها مدرسة التبعية .

إن هذه المدرسة لم تعد تتدع إلا قلة من بقايا المفتوين باسمها . وإن الحقائق الناصعة فى حياة النبي ﷺ ستظل هى المشرقة والسائدة .

وليس أذل على ذلك من هذه المؤتمرات العالمية الحافلة للسيرة التي حشدت عشرات من الأعلام للكشف عن الجوانب المختلفة فى حياة هذا النبي الكريم الذي هدى البشرية أى طريقها وأخرجها من الظلمات إلى النور .

المراجع :

- دراسات فى السيرة : محمد النايف .
- الفكر الإسلامى المعاصر : غازى التوبة .
- فقه السيرة : محمد سعيد البوطى .
- كتابات الدكتور محمد أحمد الغزراوى ومحمد محمد حمدين .
- العبقريّة : محمد فريد وجدى .
- تقرير الشيخ محمد أبو زهرة عن كتاب محمد رسول الخرية .
- مقالات الدكتور حسين الهرأوى (ملاحق السياسة ١٩٣٢ - ١٩٣٣) .
- مجلة الفتح : محب الدين الخطيب .

الحملة على نوابع الإسلام

الحملة على (جمال الدين الأفغانى) = لويس عوض

لقد كان من أبرز مآقام به الشوامخ الزائفون الحملة على نوابع الإسلام ، فكانت حملتهم على ابن خلدون ، وعلى المتنبى ، وعلى الأمام الغزالى : اشترك فى هذه الحملات طه حسين و لويس عوض ثم كانت الحملة على صلاح الدين الأيوبى ومحمد الفاتح و جند عبد الرحمن الشرقاوى الحملة على الصحابة بكتابة عن الإمام على وسار فى نفس الطريق الذى شقه طه حسين وكانت الحملة الغريبة على جمال الدين الأفغانى التى قادها الدكتور لويس عوض .

وكان الهدف هو محاولة أقتلاع جذور الصحوة الإسلامية بالإساءة إلى هؤلاء الرواد . وتضليل الجماهير ويسويه تاريخ العقيدة الإسلامية وقطع روابط الماضى المصنوع منذ فجر الإسلام بالماضى القريب القاتم على وحدة الأمة الإسلامية .

ولما كان الهدف من تشويه جمال الدين الأفغانى هو إثارة ظلال الشك حول عدد من تلاميذه : محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم فقد فتح لويس عوض النار على جمال الدين من خلال ما أسماه وثائق بريطانيا وهى فى الحقيقة تقارير الجواسيس ، ولم تكن هذه الوثائق غير المعلومات التى قدمتها المخابرات البريطانية التى كانت جمال الدين أعدى أعدائها وقد كانت المعلومات التى قدمتها جامعة طهران فى عهد الشاه موضع شك ولم يكن لويس عوض فى الحقيقة موضع الثقة من الناحية العلمية لتبنيته الواضحة للفكر الماسونى الغربى وكراديته الشديدة للإسلام ردعته إلى القرعونية ولكن هناك حقيقة أخرى ظهرت أخيراً .

فقد كشفت الدكتوراه لطيفة سالم عن حقيقة هامه في شأن الحملة التي شنّها الدكتور لويس عوض على السيد جمال الدين الأفغانى بمقالاته تحت عنوان (الإيراني الغامض في مصر) والتي أشار الباحثون إلى أنها اعتمدت اعتماداً كلياً على تقارير المخابرات البريطانية التي أفرج عنها في السنوات الأخيرة .

تقول : ايجل أن لويس عوض فيما نهج عليه لم يكن تابعا في اجتهاده أو اعتماده على معلومات استقفاها من منابع متعددة أو من نظرية جديدة جاء بها تأييده بحجة وغرضه للوصول إلى الحقائق التاريخية ولكنه تأثر في كل ما قدمه لنا بكتاب (السيد جمال الدين الأفغانى) للموزخه نيكى كيدى أستاذة التاريخ بجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس والصادر عن مركز دراسات الشرق الأدنى لتلك الجامعة وطبعته مطبعها عام ١٩٧٢ (٧٩ صفحة من الحجم الكبير) .

وقد تنقلب الباحثة بين إيران ولندن وترددت في إيران على مكتبة البلدية حتى وجدت مجموعة أوراق الأفغانى ٨٩١ وفى لندن اعتمدت على الوثائق البريطانية المحفوظة في دار المحفوظات العامة وعلى مجلدات حكومة الهند بمكتب علاقات السكولت وعلى أوراق جلادستون المحفوظة في المتحف البريطانى وفى استانبول استخدمت مجموعة بالدز التي تغطى فترة حكم السلطان عبد الحميد وفى باريس حصلت على معلومات من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية .

ومع أن المعلومات التي أعطاها لنا مفيدة وقيمة عن هذه الشخصية ، إلا أنها تأثرت لبعض اتجاهات انساق وراء تياراتها وبذلت جهودها في اثباتها وهي التي تنبأها دكتور لويس عوض وأعطاها الصدوره في كتابه وبما تجدر الإشارة إليه أنه لم يأت بأدلة باتجاهها الإيجابي لشخصية الأفغانى وإنما أحتوى الجانب السلبي الذي أنير حوله التشكيك وراح يسرده معتقداً أنه خرج بنظرية جديدة أطاحت بالحقائق القائمة والمحيطه بالأفغانى ليدخله في دائرة الانغاز ولتعطى الصور المبهمة بل الغامضة له حتى توقع الحيرة والريبة للثومنين بدوره القيادى في العالم الإسلامى .

وعليه فلم يأت دكتور لويس عوض بمجديد حيث أن ما تناوله نشرته المؤرخة الأمريكية قبل سنوات .

الفصل التاسع عشر

اخطاء منهج القمم الشوامخ وجيل العمالة

الحقيقة الواضحة التي لا مراء فيها أن كتاب مصر كانوا حرييين بمعنى أو بآخر ولم يكونوا وطنيين بمعنى مهاجمة الإنجليز أو معارضين لهم أو كاشفين لآثارهم المتغلغلة في الاجتماع أو الاقتصاد أو التعليم ، كانوا خصوما سياسيين وأصدقاء في مجال الفسك ، هذا هو منطق مدرسة سعد زغلول التي قامت عليها الأحزاب .

كان أبرز كتاب مصر في هذه الفترة في صف حزب الأقلية (حزب الأحرار الدستوريين) لطفي السيد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وإبراهيم المازني وعلي عبد الرازق ومحمود عزمي ومنصور فهمي .

وكان كتاب مصر في هذه الفترة يعارضون النقوذ الأجنبي السياسي برفق شديد من داخل دائرة التفاهم معه ، ولكنهم كانوا يقبلون أنظمة الغرب الليبرالية والرأسمالية ويؤيدونها بل كانوا يقبلون مذاهب الغرب في النقد الأدب والشعر .

وقد حمل العقاد والمازني لواء الدعوة إلى المدرسة الإنجليزية في النقد (هازلت وآخرون) كما حمل طه حسين وثمره لواء المدرسة الفرنسية .

ومن هذا المنطلق الليبرالي العلماني المخلف بالتبعية ، البعيد عن الوعي بمفهوم الإسلام خدع كتاب مصر في عسدد من الشخصيات الموصومة في مقدمتها (ماكس نوردو) اليهودي خليفة هرزل الذي كتب عنه العقاد والمازني بكثير من التقدير كما خدعوا في عباس البهاء زعيم البهائية وكتبوا عنه في الهلال والعصور (العقاد وإسماعيل مظهر) .

ومن هنا فإن الشهرة التي أعطت أسمهم هذا اللعان الشديد كانت سياسية أو من مصدر العراك الحزبي والجدل السياسي وأسلوب البهاء المقذع الذي يبرع فيه طه حسين والعقاد ، ولم يكن مصدر هذه الشهرة الأداء الأدبي نفسه .

كذلك فإن من يراجع (المعارك الالوية) التي دارت في هذه المرحلة (راجع كتابنا المعارك الأدبية في مصر من ١٩١٤ — ١٩٣٩) يجد أنها معارك حزبية مشوبة بالمداخل الأدبية ، وتحس فيها روح الأثارة والعراك وليس روح النقد العلوي ، وربما كاتب من أبواب المهابة السياسية أيضا .

ولقد كانت هذه التفرقة بين الاستعمار الغربي (البريطاني والفرنسي) وبين الثقافة العربية عاملا خطيرا من عوامل استمرار تبعية الأدب العربي للنفوذ الأجنبي فقد كان كتابنا الكبار مهوورون بالحضارة العربية والنهج اللبرالي الديمقراطي وكانوا في نفس الوقت قناطر لنقل الفكر الغربي إلى اللغة العربية .

وعندما أحسوا بأن اليقظة الإسلامية تحاول أن تغير مفاهيم الفكر والأدب أسرعوا فسيطروا على الموجة من أجل أن يقدموا مفاهيم غريبة وأفدة للسيرة النبوية وللقرآن والإسلام على النحو الذي كتبه هيكل (حياة محمد) وطه حسين [هامش السيرة] والعقاد [العقريات] وكل هذه الكتابات تنقصها روح الإسلام الحققة وعليها تخفطات كثيرة (١) .

وليس هناك أخطر من تصدر التغريبيين للصحافة المصرية على النحو الذي حجب رجال النهضة الإصلاء أمثال الرافعي وجايش وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وغيرهم .

ولكن حركة اليقظة الإسلامية كانت قادرة على كشف هذا التيار الخطير الذي مازال يدافع عنه أمثال الدكتور بيومي مذكور بعد أن تبين تبعية المجري الذي جرى فيه هولاء .

أولا : كشف الشيخ مصطفى صبري في كتابه [موقف الدين والعلم من الله رب العالمين عن أخطاء كتاب السيرة العصرية في شأن معجزات النبي ﷺ] [فريد وجدي وهيكل] .

ثانيا : كشف مصطفى عبد الرازق وتلاميذه وفي مقدمتهم [على سامي الدشار] عن إصالة الإسلام وفساد دعوى التبعية لمنهج أرسطو وأعلنوا أن الإمام الشافعي هو المعلم الأول للمسلمين :

ثالثا : كشف السيد محب الدين الخطيب عن خطط التبشير يترجمه كتاب [الغارة على العالم الإسلامي] .

رابعا : كشف الدكتور فروخ والدكتور خالدى عن خبايا التبشير والاستعمار

خامسا : كشف مالك بن نبي عن مخططات التعريب والغزو الثقافي .

سادسا : كشف الدكتور محمد محمد حسين عن فساد بعض كتب الغرب المترجمة .

سابعا : كشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن أخطاء لويس عوض وعن سرقات طه حسين في منهج الشعر الجاهلي .

ثامنا : كشف الدكتور نفوسة زكريا سميد عن مؤامرة العامية .

تاسعا : كشف الأستاذ حسن البنا عن أن وجهة كتاب الميرة المعاصرين

غربية وأنهم لا يؤمنون بمنهج الإسلام الجامع .

عاشرا : كشف كثير من كتاب المسلمين عن منهج التعريب والغزو الفكري .

عريضة إتهام عنيفة

ضد طه حسين وجيله

وقد صف رجاء النقاش كتاب الاستاذ فتحي رضوان [عصر ورجال]
أنه عريضة إتهام ضد طه حسين وتلاميذه وإن هذه عريضته تملخص فيما يلي :
أولا : إن معظم رجال هذا الجيل قد ساروا وراء تعاليم مدرسة حزب الامة
والتي يمثلها لطفى السيد ولم يسيروا وراء تعاليم مدرسة الحزب الوطنى التى تتناهما
مصطفى كامل . ومدرسة حزب الامة هى التى كاتب تدعو إلى منهادنة الإنجليز
والتعايش معهم بينما كانت مدرسة الحزب الوطنى تدعو إلى مقاطعة الإنجليز
ومحاربتهم بلا هوادة ولقد كان سعد زغلول - وهو من مدرسة حزب الامة -
فيما يرى فتحي رضوان - يقول عن الإنجليز - حتى فى أشد مواقف العداء -
أنهم خصوم شرفاء معقولون .

وحول هذه المدرسة نشأ معظم معظم الكتاب والمفكرين لذلك - كما
يقول فتحي رضوان -- لم يكن غريبا أن يرسم فى الذهن المناضل العنيد الإنجليز
إذا ما ذكر اسم واحد من كتاب العصر الذى تؤرخ له .

ثانيا : كان الصراع الحزبى الذى اشترك فيه كتابنا نافعا وضميلا [وكانت
ساحته ضعيفه وصغيرة وكان كل ما يقال أو يكتب مكررا معادا فلم يؤثر فى
كتابنا جميعا فى هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد : كتب العقاد والمازنى وعزى
وغيرهم الآف من المقالات السياسية والحزبية فلم يبق منها شئ مطلقا ، ولم يذكر
العقاد ولا المازنى ولا هيكىل فيما كتبوه عن انفسهم مقالا سياسيا ذا قيمة أدبية
أو فكرية حين احتدم الصراع الحزبى .

ثالثا : أن دعاة التجديد من هؤلاء لم يثابروا على دعوتهم بل تحسولوا عنها
بسرعة يقول - فتحي رضوان (مازلت أذكر محمود عزمى والقبعة على رأسه فقد
كان هذا المسلك منه تحفزا للتجديد واعلناله ولكن عزمى خلع القبعة وعاد إلى

الطربوش بعدد شعور من هذه المحاولة ولم يفكر بعد ذلك قط في القبة فكان أشبه شيء بموقف طه حسين من نظرية : أن السكتب المقدسة ليست واثق علمية لاثبات التاريخ ، وموقف علي عبد الرازق من نظرية أن الخلافة ليست أصلا من أصول الحكم الإسلامي ، قالوا بالنظرين مرة كما لبس عزمي القبة مرة وخلع عزمي القبة إلى غير رجعة كما خلعا نظريتهما إلى غير رجعة .

رابعا : عجز الجيل عن خلق تيارات فكرية متصلة (فبيكل الذي ألف كتابا عن روسوفى جزئين لا يكاد يذكر روسوفى كتاب بعد ذلك وكأنه لم يقرأ له أو يقرأ عنه، دع عنك أنه ألف كتابا طويلا عن حياته وأفكاره، وكذلك العقاد والمازني وغيرهما.

خامسا : لم يقرن هذا الجيل بين الفكر والحياة بصورة سليمة ، كما كانوا يكتبون مقالات عن فرانس ونيتشه وعن الفلسفة الغربية كتبوا عن الإسلام ونبيه وصحابته فما من شيء تغير في حياتهم بتغير موضوع دراستهم وكتباتهم ، وما من شيء تأثر في أسلوب تفكيرهم ، وكان الطبيعي وقد بلغ الإعجاب عندهم بالإسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينهكس على مسالكهم في الحياة العامة ، وعلى تفكيرهم السياسى وهم رجال سياسة وصحافة ، هذا أقدر من الإعجاب ولكنك لا ترى له أثرا وليس هذا ألا مظهرا كاشفا عن موقف كتاب هذا الجيل كله فالكتابة عندهم لم تكن معاناة روحية ولم تكن إعلانا عن إيمان ولا ارتباطا وتصححا وقد عجل هذا التحلل بنهاية هذا العهد .

(٢) فأذا أضفنا إلى هذه اتهامات محمود محمد شاكر أنكشف أمامنا فهم عميق للخطط التي خرجت بها الحياة الأدبية والفكرية من الأوهام إلى التبعية حتى أعادتها مرة أخرى حركة اليقظة الإسلامية :

أضاف محمود محمد شاكر :

١ - (قضية السطو) : (طه حسين)

٢ - تهديم اللغة العربية والدعوة إلى أحياء اللهجات باستعمال العامية (لطفى السيد)

٣ - محاوله تصور تراثا العربى على أنه فن ارايسك ومجرد خفريات قديمه : (زكى نجيب محمود)

الفصل الشرع

محااولات مضللة لتزييف تاريخ الفكر الإسلامى

والعمل على إحياء سموم كتب على عبد الرازق وقاسم أمين ومنصور فهمى

• رجع مفصور فهمي عن رأيه في حياة النبي الاجتماعية وحاول التكفير عنها
 • رجع الدكتور ميكل عن رأيه في الفرعونية والغرب وأعتبر الإسلام
 هو المنطق الوحيد للنهضة .

• رجع قاسم أمين عن رأيه في تحرير المرأة وأنكشف له أنه خدع .
 • حاول الشيخ علي عبد الرازق أن يرجع عن فكرته في الإسلام وأصول
 الحكم وأنكر الدعوة إلى تجديد كتابه .
 • لم يصبر علي مقولاته الباطلة طوال حياته إلا طه حسين نتيجة الحصار الذي
 كان واقعاً فيه .

* * *

كان الحديث في ندوة الاعتصام عن تلك المحاولات التي تجرى لإعادة الحياة
 إلى العمالة والقيم بعد أن فقد الناس الثقة بهم : تجري هذه المحاولة التي يقودها
 سماح كريم حين يحاول أن يضيف طابع الإسلام على كل من كتب ولوحى مقالاً
 واحداً في تاريخ نبي أميه أو نبي العباس ، وهي محاولة زائفة ، تجري تحت
 عناوين كبيرة معناها إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، التي رأى أنها كانت من أعظم
 المشروعات الثقافية وهي إعادة كتابة تاريخ الإسلام (أحمد أمين - العبادي -
 طه حسين) أولاً على طريقة الفصل بين المناهج وهو مذهب غربي يختلف عن
 الإسلام حيث يجري تقديم (الحياة العقلية - الأدبية - السياسية) كل على حدة
 وقد فشل هذا المشروع لأنه لم يكن قائماً على مفهوم حقيقي لتجديد تاريخ
 الإسلام وأن الكتاب فيه لو تمت - ونحمد الله أنها لم تتم - كانت ستجرى وفق
 تفسيرات المستشرقين ومن خلال المنهج المادي للتاريخ وأنها كانت تساوق
 ما كتبه طه حسين في الأدب الجاهلي ومستقبل الثقافة وحين قام أحمد أمين بكتابة
 الحياة العقلية في كتبه بغير ، وضحى الإسلام فكشف عن تبعية الاستشراق ومواقفه
 الجريئة ضد الإسلام وضد السنة على النحو الذي بيناه في فصول هذا الكتاب

والذى أورثه لابنته حسين أحمد أمين، أما عبد الحميد العبادى فتحن لانتهمه ، ولكن
مراوغة سامح كريم تبدو واضحة فى خطاط الأوراق و دس اساء بعض الدعاة
الاسلاميين الذين هم موضع ثقة الباحثين والمتقنين المسلمين بين هؤلاء التفريريين
حيث يضرب اساء مصطفى صادق الرافعى ومحمود محمد شاكر مع خصوصهم
طه حسين وغيره وليث شعري كيف يمكن الجمع بين التفريريين والاسلاميين
إلا فى محاوله ماكرة خبيثة ، وكيف يمكن أن يوضع فى صف القمم الإسلامية
على عبد الرازق بكتابة الذى جرد الإسلام فيه من مفهومه الصحيح ، أو توفيق
الحكيم ، أو أمين الخولى . والحقيقة أن سامح كريم قد حاول خداع القارئ المسلم
خداعا كبيرا بوضع هؤلاء فى صفوف القمم الإسلامية ولقد قلنا له مرارا أن
كتابات طه حسين فى التاريخ الإسلامى هى كتابات استشراقية معادية وفى هذا
الكتاب فصول تكشف ذلك بكل وضوح وتزيف دعاوى الذين يرون أن طه
حسين أو هيكل أو العقاد كانوا روادا لكتابة التاريخ الإسلامى من جديد ولست
أدرى كيف يتناقض سامح كريم باعجابه بطه حسين وفى نفس الوقت يوثق
لضحيته بمحمود محمد شاكر وفى الحقيقة فإنه لا بد من الوقوف اما فى صف طه حسين
ومحاولته الماكره الخبيثة التى كشف عنها محمود شاكر أو فى صف شاكر الذى
كشف هذه المؤامرة وهذا يوحى بالهوى الذى يصدر عنه سامح كريم فى دعواه
تحت اسم (الإسلام فى فكر هؤلاء) ونحن نسأله : أى إسلام فى فكر
هؤلاء ، هل هو الإسلام الذى يفهمه الغربيون من كلمة (دين) بمعنى اللاهوت ،
أم هو الإسلام بمفهومه الاصيل دينا ودولة ومنهج حياة ونظام مجتمع وهى القضية
التي أثرت منذ كتب العقاد وهيكل وطه حسين فى الإسلاميات لخداع الشباب
المسلم عن المفهوم الصحيح وينتهز سامح كريم فرصة شهر رمضان المبارك فيسابق
السابقين فى الصفحات الدينية ليقدّم كتباً رفضها الفكر الإسلامى ووقف منها
المسلمون ومن كتبها موقف الريبة والتكذيب والانهاك بالتبعيه ، ولا يتوانى
عن الجرأة فى أن يقدم هذه الكتب تحت عناوين مثيرة (كتب هزت العالم
الإسلامى) والحقيقة أنها كتب رفضها المسلمون وكشفوا زيفها فيقدم كتاب

والإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق ، وتحرير المرأة لقاسم أمين ، ثم يقدم كتابا لم يطبع يوما بالعربية وإنما هو رسالة دكتوراه قدمها صاحبها إلى المحافل الاستشرافية تحت عنوان (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية) ثم قامت عليها وعلى كتابها القيامة فأذكرها ولم يعترف بنسبتها إليه بعد وعاش حياته يستغفر ربه عنها ويحاول أن يقدم شيئا يفخر الله به عملها .

ويحاول سامح كريم أن يبرر المحاولة ويصورها تصويرا خاطئا ويدعى أن هذا العمل كان إسلاميا ، كما يحاول في مقالة هذا وفي مقال سابق نشره عن منصور فهمي أن يبريء الرجل من اتجاه أعترف هو من بعده أنه مضى فيه وأنه كان مخطئا وأنه عاد عنه إلى ساحة المغفرة وقد أعلن منصور فهمي في صراحه ووضوح :

أنه وقع تحت تأثير المستشرق اليهودي المتعصب ليفي بريل الذي خدعه وصور له أن أن يكتب عن تعدد زيجات النبي ﷺ على أن النبي خالف الشريعة التي جاء بها حتى قال في رسالته :

[أن محمدا يشرع للبشرية ويستثنى نفسه] .

وكان في ذلك أول من كشف خداع المستشرقين واحتوائهم لابنائنا المسافرين إلى الغرب وقد كان لهذه الرسالة أثرها الخطير في دوائر الفكر والثقافة الإسلامية حتى أن منصور فهمي الذي عاد من أوروبا عام ١٩١٥ ظل مبعدا عن الجامعة حتى عام ١٩٣٠ تقريبا وإن إحدى الصحف هي التي عملت على مد حبال رزقه ، حتى هدأت الضجة ، ولكن الرجل كان صادقا مع نفسه فقد أصبح خطاه وحرر نفسه من الاحتواء العلياني والصهيوني الذي أحاط به وكان مثالا للذين سافروا من بعده إلى الغرب ، فقد تحرزوا بالرغم من تبعيتهم أن يقيموا فيما وقع فيه فقد قننى طه حسين مستشرق يهودي آخر هو دور كايم وهو الذي دفعه إلى هدم ابن خلدون وتبني زكي مبارك مستشرق آخر في كتابه (النثر القننى) وتبني محمود عزمي مستشرق آخر دفعه إلى أنكار الترابط بين الاقتصاد والاسلام ، ومن هنا يتبين

تضليل ساهج كريم الذى يقول أن منصور فهمى زين له شبابه أن يأتى بتفسير جديد مدفوعا بالتيار العام الذى كان ينادى بتحرير المرأة ، ذلك أن تيار تحرير المرأة هذا قد أنكشف أمرة من قبل وتبين مدى المؤامرة الخطيرة التى قام بها كرومر وصالون نازلى فاضل ، ورجال الذين أعانوه على النحو الذى جعلته حركة اليقظة الإسلامية منذ وقت بعيد ولم يعد يخدع أحدا .

والموقف من منصور فهمى وكتابه الذى لم يطبع ، شأنه شأن كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وكتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلى عبد الرازق فهى كتابات مسمومة من وراء قوى النفوذ الاجنبى الخفية ، التى أرادت أن تحدث دوياء ، والتى أنكشف أمرها من بعد ولم يعد يخدع أحدا ولو أعيد نشر هذه الكتابات كل يوم وفى كبريات الصحف .

وأنا للأسف أن يسمح بنشر هذه الكلمات فى صفحات رمضان الدينية وهى ليست ألا حربا على الإسلام تتجدد على أيدي غلمان المستشرقين والحقيفة المعروفة أن هذا الجيل من الرواد والقسم الشوامخ قد بات عاريا وقد تبين للشباب المسلم أنه لم يعد يخدعه أحدا وأن هؤلاء جميعا رقعوا تحت تأثير الاحتماء التغريبى العلماني الذى أترفى كتاباتهم جميعا ولكن -- والحق يقال -- أن منصور فهمى والدكتور هيكل كانا من أصدق الناس جرأة فى الاعتراف بالخطأ والعودة إلى الحق .

وليس فيما كتب منصور فهمى فى كتابه هذا ما يدخل تحت عبارة (حرية البحث العلمى) الخادعة التى يرددها الدكتور إبراهيم مذكور ، وما كان منصور فهمى يطعم أو يطلب كما قيل طبع رسالته أو ترجمتها إلى اللغة العربية أو تدريسها كما يدعى صاحبنا بل كان يتمنى كما تمنى على عبد الرازق من بعد أن ينسب الناس أن له بحق على هذا النحو وقد وعى منصور فهمى أطراف المؤامرة التى دبرت له وقام هو نفسه بالعودة إلى الإحصائه والحق فترك حفلا إسلاميا كملوك النبوى أو الهجرة إلا خطب فيه ، وقد أعلن أنه سيفسر القرآن ليكفر عن خطيئته تلك وأن كان الزمن لم يمكن له من الوفاء بوعدده .

والحقيقة أن بعض دعاة التغريب يتشدد دائماً بعبارة (حرية البحث العلمي) ولا يريد أن يعرف الناس حقيقةها التي هي عدم الخروج عن حدود مفاهيم الإسلام ، وألا فإن حرية البحث العلمي من كلام يتهم الرسول ﷺ بأنه شرع للناس ونسب نفسه كما جاء في رسالة منصور فهي أو أن الإسلام كان عقبه في نهضة الأمة كما جاء في رسالة قاسم أمين أو أن الدين الإسلامي دين روحى ليس له نظام حكم كما إدعى على عبد الرازق ، هذا الكلام كله ليس مسموحاً به تحت مظلة حرية البحث العلمي التي توجب على المسلم أن يؤمن بما نزل به من آيات في كتابه أو ما جاء به دينه وألا يعرضه للشك أو الارتياب ، أما قول إبراهيم المذكور بأن حرية البحث العلمي أفسح صدراً وأسمى من أن يعتدى عليها بسبب لفظ أو عبارة سقطت من قلم صاحبها فذلك حق ، ولكن هل كتابة رسالة ، كاملة قدمت كاطروحة ونوقشت بواسطة أساتذته ومستشرقين وتناولات حياة النبي الاجتماعية كلها وقامت أساساً على فكرة أن النبي ﷺ شرع للناس واستثنى نفسه بزواجه من أكثر من أربعة ، وما يتصل بذلك من عرض وشرح وتساؤل بالوثائق والمستندات وهو لب الرسالة وقلبها ، هل هذا يعد كل كما ذكر إبراهيم المذكور لفظ سبق أو عبارة سقطت على قلم صاحبها أم هو اعتداء مع سبق الإصرار على حقيقة كبرى في الإسلام ، كذلك فإن القول بأنه هذا ... على حد تغير سامح كريم - هو مجرد خروج على مورثاتنا وتقاليدها ، تزوير باطل فلبس هذا من من التقاليد والمورثات لكنه من صميم العقيدة التي يصبح المؤمن بها مؤمناً .

وما كان لسامح كريم أن يشير هذا القول كله وقديطواه صاحبه رحمه الله وأعان عودته إلى الحق وحاول أن يكفر عنه بما كتب من بعد في تكريم النبي ﷺ ، ولا ريب أن عرض هذا الموضوع هذه المرة وفي المرة السابقة يوحى بالهدف الذي يراد أذاعته وهو التهوين والتبسيط من شأن افتتاح حياة النبي من مثل هذه النواحي بوصف ذلك كله بأنه كلب سقطت من قلم صاحبها أو تصويره على أنه من التقاليد ، والحقيقة أن الموقف في عرض هذه الكتب وإعادة تصويرها على

نحو يجعلها هيئة وبسيطة في نظر الشباب المسلم اليوم هو عمل خطر غير مقبل وهو خيط من تلك الخيوط التي يجرى تشابكها حول الكتابة عن الصحابة باستهانة وحول الدعوة إلى وحدة الأديان وحول ما يردده البهائيون والفديانيون وغيرهم .

ولا ريب أن التقييم الحقيقي لهذه الكتب والكتاب منصور فهمي بالذات هو أن شبابنا الذي اهتمت إلى الغرب في أوائل هذا القرن قد تلقته أيدي الصهيونيين الذين كانوا ولا زالوا يشرفون على رسائل الدكتوراه وقد صنعوا بهم ما صنعوا فلما عادوا إلى مصر وضعوهم في مكان الصدأ والقيادة ، وأنشأوا بهم هذا الجيل من يسهونهم العباقرة والقلم الشوامخ وأساتذة الجيل وعمداء الأدب وقد تكشف ذلك كله ووضح ولم يعد أحد يصدق زيادة هؤلاء ، وإنما الريادة لمجموعة كبرى من الأبرار الذين لا يذكرون الآن لأنهم قاوموا حملة التغريب والغزو الثقافي وقد عرف شباب الإسلام اليوم حقيقة هؤلاء وكشفوا سمومهم ولم يعد مثل هذه الصفحات التي يطلقها أمثال سامح كريم والتي تجد سميعا أو مجيبا .

ولقد كان من حق التاريخ على سامح كريم وقد أورد قصة منصور فهمي ورسائله مرتين أن يعود إلى الحق في شأن الرجل الذي رحل وهي أنه أعلن خروجه على هذا الفكر الذي أثبتته في هذه الرسالة كله وأنه عاد إلى الحق ، كما أعلن الدكتور هيكل في مقدمة كتابه (منزل الوحي) نزوله عن أرائه الفرعونية والغريبة وكيف أنه آمن بأن الطريق الوحيد لنهضة هذه الأمة هو التماس منهج الإسلام .

هذا وبالله التوفيق

وسقطت مدرسة التبعية للفكر الوافد

آمن هؤلاء بأن الحضارة العربية هي وحدها المنطلق الحقيقي للنهضة في الشرق وعالم الإسلام ، وقد كشفت حروب النكبة والمزمنة والنكسة جميعا عن فساد دعوى هذه المدرسة المضلة ، خدعهم المستشرقون بالنظرية واغروهم بالمناصب والمراكز ، ولكن هناك من اكتشف الحقيقة أمثال الدكتور محمد حسين هيكل الذى قال أن هذا البذر الغريب لا ينبت وأن هذا الطريق لا يؤدي ، قال هذا هيكل بعد أن استعملت كلية المدرسة الإسلامية ، وكذلك رجع منصور فهمى عن مقولته .

كان تغمر نفوس هذه الجماعة شعور النقص ومحاولة الاستعلاء بالتقليد ، وعجزوا عن أن يفهموا أبعاد المسائل وخلفيات الأمور ، عجزوا عن أن يعلموا أن مصدر النقص هو الفعلة عن المنبع الأصيل وأن الطريق الوحيد هو العودة إلى المنابع .

لقد هزت نفوسهم ماديات الحضارة : كانوا يكتفون عن باريس وعن متاحف والقصور والكنائس ، وكأنها كل شيء في الحضارة ، كان الانبهار بالتقدم المادى يلهم عقولهم ويسيطر على نفوسهم فينظرون إلى أوطانهم بعين الازدراء ، ولكن أصحاب الحضارة الذين أغروهم بهذه الأكذوبة (الأكذوبة أنه لا نهضة للشرق إلا بتقليد الغرب والتبعية له والانصياع فى بونقته) كانوا مكررة فهم لم يقدموا لنا [العلم] الذى نصنع به التقدم المادى ، وإنما قدموا لنا [الفلسفة] التى تفسد العقول والقلوب ، غمروا هذا الشرق الإسلامى بالأيديولوجيات والنظريات والتجمل وتركوه يصارعها وتصارعه وينقسم عليها ويضرب بعضها ببعض ، أعادوا التفكير الوثنى القديم : أخوان الصفا والباطنية والحلول والاتحاد وجروا وراء أوهام الفكر الغنوصى والأغريقى .

وكان رجالهم قناطر تنقل سهوم الفكر البشرى ، إلى عالم الإسلام ، ولم

يكن واحد منهم زعيم أو صاحب أيديولوجية ، يمكن أن يضاف إلى قائمة الرواد الحقيقيين ..

كان وراء ذلك اساتذتهم اليهود (دوركايم وليفي بريل وماركس وفرويد)
ووثنيات دارون وهيجل وسبنسر أوجست كونت وسارتر وكفكا .

ومن خلفهم الفكر النليودي المصاغ صياغه جديدة في أسلوب العصر ،
واستطاعوا أن يخدعوا بعض الناس ثمة ، ولكن أنظر الآن ، تجد أن كل ما تركوه
ركاما أسودا وتجد جريتهم واضحة فأنهم هم الذين خدعوا هذه الأمة حتى أوصلوها
إلى مرحلة التصدع وكان الفكر المختلط: المسيحي اليهودي ، الماركسي ، اليوناني ،
الروماني أثاره البعيدة .

فلما أرفعت كلمة الله ودعوة الإسلام التي وجدت الاستجابة الحقيقية لأنها
الدعوة الربانية ذات الفطرة والأصالة والمجددة لروح هذه الأمة ووجدانها
وضميرها الخفاق ، وأحسوا أنهم يسبحون ضد التيار بدأوا في حملات المكر
واللشوية ، ولما وجدوا أن الدعوة الإسلامية تغلبهم حملوا عليها وهاجموها وحاولوا
أن يقتجموا نفس المجال بالكتابة عن الإسلام والسيرة ولهم دعوة عريضة
إلى النهضة ، تريد أن تخط الإسلام بالوثنيات الغربية تحت اسم الأصالة والمعاصرة ،
حاولوا أن يوجدوا بديلا تحمله أقلام لامعة لها شهرتها وصحف ذائعة ، ودوافع
بارعة ، ليكون ذلك (البديل) عاملا في ضرب (الأصيل) والقضاء عليه .

هذه البدائل تتمثل في كتابات التاريخ الإسلامي لطله حسين وهيكل والعقاد
وتوفيق الحكيم : ذلك أن هذه الكتابات مهما أدت من دور مرحلي فأنها لم تكن خالصة
لوجه العلم وحده ، ولكنها كانت تستجيب لاهواء دفعت الأقلام إليها .
كانوا يحاولون ضرب الشيوعية الزاحفة .

كانوا يحاولون بها ضرب مفهوم الإسلام الصحيح الجامع .

كانوا يحاولون بها أنكار المعجزات وفرض مفهوم علماني يشكر الغيبيات ثم
حاولوا بها بعد ذلك على امتداد تطورها على أيدي عبد الرحمن الشرقاوي وأحمد
عباس صالح وحسين أحمد أمين تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً .

واقدم أقام العقاد كتاباته الإسلامية على (التصور الفلسفى) وأقام طه حسين كتاباته الإسلامية على (التصور المادى) كذلك فقد كان أسلوب العقاد المستمد من علم النفس فى مقابل أسلوب طه حسين المستمد من علم الاجتماع وكلاهما قنطره بعيدة عن الإصالة .

وليس كلاهما هو مفهوم الإسلام ، وتأثرت العبقريات بمذهب غرنى فى تحليل الشخصيات وتأثرت (القنينة الكبرى طه حسين) بمذهب الفسيفسارى للمادى للتاريخ .

لقد كانوا يحجبون روائع التراث الإسلامى والتاريخ الإسلامى وراء فكرة الانقطاع التى أقاموها فاصلاً بين الحاضر والماضى فلما بدأ التراث الإسلامى يشرق ويكشف عن جوهرة الأصيل زيفوه بكلمات طه حسين عن القنينة الكبرى وهامش السيرة ثم جاءت المرحلة التالية على أيدي الماركسيين الذين اعتبروا أن طه حسين رائد لهم الذى فتح لهم الطريق وأزال من أمامهم العقبات (كما فتح الطريق أمام الحوار المسيحى الإسلامى) .

ثم جاء زكى نجيب محمود ليكتب الصفحات المظلمة من تاريخ الوثنية التى تجددت بعد الإسلام تحت اسم أخوان الصفوة المعتزلة والباطنية والفكر الفلسفى والفكر الصوفى الفلسفى ، والقراطة الذين سرقوا الحجر الأسود وروعوا حجاج بيت الله الحرام باعتبار أن هذا هو التراث الإسلامى الذى يجب تجديده ، لقد جددوا التراث بالفعل ولكنهم جددوا التراث الزائف المسموم وحجبوا التراث الحقيقى .

وتعود مرة أخرى إلى المقولة الصادقة للدكتور محمد محمد حسين : أن الإسلام نظرية فى السلوك يمثل ما أنه نظرية فى المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامى أو أدب إسلامى من مفكر أو أديب لا يمارس الإسلام ولا يلتزم به ، ومعروف أن هؤلاء جميعاً لم يكونوا يمارسون الإسلام فى أصوله الأصيلة ، .

الفصل الحادى والعشرون

الدكتور ابراهيم بيومى مذكور
تصور زائف لحركة اليقظة الإسلامية

هل كان لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين من تلاميذ الشيخ محمد عبده

هل كان محمد عبده هو قمة اليقظة أو مرحلة من مراحلها

هناك محاولة جديدة لاثام حركة اليقظة الإسلامية التي تسمى اليوم على مفهوم الإسلام الاصيل ، الذي يستمد وجهته من منابع الصحيحة : القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن هذه الحركة قد خرجت عن الخط الذي رسمه لها الشيخ محمد عبده والذي يدعى بأن لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين قد ساروا فيه ، وتختلف عنه الذين نقلوا اليقظة الإسلامية من مرحلة الفكرة إلى مرحلة الدعوة ، وهي دعوى ، مبطلّة تماماً لأن المستقرى لتاريخ اليقظة الإسلامية منذ ظهور دعوة التوحيد التي دعا بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ودعا بها كثير من تلاميذ فكر التوحيد الخالص الذي قدمه ابن يمينه وابن القيم واتباعها يؤمن بأن الأمة الإسلامية كانت قادرة على الانبعاث من من داخلها عندما تنحرف بها الطريق أو تتجمع الخطوات ، ولا ريب أن هناك مرحلة غلبت فيها جبهة الصوفية على المفاهيم الإسلامية بعد أن مرت مرحلة الجهاد في مقاومة حملات الصليبيين والتتار وتوقف المسلمين عن فتح باب الاجتهاد خوفاً من دخول الفكر الوافد وحرصاً على سلامة مفاهيم الإسلام ، وقد كسر هذا الجود انطلاقة المصلحين الاسلاميين أمثال محمد عبد الوهاب والشوكاني وخطيب مسجد المؤيد في القاهرة بالدعوة إلى التوحيد الخالص .

ومنذ ذلك الوقت سارت حركة اليقظة الإسلامية في طريقها مرحلة بعد مرحلة فسرعان ما دخلت مرحلة الجهاد بالسيف في مواجهة الغاصب (عبد القادر الجزائري في الجزائر ومحمد أحمد المهدي في السودان ، وعبد الكريم الخطاطي في المغرب ، وأحمد بن عرفان في الهند الخ)

ثم أتت حركة اليقظة الإسلامية إلى مقاومة حملات الهجوم على الإسلام التي بدأها التبشير والاستشراق وهي المرحلة التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد

عنده وهى مرحلة خصبة انتقلت فيها حركة اليقظة الاسلامية إلى منطلقات واسعة في سبيل رسم التصور الاسلامى الصحيح : عقيدة وفكرا ، وكان من أبرز ما قامت به إعادة مفهوم الاسلام إلى منطلقه الاصيل من التوحيد الخالص وتحرير ارادة المسلم والخضوع وكسر قيود الجبرية الصوفية وأنكار الانسحاب من الحياة ودفع المسلم إلى إصلاح المجتمع على حد تعبير جمال الدين الافعالى (فناء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله) .

غير أن هذه المرحلة لم تصل إلى جوهر المفهوم الاسلامى الاصيل بل شابهها بعض القصور ، لأنها صدرت من منطلق مفاهيم المعتزلة ، وعلما بالكلام فضت بها ثمة وكان إهتمامها بأعلاء العقل على النقل ، راعيتها على المنطق ، وهذه مرحلة طبيعية لابد أن تظهر بعد مرحلة الجبرية الصوفية وكان فى مواجهة العاملين فى هذه المرحلة إحساس واضح بالخللات الماثرة على الاسلام من المستشرقين وكتاب الغرب فكان لابد للدعاة أن يتحدثوا عن الاسلام ببنية وقدرته على الوقوف فى وجه الاتهامات بأنه بكبر من شأن الغيب والمعجزة والخوارق فكانت تفسيرات الشيخ محمد عبده التى أرادت أن تدفع عن الاسلام اتهام المستشرقين على النحو الذى ظهر فى أنكار شق الصدر وأعتبار الإسراء بالروح ، والقول بأن الطير الابابيل هى الوباء إلى غير ذلك مما مضى فيها بعض خلفاء الشيخ محمد عبده مما سعى بالمدرسة العصرية فى الاسلام على النحو الذى كتب به فريد وجدى ومحمد حسين هيكل والمراغى .

هنالك كان لابد لحركة اليقظة الاسلامية أن تصحح نفسها وأن تدخل مدرسة التفسير القرآنى للاسلام وأن تتحرر تماما من أسلوب الاعتزال والتأويل ، كذلك فقد خرجت حركة اليقظة الاسلامية من « الفكرة » إلى « الدعوة » حيث بدأت تبنى جيلا جديدا تربية اسلامية على النحو الذى فعله النبى ﷺ فى مكة قبل الهجرة ، ومن ناحية ثالثة فقد استلهمت اليقظة مفهومها الصحيح للاسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، وأعلنت لأول مرة وقوفها فى وجه الحضارة الغربية وأساليب الغزو الثقافى والتغريب وإعادة الفكر الاسلامى إلى مجرى الأصالة والمنابع ، وتحريره من التبعية والآذابة التى جرت خطة العمل بها عن

طريق الصحافة والجامعة وقبول مفاهيم المستشرقين الذين جاءت بهم الجامعة ليسيّطروا على علوم الفلسفة والنفس والاجتماع والاقتصاد والأدب ومن ثم فرضوا مناهجهم الغربية عليها وأصبح الفكر الإسلامي محجوباً تماماً عن أهله .

هذا هو الخط الذي سارت فيه حركة اليقظة وهو خط طمهي وتضليلي صحيح ، وانتقال من المرحلة التي قام بها جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا إلى المرحلة التالية تماماً فهل يمكن أن يوصف هذا بأنه تراجع ، أو انحياز أو تحول عن الطريق الصحيح ، لقد بدأت الفكرة الإسلامية طريقها واستعلت ثم مضت في نفس الوقت تبنى جيلاً جديداً على مفاهيمها .

أما جماعة المجددين الذين أذعنوا كذباً وضلالاً أنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده أمثال لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين وغيرهم فهؤلاء هم الذين خانوا أمانة اليقظة الإسلامية ، أو أمانة حركة الإصلاح ، بانحرافهم إلى التبعية وقبولهم مفاهيم الغرب وأنزلاهم إلى خدمة أهداف التغريب .

لقد أصبحت هذه المجموعة السائرة في فلك النفوذ الغربي والقابلة لفكرة التأويل والعمل لتحقيق أهداف الحاكمين سواء في قبول الرأى والتتوى به ، أو صنع القانون المدنى استمداداً من القانون الوضعى حيث لا يذكر فيه التشريع الإسلامى إلا فى المرحلة الثالثة حيث لا يوجد نص غربى أو عرف أقليمى ، وكذلك الفتوى بالتأمين وشهادات الاستثمار .

كذلك فقد تكشف انحراف المجموعة التى عمات فى ميدان كتابة التاريخ الإسلامى والسيرة : هيكى والعقاد وطه حسين وأحمد أمين وغيرهم .

ولولا يقظة حركة اليقظة الإسلامية لذلك كله لما أنكشف أمره ولمضى التغريب بأيدى علماء لهم أسماء إسلاميه .

لقد نعى الدكتور إبراهيم بيومى مذكور على حركة اليقظة انطلاقها ووصفها بأنها نكسه تهم ولا تبنى ، لأنها وقفت أمام ذلك الخط الذى رسمه النفوذ الأجنبى واستخدم له الذين تسموا كذباً بخلفاء الشيخ محمد عبده من أمثال لطفى السيد

قاسم أمين وطه حسين ، ومن بعدهم كل الذين حاولوا التأويل لخدمه الربا وتحرير المرأة وتبديل القانون الرضعى .

أن الدكتور إبراهيم بيومى مذكور يرى فى ارتباط الدين بالسياسة خلطاً وضلالاً ويتابعه فى هذا كل أعداء حركة اليقظة الإسلامية ، الذين يرثون لإنزواء مدرسة تجديد الفكر الدينى ، هذه المدرسة التى كان يطمع النفوذ الغربى بأن تحقق أهدافه من خلال مجموعة من علماء الاسلام يفتنون بأباحة الربا ، وتحرير المرأة ، والقانون المدنى وبالتبعيه للفكر الغربى ، والذين لا يفتنون أى موقف بالنسبة بفساد المجتمعات وانهارها ولا يطالبون بتطبيق الحدود الاسلامية لانها تتنافى مع المدنية .

ومن العجيب أن ترى رجلاً مثل الدكتور إبراهيم بيومى مذكور يحاول أن يؤرخ للحياة الفكرية على هذا النحو المضطرب الزائف ونراه يدافع عن انحدار المرأة فى المجتمعات تحت اسم تحريرها ويقول : لارجعة فى هذا المضمار بحال ، ولن تنزل المرأة عن حق اكتسبته وهى جادة فى كسب حقوق أخرى ، لعلك تدهش ياسيدى الدكتور بأن المرأة قبلت بأرادتها العودة إلى الله والعودة إلى بيتها وهرفت أن مثل دعوتكم هذه ضالة مستفاعة من بر وتولات حكام ، صهيون .

نحن نؤمن بأن حركة اليقظة قد تطورت تطوراً طبعياً وأن محمده عبده وفتاواه وأفكاره هى مرحلة من هذه المراحل جاءت بعدها مرحلة أخرى أكثر صلة بالقرآن والأصول الاصيلية للإسلام بعيداً عن التبريرات التى كان يدافع بها المسلمون عن أنفسهم أزاء الغزاه .

أما لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين ومن برروا الربا والقانون المدنى فهم خارجون عن هذه الحركة ودخلاء عليها وأن دعواهم فى الإصلاح الاسلامى كاذبه وأشدهم كذباً مؤرخ هذه الحركة الدكتور إبراهيم بيومى مذكور .

العمالقة والقمم الشوامخ الحقيقية

جمال الدين الافغانى	عبد العزيز الثعالى	حسن البنا	مصطفى السباعى
أحمد السكندرى	علال الفامى	فريد وجدى	محمد فريد
أحمد تيمور	الفاضل بن عاشور	محمد عبد الله دراز	محمد عبده
أحمد زكى باشا	بهجت الانبى	محمد أبو زهره	المنفلوطى
أحمد كمال الانبى	مالك بن نبي	محمد عبد الله العربى	مصطفى صادق الرافعى
أمين سامى	محمد جميل بيهم	رشيد رضا	أحمد حسن الزيات
أمين الرافعى	محمد عزه دروزه	رفيق العظم	أبو الفضل إبراهيم
البشير الأبرامى	محمد اقبال	شبلى النعمانى	أحمد حسين
حسين الهرارى	مصطفى صبرى	شكيب أرسلان	دكتور زكى على
حفى ناصف	محمود شيت خطاب	طاهر الجزائرى	عمر فروخ
عبد الرحمن الكواكبى	عبد الدين الخطيب	طهطاوى جوهرى	قبرى طوقان
عبد السلام ذهنى	مصطفى السباعى	عبد الحميد بن باديس	محمد صبرى
عبد العزيز جاويز	محمد المبارك	عبد الرحمن الرافعى	محمد محمد حسين
عبد الوهاب النجار	محمد أحمد الغمراوى	عبد العزيز الثعالى	عبد القادر عوده
على بهجت	المراعى	على يوسف	محمد بن على السنوسى
أبو الحسن الندوى	محمد مسعود	محمد عبد الوهاب	محمد العربى العلوى
المودودى			

(تناولنا دراسة هذه الشخصيات في موضوعنا - أعلام القرن الرابع عشر الهجرى)

خاتمة

هناك عدة حقائق أساسية لا بد من الإلمام بها عن مواجهة المفاهيم الوافدة التي قدمتها مدرسة التبعية والغزو الفكري :

الحقيقة الأولى : هي أن لكل أمة مزاجها النفسي وذاتيتها الخاصة القائمة على أساس من عقائدها وقيمه وأدابها ومفاهيمها التي عاشت عليها منذ ألوف السنين وأن هذه الأمة حين تواجه أي قضية من القضايا أو حدث من الأحداث أو موقف من المواقف إنما تستمد استجابتها من هذه المضامين .

الحقيقة الثانية : هي أن العرب والمسلمين لهم أيولوجية أساسية هي في محلي البصرة إلى الكون والحياة والله (نبارك وتعالى) والإنسان والمجتمع ، هذه النظرة متميزة أساسا من القرآن الكريم ومن تطبيق بني الإسلام ورسوله في حياته في بيانه ومن منطلق واضح محدد قوامه :

١ - أن الإسلام هو خاتم الرسالات وجاء امتداداً لها وخاتماً وناسخاً لها ورسالة إلى الناس كافة في [ليظهره على الدين كله] : (ومبينا عليه) (على الكتب السماوية) .

٢ - أن القرآن هو النص الموثق الذي لم يصبه أي تحريف : كتاب الله المنزل بالحق الذي أعطى البشرية منهجاً كاملاً للحياة والمجتمع والأخلاق وعقيدة ناصعة قوامها التوحيد .

الحقيقة الثالثة : هي أن الفكر الإسلامي إنما قام أساسا على القرآن والسنة الصحيحة وأنه استكمل نهجه قبل أن تنقل مترجمات الفلسفات الشرقية والغربية وأنه في مواجهة هذه الفلسفات ظل قادراً على الاحتفاظ بذاتيته ومقوماته .

الحقيقة الرابعة : هي أن الفكر الإسلامي قد أقام منهجاً فكرياً مستقلاً يختلف اختلافا جديداً عن مختلف مناهج الأمم وفلسفاتها وعقائدها وأنه أقام منهج

المعرفة الاسلامى على أساس عقلى ورجحى مما لجعل للعقل منطقته في مجال العلوم والمحسوسات وجعل للروح منطقها في مجال الغيبات وما وراء الطبيعة وأن الإسلام أفلام ميثولوجيا خاصة به يختلف عن نظرية اليونان ومناهج الأديان القديمة وفلسفاتها .

الحقيقة الخامسة : هى أن هناك مؤامرة دائبة وحرب مستمرة لغزو الفكر الاسلامى وأخراجه عن قيمة ومناهجه ومحاولات لتدمير مقوماته وأدخال مفاهيم أخرى للقضاء على استقلاليتيه وذاتيتيه واذابته في الأمية العالمية .

الحقيقة السادسة : هى أن هناك حربا تشنها القوى الاستعمارية والاتحادية والصهيونية على مقومات الفكر الاسلامى بأعتباره آخر الحصون التي تثبت للمقاومة في وجه الغزو السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

الحقيقة السابعة : هى أن الاستعمار حين سيطر على العالم الاسلامى إنما كان يستهدف تفريغ الذات الإسلامية من مقوماتها النفسية والروحية والاجتماعية المنبثقة عن الإسلام .

الحقيقة الثامنة : هى أن أهم مايجب أن تعرفه أن هناك نظريتين في مختلف مجالات النفس والعقائد والاجتماع .

● نظرية عربية إسلامية أصيلة مستمدة من قيمنا وتمتق مع ذاتيتنا وهماجنا النفسى وقائممة على طرابعنا الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

● نظرية غربية قامت في بلادها واستمدت مقوماتها من قيم فكرها ووجودها الاجتماعى أو النفسى الخالص .

الحقيقة التاسعة : هى أن الفكر الاسلامى يرفض النظريات الوافدة في مجال النفس والاجتماع والثقافة ولكنه يقبلها في مجال العلوم والحضارة ذلك لأسباب

عميقة بعيدة المدى : أهمها قيام المجتمعات العربية والإسلامية أساساً على الترابط والوحدة
وقيام مناهجها على أساس أخلاق ديني وكون الإسلام دين ومنهج حياة وكون نظرية
المعرفة الإسلامية ذات جناحين : مادي وزوحي ، عقلي ووجداني بينما تصدر
هذه النظريات في دائرة الغرب في مواجهة تحديات مجتمعاتها .

الحقيقة العاشرة : هي أن استجابة المجتمعات الإسلامية لهذه النظميات الرافدة
ليست استجابة أصيلة وإنما هي تحدث تحت تأثير أغراء البريق وعقدة النقص
وتقليد الغالب وفي ظل الفجوة المادية من نقص المعرفة الأصلية بمناهج تفكيرنا
ومقرماته .

هذا وبالله التوفيق ؟

أعزنا إلى هذا الكتاب مادة كتابنا : (شخصيات إختلف فيها الرأي)

افاق البحث

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٣	(٣) سعد واللغة العربية	٣	مدخل إلى البحث
١٢٨	(٤) مواقف سعد	٦	(٢) تقييم محصول جعل الرواد
١٣٣	قاسم أمين	(٣) إعادة تقييم ما كتبه الجيل الرائد	١٥
١٤٤	المرأة المسلمة وتحرير المرأة	(٤) محاولة تغير الهوية والانتماء	١٩
١٤٩	ساطع الحصري	(٥) سقوط المسلمات الباطلة	٢٨
١٥٧	الفارق بين السكتة الاسلام والقومية	(٦) رواد الاصل والرواد التبعية	٢٩
١٦١	سلامة موسى	الباب الاول :	
١٧٢	دارون ونظرية التطور	٣٣	جيل العمالقة والقمم الشوامخ
١٨٥	زكي نجيب محمود	٣٤	لطفي السيد
٢٠٣	توفيق الحكيم	٤١	(٢) الحملة على الفصحى
٢١٩	عبد الرحمن الشقار	٤٥	(٣) سياسة الجريدة
٢٢٦	كتاب محمد رسول الحرية	٤٩	(٤) ترجمة أرسطو
٢٤١	مصرية الحسين شهيدا	٥٦	مراجعة عامة
٢٤٥	حول الامام علي	٥٩	جرجي زيدان
	أخطاء الشرفاوى في السيرة	٦١	(١) تاريخ أداب اللغة
٢٥٠	والتاريخ	٦٩	(٢) تاريخ التمدن الاسلامى
٢٥٣	محمد التابعى	٧٧	(٢) روايات جرعى زيدان
٢٦١	لويس عوض	٨٥	أحمد أمين : (فجر الاسلام)
٢٦٩	التشكيك في القرآن		علي عبد الرازق : (الاسلام
٢٧١	الهجوم على لغة القرآن	٩٥	وأصول الحكم)
٢٨٣	مدحت واثانورك	١٠٥	سعد زغلول
٢٩٤	فالى	١١٣	(٢) رأس المدرسة الحزبية

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٠٠	حسين وجيله	٣٠٥	سارتر (بن عبد الرحمن بدرى) وأليس منصور
٤٠٢	الفصل العشرون :	٣١٥	طه حسين
	محاولات مضللة لتزييف تاريخ الفكر الإسلامى	٣٦٥	الفصل الثامن عشر :
	(٢) وسقطت مدرسة التبعية للفكر الواحد		تحفظات على الكتابات العصرية للسيرة النبوية
٤١٠	الفصل الحادى والعشرون :	٣٩٢	(٢) الحملة على نوابغ الإسلام
	الدكتور إبراهيم يسوى	٣٩٥	الفصل التاسع عشر :
٤١٣	مذكور		أخطاء منهج القمم الشوامخ وجيل العمالة
٤١٩	العمالة والقمم الشوامخ الحقيقية		(٢) عريضة اتهام عنيفة ضد طه
٤٢٠	خاتمة		

رقم الإيداع ٨٥/٣٧٨٢

مطبعة أسامة
إشابة النيرة الفريشة ٦ شارع الشيخ
معيش - شفرى من شارع القريش